هديتك مع العدد
براعم الإيمان

الوعي الإسلامي

AL- WA E I AL- ISLA MI

جامعة إسلامية شهرية

العدد ٣٧٧ - محرم ١٤١٨هـ - مايو ١٩٩٧م

القدس عربية إسلامية

- من جوانب العظمة في هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم
- الدكتور أحمد عمر هاشم: احتجاز أسرى الكويت أكبر جريمة في عصر الصحوة وحقوق الإنسان



﴿وإذا مرضت فهو يشفين﴾

تتقدم أسرة مجلة الوعي الإسلامي

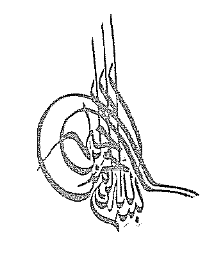
من سمو ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء

الشيخ سعد العبدالله السالم الصباح

بأجمل التهاني لمناسبة نجاح العملية الجراحية التي أجريت له.

متمنين له الشفاء العاجل والعودة إلى أرض الوطن ليتابع مع

إخوانه عملية البناء والتنمية في وطننا العزيز.



الوعي الإسلامي

إسلامية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
بدولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

Islamic Monthly Magazine. Published By The
Ministry Of Awqaf & Islamic Affairs - Kuwait

العدد ٣٧٧ - السنة الثانية والثلاثون
محرم ١٤١٨هـ - مايو ١٩٩٧م

رئيس التحرير
CHIEF EDITOR
بدر سليمان القصار
Bader Al-Qassar
سكرتير التحرير
تمام أحمد
TAMMAM AHMD
المشرف الاداري و المالي
ADMINISTRATOR & FINANCIAL DIRECTOR
خالد عبد اللطيف بو قماز
Khaled.A.Buqammaz
الاشراف الفني
ART DESIGNER
صالح محمد صالح
S. M. Saleh

المراسلات :

مجلة الوعي الإسلامي
ص.ب ٢٣٦٦٧ الصفاة 13097 ـ الكويت
المراسلات كافة باسم رئيس التحرير

al-Waei al-Islami

P.O.BOX: 23667 AL-SAFAT 13097
KUWAIT TEL: 965-2487210 -
FAX: 965-2431740

هاتف:

٢٤٨٧٢١٠ (٩٦٥)
فاكس: ٢٤٣١٧٤٠

وكيل التوزيع:
شركة الخليج لتوزيع الصحف
ص.ب: ٤٢٠٥٧ الشويخ 70651 الكويت
برقيا نيوزبيبر

كلمة العدد

قضايا ثلاث

يصل هذا العدد إلى أيدي القراء والمسلمون في مشارق الأرض ومغاربها يحتفلون بحلول العام الهجري الجديد، والأمل يحدوهم في الخروج من كبوتهم وعزلتهم الحضارية ليساهموا من جديد مساهمة فاعلة وايجابية في المسيرة الحضارية المعاصرة التي غُيبوا عنها طويلاً بفضل عوامل داخلية وخارجيةعدة.

لقد حاولنا في هذا العدد أن نقدم ملفاً عن الهجرة يتضمن جوانب العظمة والمعاني الإيمانية في تلك الهجرة المباركة والدروس المستفادة منها كما حاولنا التصدي لقضايا أخرى تشغل اهتمامات المسلمين وفي مقدمتها قضيتان بارزتان احتلتا حيزاً كبيراً في وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية، سواء داخل العالم الإسلامي أو خارجه: الأولى قضية القدس وماتعانيه من مؤامرات ودسائس لتهويدها وازالة هويتها الاسلامية وقطع أواصرها مع العالم الإسلامي، والثانية قضية الاستنساخ ومأأفرزته من ردود أفعال متابينة في العالم الإسلامي ورأي الشرع فيها؟

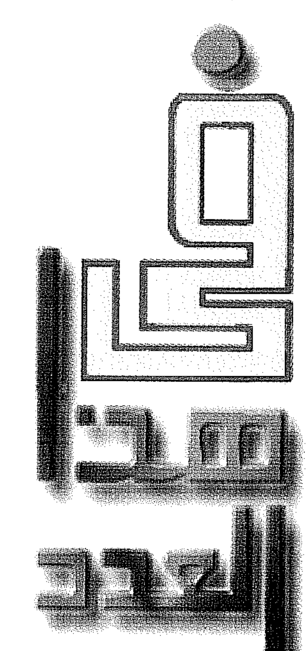
الوعي الإسلامي

الاشتراكات

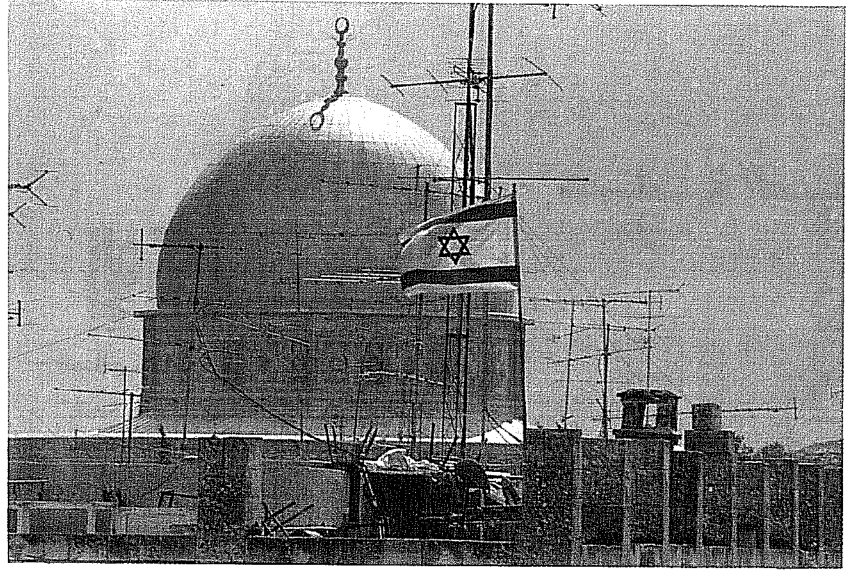
داخل الكويت : للأفراد ٥ دنانير ـ للمؤسسات ١٠ دنانير
الدول العربية : للأفراد ٦ دنانير كويتية (أو مايعادلها)
للمؤسسات ١٢ ديناراً كويتياً (أو مايعادلها)
دول العالم: للأفراد ١٠ دنانير (أو مايعادلها)
للمؤسسات ٢٠ ديناراً كويتياً (أو مايعادلها)
* ترسل قيمة الاشتراكات بشيك الى إدارة المجلة باسم مجلة الوعي الاسلامي (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

الأسعار

الكويت ٣٥٠ فلساً - السعودية ٤ ريالات - البحرين ٣٠٠ فلس
قطر ٤ ريالات - الامارات ٤ دراهم - سلطنة عمان ٣٠٠ بيسة
الاردن ٥٠٠ فلس - ج.م.ع جنيه مصري واحد - السودان ٥ جنيهات
موريتانيا ١٢٠ اوقية - تونس دينار واحد - الجزائر ٥ دنانير
اليمن ٥ ريالات - لبنان ١٠٠٠ ليرة - سوريا ٢٠ ليرة
المغرب ٦ دراهم - ليبيا ٥٠٠ مليم - اوروبا جنيه استرليني واحد او مايعادله
أمريكا وبقية دول العالم الاخرى دولاران او ما يعادلهما



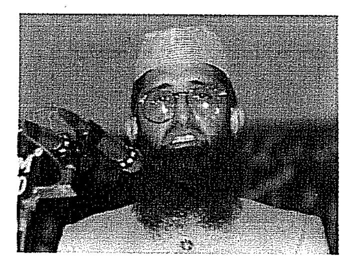






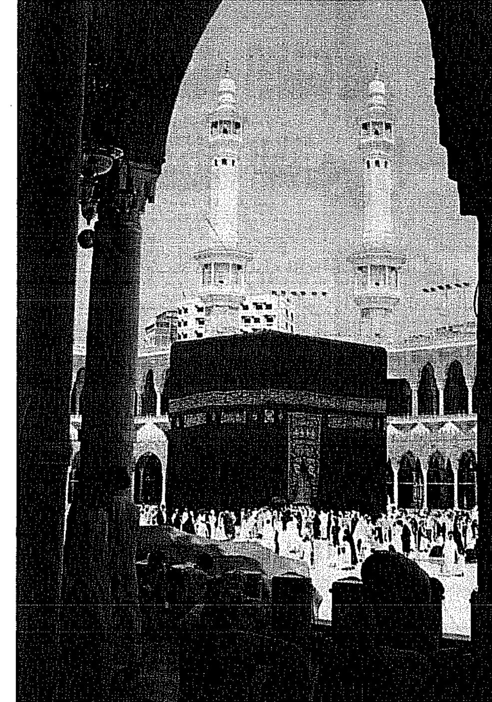
اقرأ في الأعداد القادمة

- الشباب وعبدة الشيطان / **يحيى السيد النجار**
- حضارة العقل وعقلانية الحضارة / **د. نعمان عبدالرزاق السامرائي**
- مقومات الانبعاث الحضاري في الإسلام / **محمد الصالح عزيز**
- العالم الإسلامي والتحدي الاقتصادي / **د. محمد الشحات الجندي**
- أثر حسن الاختيار في تخفيف الطلاق / **د. أحمد الحجي الكردي**
- نحو هوية أفضل للطفل المسلم / **محمد حسن بدر الدين**



- حوار مع الأستاذ محمد فضل الرحيم المجددي أمير جامعة الهداية في الهند / **تمام أحمد**

الفهــرس



الهجرة النبوية ٥٠

الهجرة النبوية كانت ومازالت وستظل عطاء متجدداً بما انطوت عليه من جوانب العظمة التي تعتبر دروساً نافعة للبشرية تتناقلها جيلاً بعد جيل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها..

أيام الله ٤٦

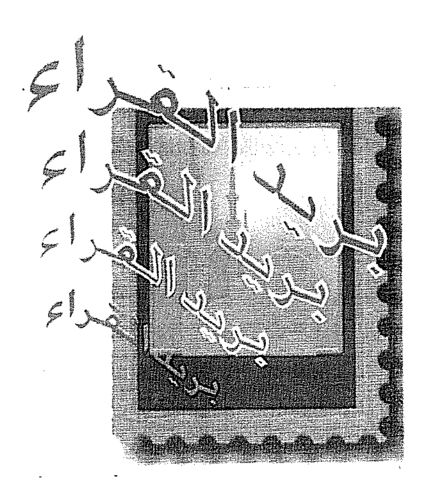
قصة الرسل مع أقوامهم قصة واحدة... إنها قصة التاريخ كله حين يقف الرسل الداعون المتواضعون ومعهم قوة الله في مواجهة الطغاة المتجبرين بقوتهم الهزيلة.

القتل الخطأ بين الشريعة والقانون ٥٦

من أجل توضيح وبيان سمو الشريعة الإسلامية على التشريعات الوضعية كافة تم اختيار جريمة القتل الخطأ في دراسة مقارنة بين الشريعة والقانون.

الرؤية الاسلامية لحركة التاريخ في فكر النورسي ٦٨

الجانب الميتافيزيقي أو الكوني الذي يربط أشلاء التاريخ بطريقة عضوية ويعطي لمسيرة التاريخ معنى وعقلانية وغاية. إنما هو في الحقيقة جوهر عميق واضح يبصره الذين يؤمنون بالغيب.



الشكر والتقدير على مقالكم الافتتاحي عندما يكون الفساد في حماية القانون؟!

سعادة الأستاذ الكبير رئيس تحرير مجلة الوعي الإسلامي حفظه الله السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد، فإن زملاءكم أساتذة جامعة الاسكندرية هنا يتقدمون لكم بخالص الشكر والتقدير على تصديكم العلمي والجريء لمقاومة وباء الفساد الذي تفشى في ربوع العالم والذي أصبح ينخر في جسم العالم كالسرطان، فلقد قوبل مقالكم هنا بكل تقدير وإعجاب ومن إبراز دور «الوعي الإسلامي» في معالجة قضايا الأمة ومشاكلها ومن أكثرها خطورة مشكلة الفساد الذي يلتهم عوائد جهود الإنتاج ويمتص جهود المخلصين من أبناء أمتنا.

ونشكركم على التواصل الإيجابي ودعوتكم الكريمة للقراء والكتاب للإسهام في رفع هذا الشر الوبيل وإن شاء الله سيصلكم قريباً مقال من العبد الفقير إسهاماً متواضعاً في رفع شرور الفساد واستجابة أخوية للدعوة الكريمة للإسهام في هذه القضية الحيوية والخطيرة.

والله يوفقكم ويسدد خطاكم.

أخوكم أ.د. عبدالرحمن العيسوي

ترحب الوعي الإسلامي برسائل القراء وتنشر منها ما يتوافق مع سياسات النشر لديها بما لا يتعارض مع حقوق الآخرين وحرية الرأي. وتحتفظ المجلة بحق تنقيح الرسائل واختصارها.

الجمع بين الأصالة والمعاصرة في الشريعة الإسلامية

إن الناظر إلى الشريعة الإسلامية يجدها جمعت بين الثبوت والتجدد والأصالة والمعاصرة، والمقصود بالأصالة والقيم والمبادىء التي جاء بها الإسلام والمعاصرة هي الإفادة مما ابتكرته المدنية الحديثة في كل مناحي الحياة سواء في الإعلام أو في التخطيط والإدارة أو في السياسة أو في الاقتصاد أو التربية والتعليم أو في الصناعة أو في القوة العسكرية، وهكذا، ويشترط ألا يتعارض ذلك مع القيم والمبادىء الأساسية «الأصلية» التي وضعها الإسلام، إذ إن الإسلام قد وضع الأسس التي يتم عليها اختيار ما يصلح وما لا يصلح ففي حين استعملت هذه الأسس استعمالاً جيداً كان الاختيار موافقاً للصواب وإلا فلا...

عماد محمود مصطفى حسن ـ مصر

ردود خاصة

● سيد ياجير سامبوا/ بنجوانا ـ السنغال: نحن لسنا جهة خيرية تقوم ببناء المساجد وحفر الآبار، يمكنكم مراسلة أي جهة خيرية في الكويت مهتمة بالقارة الأفريقية.

● الأخ الكاتب معالي عبدالحميد حمودة/ مصر: ما حصل كان خطأ غير مقصود لذا نعتذر عما حصل وقد صوبنا الخطأ في فهرس المجلة السنوي العام الصادر في عدد «ذو الحجة» ١٤١٧هـ كما أرسلنا المكافأة باسمكم.

● الأخت دراوي يمنية / الجزائر: كيفية الاشتراك في المجلة مدون في الصفحة رقم ٣ يمكنك قراءته وإبلاغنا بما تريدينه وشكراً لك.

● الدكتور محمد شبهي/ المغرب، القارىء ج.ع.ب ـ المغرب: حولنا رسالتيكما إلى إدارة الإفتاء في الوزارة وشكراً لثقتكما بالمجلة.

رسالة إلى الشباب

لا شك أن الشباب هم قلب الأمة النابض وعقلها المفكر وسواعدها المنتجة، ولا عجب في أن يكون هذا الشباب هو المستهدف من قِبل أعداء الإسلام، فهم يحاولون بكل السبل والوسائل أن يحولوا بين شبابنا الطاهر وبين القيم والمثل الإسلامية العليا التي تجعل من هذا الشباب علما وفكرا وإنتاجاً وقوة.

ولا يشك عاقل في أن ما نراه الآن من هزيمة نفسية ونكسة روحية وأخلاقية ـ ما هو إلا علامات لنجاح هذه المحاولات المسمومة لإجهاض شبابنا حتى طلع علينا الآن من الشباب من قتل أمه وضرب أباه وهذا سرق شركته، وهذا لا يعرف إلا الرقص والغناء بل إن بعضهم من عبدة الشيطان من دون الرحمن...

فكان أجدر بشبابنا الآن أن يشمروا ويبذلوا الجهد لنهضة أمتهم وإسعاد مجتمعاتهم، وإني أسألهم جميعاً أسئلة عدة وأقول لهم ولنفسي:

أما آن لنا أن نعي ما يبذله الأعداء لإغوائنا...؟

أما آن لنا أن نقتدي برسولنا صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام..؟

أما آن لنا أن نكفَّ عن تقليد الممثلين والهابطين والعابثين...؟

أما آن لنا أن نُرضي ربنا وأن نسعد بطاعته..؟

حقاً: لكنها أسئلة تحتاج منّا إلى وقفات وتأمل ومن استطاع أن يجيب عليها فهو صاحب البشرى... فإنه يظله الله في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله فهو من السبعة المبشرين والذين منهم: « شاب نشأ في عبادة الله».

مصطفى عبدالسلام أحمد قابيل ـ مصر

سبق قرآني تؤكده رؤية فلكية

عندما نرفع أعيننا نحو السماء نندهش كثيرا من كثرة ما فيها من نجوم وكواكب سابحة لكل له نظامه الذي لن يحيد عنه مما يساعد علماء الفلك في فك طلاسمه وأسراره الغامضة وأغواره العميقة تدور أفلاكه بطريقة تمكن من التنبؤ بوجودها في أماكنها وقبل رصدها تكرر هذا مع كوكب لوتو، ونبتون وتوقع أعمقهم علما وبحثا وهم كثير وجود فلك بين المريخ والمشتري فعثروا على الكويكبات تدور في حزام واحد حول الشمس!

وهذه الكويكبات غير منتظمة الشكل مما يدل على أنها حطام كوكب انفجر لوقوعه بين جاذبية المريخ الضعيفة وجاذبية المشتري العملاقة الشديدة فانشطرت بينهما شظايا عرفت باللويكبات، وفي العام ١٩٣٠م تم اكتشاف تاسع هذه الكواكب بلوتو وهو آخر كواكب المجموعة الشمسية حتى الآن.

ويعتقد البعض وجود كوكب بين الشمس وعطارد وكوكب فولوكانو وإن لم تتحقق رؤيته ونعتقد أن هناك كوكب بعد بلوتو نظريا أطلق عليه كوكب إكس «أي الكوكب المجهول» وأكد على ذلك الفلكي الأمريكي برادي بعد إعادة إجراء حساباته بمساعدة الحاسوب الالكتروني وأعلن عن وجوده وكتلته ودورته فهل تؤكد المراصد وسفن الفضاء وجوده وإلى أن يتم ذلك فإن الآية القرآنية أشارت إلى العدد الحقيقي لكواكب المجموعة الشمسية قال تعالى: «إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين».

ومن المعروف في التفسير أن الشمس والقمر يرمزان لأمه وأبيه والأحد عشر كوكباً إلى إخوته، إن الذي جعلني أتأمل ذلك كثيرا أن عدد الكواكب المعروفة عند نزول القرآن الكريم خمسة كواكب عطارد، والزهرة، والمريخ، والمشتري، زحل، عدا حساب الأرض وعندما يكتمل العدد أحد عشر يؤكد ذلك على سبق قرآني نؤمن به ولن يطول الوقت لإثباته.

عبدالرحمن أبو المجد

رد على تعقيب

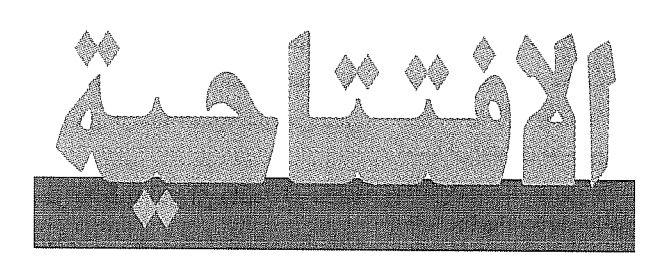
عزيزي القارىء صاحب الملاحظة المنشورة في مجلتنا الغراء في العدد رقم (٣٧٥) على مقالنا: «العالم الإسلامي ومواجهة التحديات» والمنشور في العدد رقم (٣٧١) كما أشرت إذا كان قد أثارك مثل هذا العنوان فهذا شرف لنا لأننا نكتب من أجل النهوض بأمتنا الغالية التي كانت رائدة في عصرها الأول، ولكن إذا كنت تريد أن نكتب عن واقعنا الحالي والمعروف عالميا، ونبين غير الحقيقة التي يعرفها الغرب تماماً، ونبين له أننا أقوى منه اقتصادياً وعلمياً، وعسكرياً، وتكنولوجيا، وتقنيا، فإن الخبراء الأجانب في منطقتنا العربية والإسلامية لا حصر لهم، بل نذهب إليهم في بلادهم لنتعلم منهم التكنولوجيا الحديثة. فهل إذا فعلنا ذلك وقلنا إننا في حال سيئة يجب الخروج منها والنهوض بأمتنا حتى تعود لها السيادة والريادة، عاد ذلك بالسلب على الأمة، لا يا عزيزي فـ«الدين النصيحة» وهل عندما قال العلماء وكتبوا عن هذا الواقع الأليم الذي نعيشه أمثال: محمد الغزالي ــ رحمه الله تعالى ـ في كتابه «سر تأخر العرب والمسلمين» والندوي في كتابه: «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين»، وعطية صقر في كتابه: «الإسلام ومواجهة التحديات»، والقرضاوي في كتابه: «الحل الإسلامي ضرورة وفريضة» وغيرهم كثير وكثير؟.

عاد ذلك بالسلب على أمتنا لا ياعزيزي،إن هذا يعود عليها بالنفع ويدفعها لأن تشحذ الهمم في سبيل النهوض، إنهم شخصوا الداء ووصفوا الدواء من أجل النهوض بأمتنا الإسلامية.

وأقول لك في النهاية: اقرأ المقال مرة أخرى وابحث ما بين السطور وستدرك ما نهدف إليه ولا تنظر إلى العناوين.

ولك مني خالص التحيات،،

صلاح حسين محمد شهاب الدين ـ مصر





في التاسع والعشرين من هذا الشهر تصادف الذكرى الثلاثون للاحتلال اليهودي لمدينة القدس العربية المسلمة والذي تم في أعقاب ما أطلق عليه اسم نكسة ٥ يونيو العام ١٩٦٧م، ومنذ دخول القوات اليهودية إلى القدس والمؤامرات والدسائس والمكائد ضدها لم تنقطع حتى وصل الأمر أخيراً أن رجحت كفة يهود على كفة المسلمين لأول مرة في تاريخ المدينة فقد أفادت الإحصاءات أن عدد المستوطنين اليهود يشكلون ٥٥٪ من التعداد العام لسكان المدينة الذي يبلغ ١٦٠ ألف يهودي مقابل ٤٥٪ للعرب أي ١٥٥ألف عربي، ويحرص يهود من خلال المشاريع الاستيطانية الجديدة المزمع تنفيذها خلال السنوات العشر القادمة إلى كسر الميزان السكاني في المدينة لصالحهم بنسبة كبيرة، وتعد مستوطنة أبو غنيم التي بدأ العمل فيها أخيراً بداية لهذا المخطط الجديد الذي يرسم صورة لمدينة القدس حتى العام ٢٠١٠م من حيث الصناعة والإسكان والعمل وينص التقرير المرفق بالمخطط على إقامة ٥٢٢١٧ وحدة سكنية بحيث يصل عدد سكان المدينة - الذي يبلغ اليوم ٥٨٤ ألف نسمة — إلى ٨١٧ ألف نسمة العام ٢٠١٠م وحسب التقديرات الموضوعة، فإن نسب توزيع السكان بين يهود والعرب سيكون حوالي ١٥٣ألف أسرة يهودية مقابل ٤٥ ألف أسرة عربية أي أن نسبة الفلسطينيين لا تتجاوز ٣١٪ من سكان القدس، هذا ما فعله يهود خلال ثلاثين عاماً أعقبت احتلالهم للمدينة، وهذا ما يخططون له خلال السنوات العشر القادمة، تحركهم في ذلك التعاليم التلمودية سواء في مرحلة الحرب، أو في المراحل التي أعقبتها وهم يتمنعون دائماً وبصلف ويشترطون على العرب الهوان في غرور وعنجهية مطبّقين من خلال ذلك سياسة التضليل التاريخي للتأكيد أن القدس يهودية منذ ثلاثة آلاف عام ضاربين عرض الحائط بكل حقائق التاريخ، وبكل الأعراف والتقاليد القوانين والقرارات الدولية الصادرة بحق القدس وعروبتها وإسلامها وبطلان أي تغييرات يجريها يهود فيها.

إنه لمن المؤسف حقاً في عصرنا الحاضر أن ينساق بعض المسلمين وراء ادعاءات يهود المسالمة متذرعين بقوله تعالى: «وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله» مع أن الإسلام لا يجيز السلم المقترن بالظلم إلا بعد إعادة المظلمة إلى أهلها أما أن يستمر الظالم في سرقة الأرض وقتل الأنفس وتدمير الممتلكات، ثم بعدها يدعو الطرف الآخر الى الجلوس معه على طاولة السلام، فهذا ليس سلاماً، وإنما فرض الأمر الواقع وفرض منطق القوة والاغتصاب.

إن قرآننا الكريم لم يبخل علينا في وصف كثير من الجوانب الظاهرة والخفية ليهود، فقال عنهم في مجال الكذب على الله: «ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون» آل عمران — ٧٥، وفي مجال نقض

العهود قال عنهم: «أو كلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم» البقرة ـ ١٠٠، وفي مجال قسوة القلب قال عنهم: «ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة» البقرة ـ ٧٤، وعن كتمان الحق قال عنهم: «ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون» البقرة ـ ٤٢، وعن النفاق في قلوبهم قال: «يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم» آل عمران ـ ١٦٧، وعن انجرافهم وراء الإفساد في الأرض قال عنهم: «كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله ويسعون في الأرض فساداً والله لا يحب المفسدين» المائدة ـ ٦٤.

هذه الطبيعة المعوجّة يحاول يهود اليوم التخلي عنها وعن ظلالها بالعودة إلى الاسم الأول إسرائيل أو بني إسرائيل لأنه يعني لهم المدح والثناء وتثبيت انتسابهم إلى جدهم إسرائيل والتزامهم بدينه وشريعته ولكن هل ينطلي هذا الزيف على من عرف الحقائق الدامغة؟!

إن المسلمين اليوم وهم يعيشون ذكرى هجرة نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم مطالبون باستشعار المسؤولية تجاه ما يجري في هذه المدينة المقدسة الإسلامية «القدس» وأن يتحركوا تحركاً إيجابياً فاعلاً، في مواجهة تلك الحملات الشرسة التي تستهدف الأمة الإسلامية في أعز مقدساتها ولا شك أن هذا التحرك لن يؤتي ثماره إلا إذا اعتمد على المبادىء التي جاء بها صاحب الهجرة والوقوف عند الثوابت والمرتكزات الأساسية لا نحيد عنها قيد أنملة، وعدم التفريط بأي شبر من أراضي فلسطين لأن فلسطين قضية المسلمين جميعاً، والرجوع إلى شريعة الإسلام وحشد طاقات الأمة المادية والمعنوية وتوثيق عرى الأخوة بين الشعوب الإسلامية وحماية أبناء الأمة من الغزو الفكري والإعلامي الهابط.

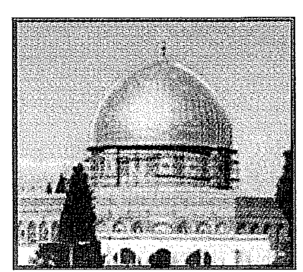
إن احترام الأمم لنا لن يكون إلا بتماسكنا وتوحدنا والعمل الإيجابي لخير المجتمعات المسلمة وجميع المجتمعات الإنسانية في حاضرها ومستقبلها، فلنجدد العهد في ذكرى الهجرة، ولنبدأ عملية البناء والتغيير، فالكل ينتظرنا بعد أن أفلست كل الأيديولوجيات ، والإسلام يختصر لنا الطريق لنصل إلى أكرم ما نستهدفه من غايات بأيسر السبل، ولنخلص لله رب العالمين فإن الله سينصرنا وقد وعدنا بذلك فقال:

«وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً» النور ـ ٥٥.

فلا خوف إذن على القدس إن سلكنا الطريق الصحيح لنصرتها بعيداً عن ردود الأفعال التي لا يمكن أن تعيد حقاً ضائعاً، ولا خوف على مستقبلنا إن وحدنا الطاقات والإمكانات واستوعبنا المعطيات الحضارية الحديثة ونقلناها واستفدنا منها، ولا خوف على شبابنا إن وجهنا فيهم روح المسؤولية والجدية، وقوينا الإيمان في نفوسهم بالوسائل المشروعة المختلفة، ولا خوف على الأسرة المسلمة إذا ما قمنا بعملية التوعية بين الآباء والأمهات والأبناء وفق تعاليم الدين وقيمه ومثله العليا.

فالعلة تكمن فينا لا في سوانا والتغيير لابد أن يأتي من ذاتنا ومن داخل كل فرد في الأمة حتى يغير الله أحوالنا إلى ما يحب ويرضى وصدق الله العظيم:

«إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم» الحجر ـ ٩



شهدت كلية الشريعة يوم ٢٢ ذو القعدة / الموافق ١٩٩٧/٣/٣١م ندوة حول القدس وواجب المسلمين تجاهها، ودورهم في إنقاذها من التهويد الذي يسعى إليه صقور وحمائم إسرائيل.
وبين المحاضرون أن تحرير القدس مسؤولية المسلمين كلهم، وليس مسؤولية الفلسطينيين وحدهم.

ملف العدد

كلية الشريعة في الكويت نظمت ندوة حول

تهويد القدس وتوحيد الخطاب العربي والإسلامي

جاء ذلك في الندوة التي عقدتها اللجنة الثقافية بالكلية تحت عنوان «تهويد القدس وتوحيد الخطاب العربي الإسلامي» التي شارك فيها حشد من العلماء والمسؤولين يتقدمهم أمين سر مجلس الأمة النائب أحمد باقر، والعميد السابق للكلية د. عجيل النشمي، والعميد الحالي د. محمد عبدالغفار الشريف، وأستاذ العلوم السياسية د. عبدالله الشايجي.

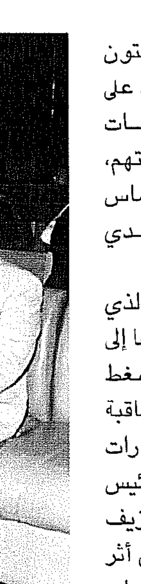
الجوانب السياسية للقضية

وفي بداية الندوة تحدث د. الشايجي عن الجوانب السياسية لقضية القدس فقال: تجب العودة إلى خلفيات القضية بوجه عام ومؤتمر مدريد بوجه خاص، الذي كان بمثابة فخ وقع فيه العرب وكان من نتائجه أن طبعت بعض الدول العلاقات مع إسرائيل التي تسعى لتهويد القدس وانتزاعها من تاريخها الإسلامي، وبين أن عملية السلام مغامرة لابد أن يخسر فيها طرف، وقد كان العرب للأسف هم الخاسرون بعدما هيأ الغزو العراقي الظروف المواتية لليهود لفرض ما يسمى بعمليات السلام والإرادة الدولية والنظام العالمي الجديد حيث تسعى الدول جميعا لتكون إسرائيل العصا الفاعلة في المنطقة.

وأضاف: لقد بدأ المفكرون الإسرائيليون بوضع خطط بنيت على أساس إجراء تفاوض مع العرب دولة دولة بدلاً من التفاوض الجماعي معهم فكانت السرية مع الفلسطينيين والأردن بعد إخراج مصر بتوقيع كامب ديفيد، ثم جاءت مفاوضات أوسلو التي ضيقت الأمور حتى وصل الأمر إلى غزة وأريحا أولاً وبعدها جمدت المفاوضات وأصبحت القدس غير محل للنقاش. الأمر الذي دعا ياسر عرفات إلى قبول تقسيمها، وقال الشايجي: لقد ضيع القدس التراخي العربي والإسلامي، فهناك موقف متخاذل من العرب في مواجهة التشدد الإسرائيلي، ولم تكن مفاوضات مدريد سوى مماطلة لإيهام العالم بأن اليهود دعاة سلام والواقع أن دخولهم هذه المفاوضات ليس سوى تضييع للوقت كما صرح بذلك بعض سياسييهم، واستطاعت إسرائيل بدهاء أن تشق الصف العربي، وأن تحقق انتصارات سياسية واقتصادية واجتماعية، فأحدثت اختراقات في تونس والمغرب ومصر وموريتانيا، وفي عُمان وقطر وتمكنت من إدخال تركيا في اتفاقات عسكرية معها من باب الضغط على سوريا ولبنان.

وأوضح أن التخاذل ليس من قبل العرب وحدهم، بل إن أمريكا أيضاً التي استخدمت الفيتو مرتين في أسبوع واحد في الوقت الذي التزم فيه العرب الصمت والسكوت.

وأضاف: أن ما تقوم به إسرائيل في جبل أبو غنيم وعزل القدس هو قطع للطريق على الفلسطينيين والعرب، وبين أن الموقف الأمريكي لم يعد نزيها أو عادلاً كما كان يقال، حتى أن دينيس روس ردد في جولته الأخيرة





ما يقوله نتنياهو، بل كرر الرئيس كلينتون وأولبرايت نفس المقولات وتم الضغط على رئيس السلطة الفلسطينية ياسر عرفات الذي استجاب لمطالبهم وخضع لرغباتهم، فقام بحبس ١٥٠٠ من ناشطي حماس وقتل أكثر من ١٠٠٠ فلسطيني بأيدي قواته.

وبين د. الشايجي أن الموقف الأمريكي الذي صدر عن الكونغرس ومجلس الشيوخ دعا إلى نقل السفارة الأمريكية إلى القدس والضغط اليهودي الذي أجبر حكومات أمريكا المتعاقبة على تقديم دعم لإسرائيل قدره ستة مليارات دولار سنويا، وقال: لقد استطاع رئيس الوزراء الإسرائيلي نتنياهو أن يثبت زيف عملية السلام الإسرائيلية ـــ العربية وعلى أثر ذلك بدأ تحرك عربي إسلامي في المنظمات العربية، كالجامعة العربية، ومنظمة المؤتمر الإسلامي ومجلس التعاون الخليجي وغيرها للوقوف في وجه التحركات الإسرائيلية الأخيرة ومع ذلك لم تتخل حكومة نتنياهو عن عزمها في المضي قدما لتنفيذ مخططاتها، وطالب الحكومات العربية بالمقاطعة وسحب السفراء العرب وإيقاف التطبيع بكل صوره في ظل الحكومة الحاخامية الحالية التي تحاط بعدد من المتطرفين اليهود الذين ينظرون للقضية من منظور توراتي، كما طالب العرب بوقفة قوية تجاه أمريكا وإسرائيل وبالتشدد في التعامل مع الصلف الصهيوني وبالنظر في العلاقة مع أمريكا لأنها هي التي تحرك إسرائيل.

الموقف المطلوب من المؤسسات الشعبية والرسمية

من جهته تحدث أمين سر مجلس الأمة أحمد باقر عن الموقف المطلوب من المؤسسات الرسمية والشعبية العربية تجاه تعامل إسرائيل مع قضية القدس فقال: إن هذه الندوة صرخة نرجو أن تخرج عن حيز الكلية إلى المستوى العام العربي وأوضح أن العرب دون مصر وشعبها ضعفاء في مواجهة التحدي الإسرائيلي، لذلك كان إخراجها من المواجهة ضربة قاسية للعرب والمسلمين انهار بعدها الموقف العربي الذي اكتمل انهياره بدخول صدام حسين الكويت وتمزيق الصف العربي.

وبين أن قرارات لجنة القدس قرارات ميتة وموقف مجلس التعاون الخليجي متهاون للغاية مع قضية في غاية الحساسية، كما أن القيادة الفلسطينية مواقفها مخزية لأن هناك من يملي القرارات عليها وعلى ملك الأردن فيلاقون الكثير من الذل والهوان، وقال: إن هناك ذلا كبيرا حتى في قرار الجامعة العربية والذي يناشد الدول العربية إعادة النظر في التطبيع بدلا من أن يعلن الجهاد أو تشكيل جيش لاسترداد الأرض السليبة، وكأنه امتداد للموقف المتخاذل للملك حسين الذي ذهب ليعزي أسر الإسرائيليين الذين أرداهم جندي أردني.

وأضاف ان من المسائل الخطيرة دفع مجتمعاتنا نحو العلمانية وهذه قضية مرتبطة بالموقف من القدس واستنكر حالة الغيبوبة العربية والإسلامية ومقاومة الحركات الإسلامية، كما استنكر الدعوة لحفلات الرقص والمجون التي نتج عنها التهويد في قضية القدس والإذعان لإسرائيل.

وقال: في ظل الموت الذي أصاب المؤسسات العربية الرسمية والشعبية فإنه يصعب إعادة الحياة إليها بسهولة، وطالب برفع شعار الجهاد لأنه الكفيل وحده بوقف الذل والهوان، وعليه يجب مطالبة الدول العربية بتحديث جيوشها وتسليحها وإعلان الاستنفار العام.

قضية فلسطين قضية المسلمين

ثم تحدث العميد السابق لكلية الشريعة د. عجيل النشمي فقال: إن قضية فلسطين، قضية المسلمين، وقضية القدس هي القضية المركزية للمسلمين، ولقد فرط المسلمون فيها طوال تاريخهم الحديث بعد سقوط الدولة العثمانية، وأكد أنها قضية شرعية بالدرجة الأولى، وينبغي أن تكون كذلك بحيث لا تطغى عليها الجوانب السياسية، بعدما حاول الاستعمار واليهودية الصهيونية أن يجعلوا منها قضية سياسية بالدرجة الأولى وكان لهم ما أرادوا.

وقال: نحن نعقد هذه الندوة لغايات شرعية يتعين على المسلم إدراك أحكامها وأبعادها وآثارها على واقع الأمة المسلمة وهذه الأسباب تتمثل في تحمل مسؤولية الكلمة وأمانتها بتبليغ دعوة الله وهديه وإبراء الذمة والوفاء بالعهد الذي أخذه الله تعالى على عباده، ولقد أخذ الله العهد على العلماء ألا يكتموا علماً شرعيا واجب البيان وتبصير المسلمين بواجب النصرة لإخوانهم في فلسطين، فقد بلغ بهم الحال ما يوجب النصرة التي يلحق المسلم الإثم في التقصير فيها، بالإضافة إلى حث حكام المسلمين بخاصة وشعوبهم بعامة على القيام بواجبهم كما تقتضي نصوص الشرع الحنيف وبالقدر الذي يرفع الإثم والمسؤولية الشرعية عنهم، وتنبيه حكام المسلمين بذلك لئلا تحدث

الفجـوة أو تتسع بينهم وبين شعـوبهم المسلمة نتيجة ما حـدث من مواقف متهاونة أو متخاذلة أو متواضعة فيما ينبغي أن يكون موقفهم موقـف النصرة من قضايا المسلمين عامة وقضية فلسطين خاصة.

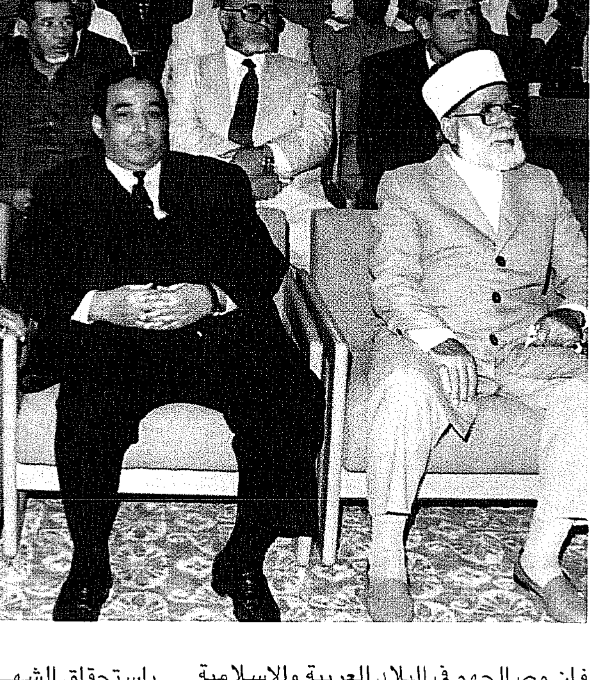
وقال د. النشمي: إن الجهاد مع أهل فلسطين فـرض عين لأن ظـروف الحرب التي تـدور رحاها منذ سنوات قـد دخلت منذ أمد مرحلة الـوجـوب العيني، فأصبح على كل مسلم أن ينـاصرهم ويجاهـد معهم، فقـد دوهمت أرضهم وانتهكت حـرمـاتهم وأخـرجـوا من ديارهم.

وقال: إن هذه الأحكام تشمل كل مسلم اليوم فإن جهـاده بما يستطيـع مع أهل فلسطين واجب عيني لا يجوز لـه التخلف عنـه، وأن كتاب الله في الآيات السابقة سيأتي شـاهدا لنا أو علينا فلينظر كل حاكم مسلم إلى واجبه ولينظر كل مسلم إلى نفسـه ماذا يستطيع أن يقدم.

وبين د. النشمـي أن الخروج لنصرة أهـل فلسطين واجب ولـو دون إذن الـوالـدين أو الحاكم.

وتحدث د. النشمي عن مـوقف الحكومـات الإسلامية قائلاً: إن أعداء الإسلام المناصرين لليهود في فلسطين قد أعلنـوا عن أنفسـهم فقد سقطت أقنعة التآمر عنهـم، ولم يعد بالإمكان البحث عـن مبررات أو وسـائل تضليل، فالجريمـة مشهودة والجناة بأيـديهم سلاح الجريمة، والمجني عليـه قد جـرد من وسائل الدفاع عن نفسه، كل هذا لم يعد يهم الشعوب الإسلامية، وإنما الذي يهمهم، والسؤال الذي يريد إجابـة أين حكام المسلمين من هذا كله؟ أليست القضيـة قضيتهـم؟ وإن لم تكن قضيتهم فإنها قضيـة الشعوب الإسـلامية، وقـد ارتضـت الـدول أن تضيف كلمـة «الإسلامية» إلى دساتيرها وهي كلمة عظيمة لها ضريبـة يجب أن تـؤدى، لها ضريبـة تاريخيـة تحمل تاريخ أعـز أمة وأكـرم أمة، لأنها تحمل رسالة النبي صلى الله عليه وسلم إلى البشرية كافة.

اهتزت عـروش أو أحست قلـوب أن الاعتذار بالأسباب لم يعد كافيا ولا مقنعا، إن المطلوب شرعا لتبرئة الذمة في الدنيا والآخرة أن تقوموا دولة دولـة، أو دولاً مجتمعة بقطع العـلاقات السياسية والاقتصاديـة مع العدو التاريخي للإسـلام والممول الـرئيسي لآلة الحرب، فإذا كانت مصالح أعـداء الإسلام في دعم اليهود،



فإن مصالحهم في البلاد العربية والإسلامية أهم وأخطـر، وعليكـم أيضـاً الضغط على أمريكـا وحلفائها بـورقة المصالح وأهمها البترول والعـلاقـات التجـاريـة ، والضـغط كذلك بالوسائل الـدبلوماسية في أروقة الأمم المتحـدة والمحـافل الـدوليـة وكشـف زيف ادعـاءات الديمقـراطيـة وحقوق الإنسـان، والحضارة الإنسانية الجديـدة التي تدعيها أعظم الدول وأقواها.

وعما يجب استخـدامـه شرعـا لـدفـاع أهل القـدس عن أنفسـهـم وأضـاف د. النشمي: مـادام العـدو قـد دخـل الأرض واحتلهـا، ورفض الهدنـة على ذلـة في المسلمين، فإن الـدفاع بكـل ما يستطيع أهل الـداخل فعلـه مشروع لهم.

اغتيال جنود العدو أمر جائز

فيشرع لهم الاغتيال لجند العدو ومن أعانهم من المدنيين وكـان ردءا لهم، كما يجوز قتل الأعداء بكل وسيلة يمكن فعلها.

ويجوز أن يفجـر المسلم نفسه ليقتل ارتـال الجنود، وسنـولي هذه القضية أهميـة فقهية خاصـة ،لأنها الوسيلة المتـاحة إلى حـد ما، ولأنها وسيلة مؤثـرة في العدو تأثيراً مباشرا على موقفه وقراراته، ولكي نرد على المشككين باستحقاق الشهـادة لمن يقوم بذلك واصفين إيـاه بالإرهـابي، فهنـاك فرق بين الإرهـاب والشهـادة وبين الانتحـار والشهـادة، فالانتحار هو أن يقتل الإنسان نفسه بنفسه كأن يطعن نفسـه بسكين أو يطلق على نفسه رصـاص بنـدقيـة أو يتحسى سماً، أو يلقي بنفسـه مـن شـاهق، أو يمتنـع عن الأكل والشرب، أو يترك جرحـه ينزف، وهـو قادر على وقفه.

أما الشاب الذي يقتل نفسه بحزام ناسف أو سيارة أو أي وسيلـة لا يعتبر منتحرا، إلا إذا قصد أن يقتل نفسه دون غاية من وراء ذلك، فإن كان قصده من التسبب بقتل نفسه بهذه الـوسائل إحـداث القتل والنكـايـة بالعـدو، وإعلاء كلمـة الله فـلا يعد منتحـرا، بل يعد شهيدا إن شاء الله، ولا شك أن التسبب بقتل النفس بفعل مبـاشر من الشخص أشـد على النفس من قتل الغير لـه، فهـذه شهـادة مع عزيمـة، وهذا الحكم ليس مطلقـاً، وإنما هو مقيد بقيـود، منها: أن يكـون قصد الفـاعل إعـلاء كلمـة الله والموت في سبيلـه وإعـزاز الدين، والعدو إذا احتل ارضاً مسلمة أو جزءاً منهـا وجب قتـالـه، وقتـالـه جهـاد، إلا إذا صـالحوه، ولا يجوز صلحه صلحا دائما على أن يأخذ جزءاً من أرض المسلمين، وأن يكون قتل النفس الطريق الـوحيد لإحداث القتل في

العدو أو الطريقة الأكثر تأثيرا بالعدو، فإذا غلب عليه الظن أن هذا الأسلوب في القتل لن يؤثر في العدو، ولن يحقق قتل أحد منهم، أو كانت هناك وسائل أنجح في تحقيق الغاية، فلا يقدم على هذا العمل، وأن يكون تقدير أثر قتل النفس بتلك الوسائل إلى جماعة لا إلى فرد، بحيث تقدر الجماعة المفاسد والمصالح، فقد يحدث هذا الفعل النكاية في العدو، ويحدث القتل فيه وبأعداد كبيرة، لكنه سيعود على غيره من أهل أو عشيرة أو جماعة بالأذى الأشد وسيقتل العدو منهم أضعاف ما قتل منه، أو قد يعرض مزيدا من الأعراض والدماء والأراضي للأذى والسلب، فذلك كله موكول إلى تقدير الجماعة لمن كانت له جماعة ولا يجوز الإقدام عليه فرديا أو دون دراسة متأنية ترجح فيها المصالح على المفاسد، فإن غلبت وتوافرت تلك الشروط كان الإقدام على العمل جائزاً إن لم يكن واجباً، ويقدم المسلم على قتل نفسه بتفجيرها، أو الهجوم وحده على العدو، مع يقينه أنه سيقتل.

وعلى ذلك فالشاب الذي يقتل نفسه بهذا الأسلوب مخلصاً نيته لله، مبتغياً إعلاء كلمة الله، ورجحت جماعته إعزاز الدين وإعلاء كلمة الله بفعله هذا، وتحقيق الأهداف المرتجاة وغلبة المصالح على المفاسد، فإنه أقدم على خير العمل، وشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله وهو معني بقوله تعالى: (ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤوف بالعباد) البقرة/ ٢٠٧.

وإذا قلنا إن إقدام المسلم على مثل هذا العمل طريقه قرار جماعته أو أميره، أو قائد جيشه ومن في حكمهم حذراً من أن يكون إقدامه على هذا العمل لا يحقق غايته، ويعود على عموم المسلمين بأشد من نكايته في العدو فإن الحكم يختلف لو كان الهجوم عليه من العدو واحدا أو أكثر، فيبادرهم حينئذ بكل ما يستطيع ولو بتفجير نفسه على ظن أنهم قاتلوه لا محالة ويقتل منهم أكبر عدد يستطيع، ولا يتقيد تصرفه حينئذ بما ذكرنا من رأي جماعته، ومراعاة المصالح، فحاله حينئذ حال من صال عليه العدو، فيجب عليه — على رأي جمهور الفقهاء — أن يقتل من هجم عليه وصال، لقوله تعالى: (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) البقرة/ ١٩٥، فإذا أسلم أمره لهم ليقتلوه، أو يستدلوا به على غيره، فقد ألقى بنفسه إلى التهلكة وربما تسبب في هلكة غيره، فإن قتل فهو شهيد، لقوله صلى الله عليه وسلم: «من قتل دون دمه فهو شهيد» حديث حسن صحيح.

بيان الفقهاء

ثم تلا عميد كلية الشريعة د. محمد عبدالغفار الشريف بيان العلماء في الكويت حيال القضية، وقال: إن المسجد الأقصى مبارك بنص القرآن الكريم وفيه صلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بالأنبياء، ومنه عرج إلى السماوات العلا.

والمسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، وأحد المساجد الثلاثة التي لا تشد الرحال إلا إليها، والصلاة فيه بخمسمئة صلاة، وأرض فلسطين من أقدس البقاع بعد أرض الحرمين الشريفين، وهي أرض أنبياء الله، إبراهيم وإسحاق ويعقوب ويوسف ولوط وسليمان وداود وزكريا ويحيى وعيسى، عليهم وعلى نبينا أزكى الصلاة السلام. وأضاف: يا حكام المسلمين الكرام، أيها المسلمون في أنحاء الأرض، إن مسؤوليتكم تجاه فلسطين والمسجد الأقصى عظيمة، فليست أرض فلسطين أرضا كباقي الديار، إنها حق وملك للمسلمين جميعا لا يجوز التفريط في شبر منها، ولقد نبه علماء المسلمين حكامهم وشعوبهم الى خطورة المخططات المرسومة دوليا لتمكين اليهود من فلسطين ومدينة القدس، ثم تبدأ مخططاتهم لتحقيق غايتهم من النيل إلى الفرات.

لقد استطاع اليهود بدعم الدول المناصرة لهم تحقيق وعد بلفور، ثم إعلان الدولة العام ١٩٤٨م، ثم كان منعطف الصلح مع اليهود وخطورته، وقد أعلن علماء المسلمين في كل مكان حرمة الصلح مع اليهود، وقالوا كلمتهم في أنحاء العالم الإسلامي قبل أن يبدأ الصلح والتطبيع ومنها فتوى الأزهر الشريف في يناير ١٩٥٦م.

وقال د. الشريف: إننا إذ نذكر بهذه الفتوى وبأمثالها من الفتاوى التي صدرت في أنحاء العالم الإسلامي نعلن بما أخذ الله علينا من عهد وميثاق في بيان الحق والنصح لحكام المسلمين وشعوبهم فيما افترض الله عليهم من واجبات. ■

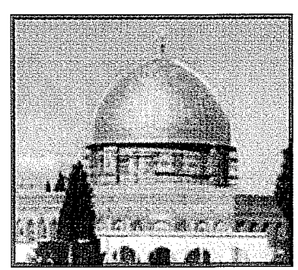
رسالة إلى الرئيس الأمريكي من جمعيات النفع العام الكويتية

بسم الله الرحمن الرحيم

فخامة رئيس الولايات المتحدة الأمريكية وليام كلينتون الموقر

إيمانا منا بأهمية الدور الذي تلعبه الولايات المتحدة الأمريكية بين أطراف النزاع في الشرق الأوسط، وانطلاقا من المبادئ والقيم السامية التي منحت شعبكم الصدارة والتقدم بين الأمم المعاصرة، نناشدكم بالتدخل السريع والفعال لإيقاف مشروع إقامة مستوطنة «حار هوماه» في جبل «أبو غنيم» بالقدس، فلقد كان لاستخدامكم حق النقض «الفيتو» في مجلس الأمن إزاء القرار الدولي المانع لمثل هذا المشروع وقع الصدمة والألم في أنفسنا حيث امتزجت مدينة القدس منذ فجر الإسلام الأول بعقيدتنا الدينية وثقافتنا العربية وهويتنا القومية، وجعلها الإسلام مثل مكة والمدينة إحدى مقدساته الثلاث بين مدن العالم، وأصبح المساس بها مساسا بعقيدة كل مسلمي العالم على سطح الأرض، ولم يكن استخدامكم حق النقض «الفيتو» إذنا للمضي في المشروع فحسب، بل كان إثارة لمشاعر أكثر من مليار مسلم، واستثارة لكوامن الغضب في صدور شعوبنا وأمتنا، ونحن إذ نأمل منكم يا فخامة الرئيس التدخل لمنع إقامة مستوطنة «حار هوماه» فإننا نعلم أن مثل هذا الاستفزاز لعقيدتنا سيعيد المنطقة كلها إلى أجواء التوتر والغليان.

وفي الختام، لفخامتكم ولشعبكم منا كل التقدير والاحترام.

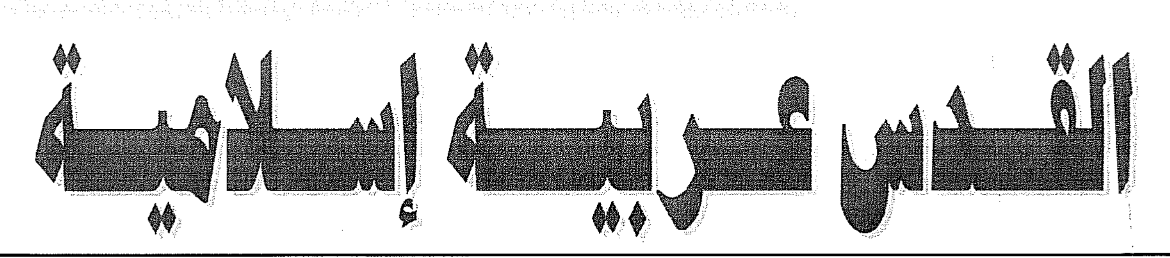


ملف العدد

تحقيق: حمدي الحلواني

تاريخ القدس.. تاريخ قديم.. قدم التاريخ نفسه.. حيث تجمع المصادر التاريخية على ان اليبوسيين من القبائل الكنعانية العربية هم الذين شيدوا القدس من مجموعة مدن على طريق المياه بين الشمال والجنوب في الألف الرابعة قبل الميلاد.. وكانت تعرف باسم «إيبوس» ثم سميت «أورسالم» نسبة إلى الملك سالم اليبوسي ملك «اليبوسيين» أي «دار سلام» ومن اشهر ملوكها ملكي صادق.

رغم المغالطات والإدعاءات الإسرائيلية



القدس عربية إسلامية

ولكن منذ سنوات قصيرة مضت بدأت إجراءات تغيير معالم القدس من جانب الكيان الصهيوني المحتل لها ،ومصادرة الأراضي العربية والتوسع في بناء المستوطنات وتكثيف الوجود اليهودي فيها من اجل تهويد المدينة وبقصد تزييف التاريخ والجغرافيا والأدهى من ذلك ومايثير في النفس غصة ان الإسرائيليين احتفلوا اخيراً بمرور ثلاثة آلاف سنة على تأسيس القدس.. من خلال مهرجان نظم تحت شعار «القدس ٣٠٠٠» بحجة مرور ثلاثة آلاف سنة على تأسيس القدس على يد الملك «داود» كعاصمة للدولة اليهودية علماً بأن عمر القدس الحقيقي هو خمسة آلاف سنة وليس ثلاثة آلاف.. وطوال خمسة الآلاف سنة لم تكن القدس يهودية إلا من خلال اربعمئة سنة فقط عندما جعلها الملك داود تحمل الصبغة اليهودية.. وهناك نصوص مصرية قديمة تعود الى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر قبل الميلاد تروي جانباً من تاريخ القدس.. وتعرف باسم وثائق تل العمارنة التي تشير الى ان العبرانيين عندما هاجموا القدس طلب حاكمها الكنعاني المساعدة من فرعون مصر لدفع هجماتهم.. وبالفعل تم القضاء عليهم في عهد مرنبتاح فرعون مصر الذي تولى الحكم بعد رمسيس الثاني.

وقد كان العبرانيون الذين وفدوا الى فلسطين يتشكلون من جماعات متعددة من المغامرين المتجولين والمرتزقة والجنود.. ثم استقروا بين سكان أرقى منهم.. فتعلموا الحرث والبناء والقراءة والكتابة وورثوا المظاهر الاساسية للحضارة الكنعانية.

وتستمر خطة تزييف التاريخ من خلال الممارسات الاسرائيلية بافتتاح نفق البراق اسفل المسجد الاقصى.

إن ماتفعله اسرائيل هو تبديد للهوية الفلسطينية.. وحرمان شخصيتها من وجودها القانوني والتاريخي.. وحرب للذات الاسلامية وحرمانها من دورها في حماية المدينة المقدسة.

حول هذه القضية المهمة لدى المسلمين في مشارق الارض ومغاربها لما تمثله القدس بالنسبة لهم يدور هذا التحقيق.

بيعة المسجد الأقصى

في البداية يقول الدكتور احمد محمد فهمي عميد كلية اللغة العربية فرع جرجا جامعة الأزهر:–

إن التاريخ الحقيقي للقدس يؤكد ان الملك سالم اليبوسي الكنعاني العربي هو الذي اسس مدينة القدس عام ٣٥٠٠ق.م اي انه قد مضى على تأسيس المدينة على يد العرب ٥٥٠٠عام.. والقدس جزء من التكوين العقائدي للمسلمين فهي قبلة المسلمين الأولى.. ومسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبداية معراجه، وقبل ذلك فقد شهدت نقلة هائلة للدعوة الاسلامية لكي تنطلق إلى العالمية حيث التقت مكة المكرمة بالقدس، والمسجد الحرام بالمسجد الأقصى.. فقد جمع الله تعالى الأنبياء

كلهم واخذ عليهم البيعة لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم قال تعالى: ﴿وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلك إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين﴾ آل عمران/ ٨١.
فمن هذه البيعة التي تمت في المسجد الأقصى انطلقت عالمية الاسلام.. ومن هنا كانت القدس جزءاً من العقيدة..لذا فإن بقاء القدس في يد المسلمين يكفل لأهل الأديان الاخرى ان يزوروا مقدساتهم وهو ماحدث طوال العهد الاسلامي حتى الحروب الصليبية.

سند شرعي

ويضيف الدكتورفهمي قائلا: لقد اكد التاريخ ان مظلة التسامح التي قدمها المسلمون لكل قادم او ساكن في هذه المدينة المقدسة لايمكن ان تتوافر في غيرهم.. خصوصاً وان مبادىء التلمود والبروتوكولات اليهودية تجعل اليهود ليسوا ككل الناس فهم ينظرون الى غيرهم نظرة دونية مما يعرض هذه المدينة المقدسة للأخطار وهي تحت سيطرتهم كما ان المسلمين قدموا ارقى صور التسامح والإخاء مع غيرهم، مما يعطيهم السند الشرعي لحماية المقدسات، لأن من مبادىء الاسلام احترام الاديان واحترام معتنقيها.. ويحكي التاريخ ان خليفة المسلمين عمر بن الخطاب رضي الله عنه رفض ان يصلي في احدى كنائس القدس حتى لايتخذ ذلك سبباً او ذريعة لهدمها او ادعاء حق من بعض المسلمين عليها.

صراع سياسي

ويؤكد الدكتور على: ان النزاع حول فلسطين هو نزاع سياسي في المقام الاول.. حيث تسللت الجماعات الصهيونية في أواخر القرن التاسع عشر إلى فلسطين لاحتلالها من سكانها الاصليين سواء كانوا مسلمين أو مسيحيين وهذه هي اهداف الاستيطان اليهودي التي ساعدت عليه دولة كبرى.

صراع ديني

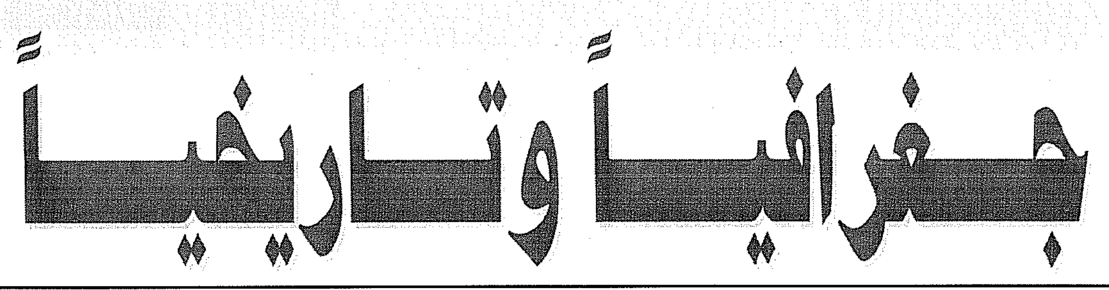
أما الصراع حول القدس فهو صراع ديني.. يشترك فيه المسلمون والمسيحيون معاً في مواجهة المطامع الصهيونية التي بلغت ذروتها في الآونة الاخيرة.. فالمخاطر التي تصيب القدس توجب ان يتحد العالم العربي مسلمين ومسحيين لمواجهته لانه خطر عظيم على اهل الاديان جميعاً.. فلقد حاول اليهود كثيراً هدم المقدسات الاسلامية والمسيحية في هذه المدينة المقدسة.. وما إحراق المسجد الاقصى وتكرار العدوان عليه وعلى المصلين فيه ليس ببعيد عن الذاكرة..

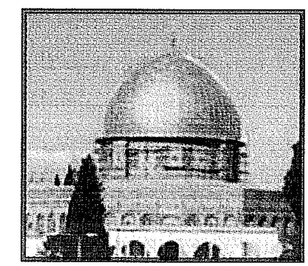
انتماء روحي وهوية تاريخية

الدكتور/ أحمد شلبي استاذ التاريخ والحضارة الإسلامية في كلية دار العلوم – جامعة القاهرة: أكد ان للقدس مكانتها الكبرى في جميع الأديان وهي بالنسبة لأهلها من الفلسطينيين ارض يملكونها وتاريخ ينتمون اليه ووطن يعيشون فيه وفي الشرائع كلها وفي القانون الدولي المعاصر ايضا لاتنتهك الملكية ولا يسرق التاريخ ولاتضييع للوطن، لأن الانتماء ليس مجرد حبر على الورق ولكنه انتماء بالروح وهوية يعيش الانسان من دونها فاقداً لوجوده ووعيه التاريخي..
ومنذ فجر تاريخنا– نحن المسلمين– والقدس تفتح أبوابها لكل القادمين اليها لحرية الأديان وصيانة لحقوق العقيدة واحتراماً للمبادىء الإنسانية.

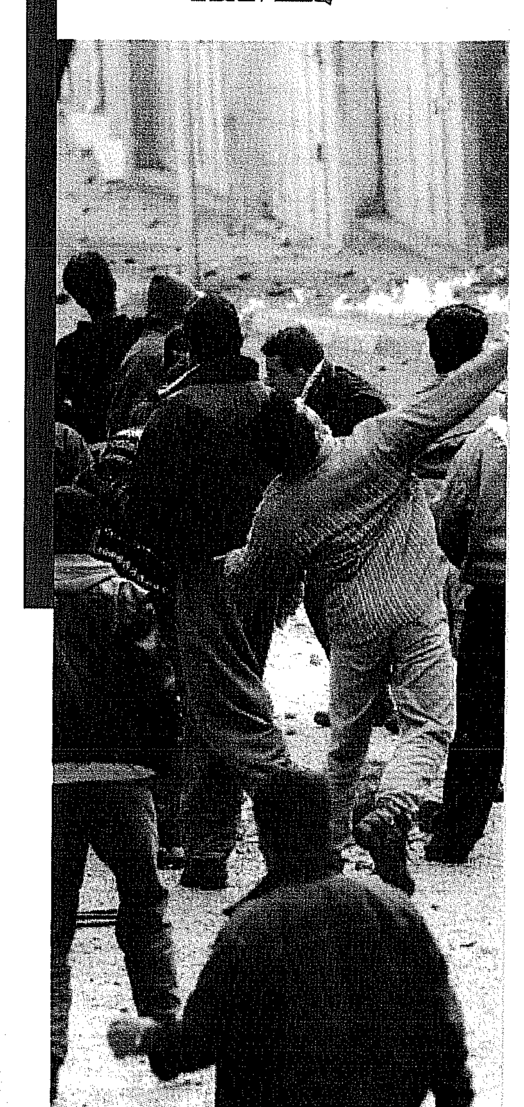
تشويه حقيقة الإسلام

واضاف الدكتور/ احمد شلبي قائلا: لايوجد في دقائق التاريخ كله وثيقة واحدة تثبت ان المسلمين قد اخلوا بهذا الواجب او تقاعسوا عن هذا الدور او تنكروا لحقوق الأديان في هذه المدينة المقدسة، ولكن وبعد اكثر من ١٤ قرناً من تاريخ إشراق الاسلام على الوجود يأتي من يحاول بالقوة او بالخديعة ان يغيّر وجه الحقيقة والتاريخ.. وان يسلب اهل الدار أرضهم وديارهم ووثائق ملكيتهم.. ويسلب اهل الاديان حقا حماه لهم الإسلام على امتداد التاريخ شهد بذلك غير المسلم قبل ان تنطق به وثائق التاريخ الاسلامي الصحيحة وشهادات المنصفين من اهل الغرب ومفكريهم.
ويؤكد ان قضية القدس ليست قضية حدود سياسية يحلها علم





ملف العدد



الجغرافيا فقط، ولكنها قضية انسان يراد اسقاط تاريخه ووطنه ودينه والتنكر لوجوده وهويته الاسلامية ويرغب الكثيرون من اعداء الانسانية في قيام حرب ضروس تشوه حقيقة هذا الدين السمح. «الاسلام».

شاهد من أهلها

ونحن نرى في الوثائق التاريخية الصحيحة - والكلام مايزال للدكتور احمد شلبي- التي كانت قبل الاحتلال انه لاحق لليهود اطلاقا في هذه المدينة المقدسة، وان ادعاءاتهم الأثرية في هذه المنطقة للبحث عن الهيكل ليست إلا دعاوى وخرافات واساطير، فقد صرح «مائير بن دوف» احد علماء الآثار اليهودية بأن كل الاكتشافات التي ادعوها من هذه الحفريات كانت معروفة وهي لاتعدوا أن تكون إلا شبكة بنائية تتكون من بعض الأبنية التي اقيمت في عهد الصليبيين مما يدل على انه لا توجد أية آثار يهودية.

العهدة العمرية

أما الدكتور/ رضا عبد المجيد استاذ القانون الدولي في كلية الحقوق جامعة - اسيوط- فيشير الى ان العهدة العمرية والمقصود بها انه منذ السنة الخامسة عشرة للهجرة وهي السنة التي دخل فيها الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه فلسطين واعطى اهلها كتاب الصلح والمسلمون وغيرهم مع المسيحيين يعيشون تحت ظل الأمان الاسلامي وقد حميت انفسهم واموالهم وكنائسهم ولايضار منهم احد، وفي هذه المعاهدة دليل ايمانهم منذ خمسة عشر قرناً في الحفاظ على هوية القدس الشريف كمدينة مقدسة يحج إليها النصارى ويزورها المسلمون.

القدس والشرعية الدولية

وسألت محدثي: كيف يمكن حماية القدس من هذه المخالفات والمغالطات التي تستهدف تغيير معالمها وتهويدها؟!

فرد قائلا: هنا لابد من التفريق بين خطابين: الاول موجه الى الخارج حيث ينبغي ان نعتصم بعناصر الشرعية الدولية في القدس التي تحاول اسرائيل تقويضها وتحل محلها شرعية مزعومة.

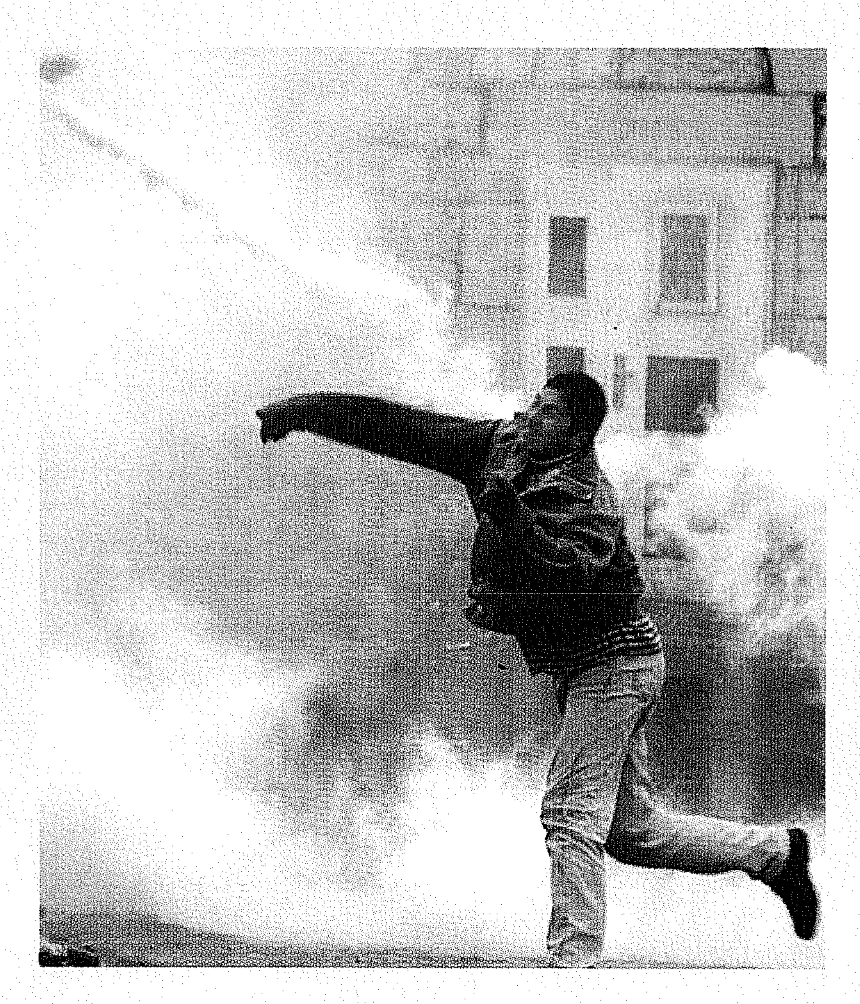
وتتمثل عناصر الشرعية الدولية لقضية القدس في الاركان التالية:

الاول من هذه الشرعية الدولية: يتمثل في قرار الأمم المتحدة عام١٩٤٧م والخاص بتقسيم فلسطين الى الدولة العربية والدولة العبرية.. حيث اشار القرار الى القدس بوصفها كياناً مستقلاً تخضع لإدارة دولية.. وقد قامت اسرائيل بناءً على هذا القرار ولكن الفلسطينيين أجّلوا قرارهم إلى عام١٩٨٨م.

الثاني: يتمثل في قرارات مجلس الأمن والتي تؤكد ان للقدس مكانة خاصة وان القدس الشرقية جزء من الضفة الغربية، وهي مناطق محتلة، ولايجوز لاسرائيل تقرير مصير

القدس جزء من العقيدة الإسلامية فهي اولى القبلتين وثاني المسجدين وثالث الحرمين ومسرى رسول الله ومبدأ معراجه

من مبادىء الإسلام تعطي المسلمين السند الشرعي لحماية المقدسات الإسلامية والمسيحية



القدس من طرف واحد، كما لايجوز لاسرائيل تغيير معالم القدس، وان ماتصدره من قرارات هي قرارات ملغاة لأن القانون الدولي يسمو على كل القرارات الداخلية.

الثالث: يتمثل في موقف مصر من القدس في التسوية المصرية الاسرائيلية، والمسجل في الخطابات المتبادلة بين اطراف التسوية.. هذه الوثائق تعتبر جزءاً من الشرعية الدولية في قضية القدس.. فقد اكدت هذه الوثائق انه يجب ان يظل الوضع القانوني المتميز للقدس الذي نص عليه قرار التقسيم.. ومن ثم ينبغي الاعتصام بهذه القوانين الدولية لأن القانون في اطار السلام اقوى منه في حالة الحرب.

الرابع والاخير: يتمثل في القرارات التي اصدرها مجلس الامن عن المستوطنات اليهودية، وكذلك المذكرة التي اصدرتها وزارة الخارجية الامريكية عن هذه المستوطنات، وقد ظهرت هذه المذكرة مرة واحدة ثم اختفت بعد ذلك.. وقد نشرت المذكرة الامريكية في مجلة «المواد القانونية الدولية عام١٩٧٥م».

البعد الإسلامي للقدس

اما الثاني فهو الخطاب الداخلي الذي يجب ان يركز على البعد الإسلامي لقضية القدس. حتى تستمر حية في ضمير الناس، فقد سبق ان وقعت القدس تحت الاحتلال الصليبي ٢٤٠عاماً، ولكن المسلمين استطاعوا بقيادة البطل «صلاح الدين الايوبي» استعادتها وتحريرها، لأنها ظلت حية في عقيدتهم ووجدانهم...

الإعلام الإسلامي

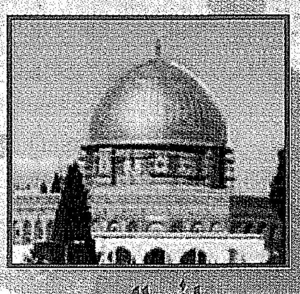
وينبه الدكتور رضا عبد المجيد الى ضرورة اهتمام الاعلام الاسلامي بقضية القدس قائلاً:

ان وضع قضية القدس في الحيز العربي فقط لايكفي، وانما ينبغي وضع هذه القضية في بؤرة اهتمام الاعلام الاسلامي في الدول الاسلامية كافة، فلا شك ان تأثير مليار و٢٠٠مليون مسلم اكبر واقوى من تأثير ١٢٠ مليون عربي.

ويؤكد ايضا على ان البعد التاريخي والديني وحدهما لايكفيان. وانما يجب ان تساندهما القوة، وهذا يتطلب وحدة الصف العربي وتنشيط خطوط الاتصال مع العالم الاسلامي.. وايضا قيام المنظمات والمؤتمرات واللجان التي تشكلت من اجل القدس بدورها المهم المنوط بها. ■

الصراع حول القدس صراع ديني يوجب اتحاد المسلمين والمسيحيين معاً لمواجهة هذا الخطر الذي يهدد الأديان جميعاً

الاعتصام بالشرعية الدولية والاهتمام بالبعد الإسلامي ووحدة الصف العربي سبيلنا لمواجهة هذا التهويد



ملف العدد

لماذا لا يصلح اليهود لحماية تراث الأنبياء والمرسلين؟

عربية.. لا عبرية

بقلم: محسن عبدالشافي القوصي

إن حركة التاريخ التي تخضع لسنة الله في الحق والعدل لن تظل سائرة في طريقها المنحرف.. إنها لابد أن تعود إلى طريقها الذي يريده الله تعالى.

وها هو حال القدس الطاهرة التي كتب عليها أن تقاسي الآلام العظيمة الموازية لمجدها العظيم، إنها لمدينة جميلة حزينة وقورة، ترك التاريخ معالم عبئه الثقيل عليها وعلى شعبها، والمتمثل بكوارث الحاضر الصهيوني، والمجهول المرعب الذي ينتظر مستقبلها إذا لم يستيقظ ضمير الإنسانية المخدر بالأكاذيب الإعلامية الصهيونية.

لقد وصف «القانونيون» ورجال السياسة في العالم «وعد بلفور» بأنه وثيقة من أغرب الوثائق في التاريخ.. إنه وثيقة بمقتضاها قطعت أمة وعدا رسميا لأمة أخرى بمنحها بلاد أمة ثالثة... إنه عطاء من لا يملك لمن لا يستحق..!

وفي تحليل سياسي للصحافي الإنجليزي «مايكل أدامز» نشرته الغارديان يتوجه فيه «أدامز» إلى مواطنيه الإنجليز قائلاً: «إن تصريح بلفور» كان تصريحاً ظاهره البراءة وباطنه الخداع — وهذا أمر ينبغي على كل إنجليزي أن يتذكره عندما يتأمل الموقف الحالي في الشرق الأوسط».

ويصف الأستاذ القانوني «هنري كتن» الملابسات التي أصدرت وعد بلفور في الثاني والعشرين من نوفمبر ١٩١٧م بقوله: «إن العرب قد خُدعوا خدعة ترقى إلى مرتبة الخيانة»!(١).

بيت المقدس:

وبيت المقدس له مكانة عالية ومنزلة رفيعة في الإسلام، ففي القرآن المكي، (سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله) الإسراء ـ١.

وفي الحديث الشريف: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم، ومسجد الأقصى» متفق عليه.

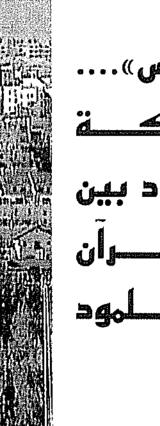
والحديث النبوي: «فُضّلت الصلاة في المسجد الحرام على غيره بمئة ألف صلاة، وفي مسجدي بألف صلاة، وفي مسجد بيت المقدس بخمسمئة صلاة» رواه أحمد بن حنبل، ويقول أبو ذر الغفاري: قلتُ لرسول الله: يا رسول الله أي مسجد وضع في الأرض أول؟ قال المسجد الحرام، قال قلت: ثم أي؟ قال المسجد الأقصى، قلت: كم كان بينهما؟ قال: « أربعين سنة» متفق عليه.

مزار شريف:

ولهذه القداسة، وبناء على هذه المكانة، نظر المسلمون إلى بيت المقدس على أنه مزار شريف، ومنزل مبارك، وموضع مقدس كريم... فشدوا إليه الرحال، وأحرموا منه بالحج والعمرة، وزاروه لذاته بغية الصلاة والثواب، وأحاطوه برعايتهم الدينية الكريمة.(٢).

وقد أحرم الخليفة عمر بن الخطاب نفسه بالحج والعمرة من المسجد الأقصى، كما أحرم منه سعيد بن العاص، وقدم سعد بن أبي وقاص قائد جيش القادسية إلى المسجد الأقصى فأحرم منه بعمرة — وكذلك فعل الصحابة عبدالله بن عمر، وعبدالله بن العباس، ومحمود بن الربيع الأنصاري الخزرجي.

أما الصحابة والفقهاء وأعلام الفكر الإسلامي الذين زاروا بيت المقدس، وبعضهم أقام فيه، فهم أكثر من أن يحصوا، وحسبنا أن نذكر بعضهم لندلل على المكانة الدينية التي احتلها بيت المقدس في فكر المسلمين وحضارتهم، فمن



«القدس».... معركة الوجود بين القرآن والتلمود

هؤلاء(٣): أبو عبيدة بن الجراح، وصفيّة بنت حُيي زوج الرسول صلى الله عليه وسلم، ومعاذ بن جبل، وبلال بن رباح، وعياض بن غنم، وعبدالله بن عُمر، وخالد ابن الوليد، وأبو ذر الغفاري، وأبو الدرداء عويمر، وعبادة بن الصامت، وسلمان الفارسي، وأبو مسعود الأنصاري، وتميم الداري، وعمرو بن العاص، وعبدالله بن سلام، وسعيد بن زيد، ومرة بن كعب، وشداد بن أوس، وأبو هريرة، وعبدالله بن عمرو بن العاص، ومعاوية، وعوف بن مالك، وأبو جمعة الأنصاري — وكل هؤلاء من صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم.

ومن التابعين والفقهاء الأعلام(٤): مالك بن دينار، وأويس القرني، وكعب الأحبار، ورابعة العدوية، والأوزاعي، وسفيان الثوري، وإبراهيم بن أدهم، ومقاتل بن سليمان، والليث بن سعد، ووكيع بن الجراح، والإمام الشافعي، وأبو جعفر الجرشي، وثوبان بن يمرد، وذو النون المصري، وأبو العوام مؤذن بيت المقدس، والإمام الغزالي، والإمام أبو بكر الطرطوشي، والإمام أبو بكر العربي، وأبو بكر الجرجاني، وأبو الحسن الزهري... ومئات غيرهم من العلماء والأولياء.

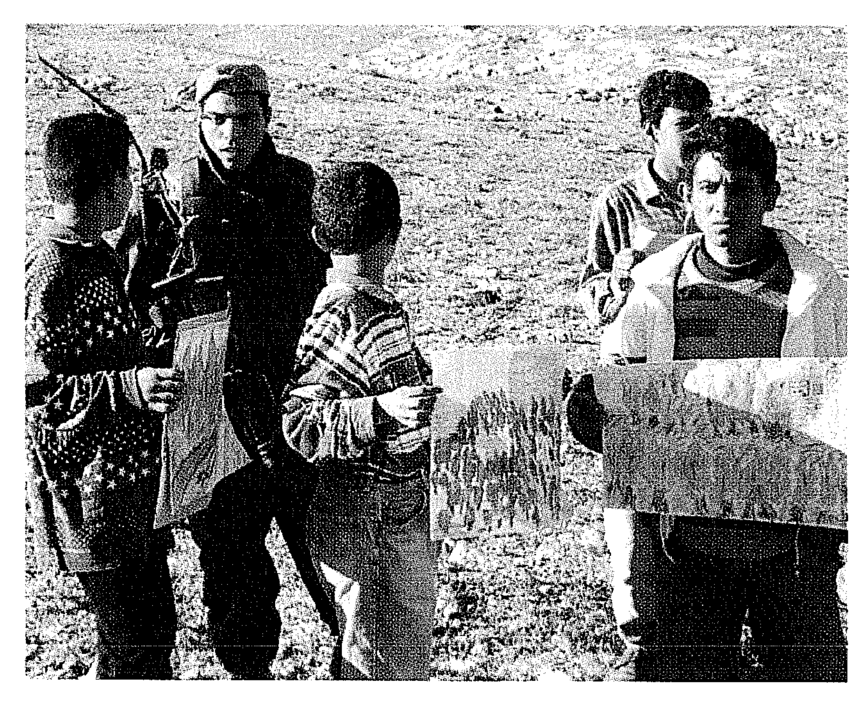
ومن الخلفاء الذين زاروا بيت المقدس: عمر ابن الخطاب، ومعاوية، وعبدالملك بن مروان، وعمر بن عبدالعزيز، والوليد بن عبدالملك، وسليمان بن عبدالملك الذي همّ بالإقامة في بيت المقدس، واتخذها عاصمة لدولته بدل دمشق، والمنصور والمهدي، وغيرهم من خلفاء الأيوبيين والمماليك والعثمانيين.

حماية بيت المقدس مسؤولية من...؟!

والمسلمون جميعاً يؤمنون أن بيت المقدس وما حوله إنما هو أرض مقدسة لا نستطيع أن نفرط فيها إلا إذا فرطنا في تعاليم ديننا.

ونحن المسلمين الذين نؤمن بكل الأنبياء ونكرمهم وننزههم عن كل نقص.. بدءاً من آدم ونوح وإبراهيم... وحتى موسى

وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام.
وليس في ديننا نص واحد، لا في القرآن ولا في السنة النبوية ينسب إلى أي نبي فاحشة أو جريمة أو كذباً.
(آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله..) البقرة - ٢٨٥.
(قولوا آمنا بالله وما أُنزل إلينا وما أُنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون) البقرة - ١٣٦.



مسؤولية إنسانية عامة:

وبالتالي: وانطلاقاً من هذا الإيمان الكامل، نقف نحن المسلمين حماة لكل التراث والمقدسات الدينية السماوية، وذلك بأمر ديننا الذي مثّل آخر حلقة في سلسلة الوحي السماوي، والذي حمل أتباعه - نتيجة هذا - مسؤولية إنسانية عامة.
(كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) آل عمران - ١١٠.
(وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل) الحج - ٧٨.

موقف اليهود من الأنبياء:

وحقيقة هذه المسؤولية العامة وقيمتها تتضح إذا قارنّاها بالموقف اليهودي من الأنبياء، وهو ذلك الموقف الذي لا يؤهلهم لأي لون من ألوان الحماية أو الهيمنة على أيّة مقدسات دينية في الأرض.
إن التوراة نفسها - والأناجيل والقرآن أيضاً — تصفهم في مواضع عديدة بأنهم «قتلة الأنبياء» و «أولاد الأفاعي» و«الضالون العميان» و«الملعونون بكفرهم».
«قال الرب: ها أنذا جالب شراً على أورشليم ويهوذا، وأدفعهم إلى أيدي أعدائهم غنيمة ونهباً لجميع أعدائهم لأنهم عملوا الشر في عيني» (سفر الملوك الثاني) ٢١ / ١٢ - ١٥.
وتقول: «ها أنذا جالب الشر على هذا الموضع وسكانه من أجل أنهم تركوني، وأوقدوا لآلهة أخرى لكي يغيظوني بكل عمل أيديهم فيشتعل غضبي على هذا الموضع ولا ينطفىء» سفر الملوك الثاني ٢١/١٦ و ١٧.
وتقول:
«إن الله قال اذهب، وقل لهذا الشعب: اسمعوا سمعاً ولا تفقهوا، وأبصروا إبصاراً ولا تعرفوا، غلظ قلب هذا الشعب، وثقّل أذنيه، وأطمس عينيه، لئلا يبصر بعينيه ويسمع بأذنيه ويفهم بقلبه» (سفر أشعيا).
وتقول:
«وصار مرشدوا هذا الشعب مضلين، لأجل ذلك لا يفرح الرب بفتيانه ولا يرحم يتاماه وأرامله، لأن كل واحد منهم منافق وفاعل شر» (سفر المكابين الثاني).
وتسجل كتبهم التاريخية أنهم قتلوا من الأنبياء «حزقيال، وأشعيا بن آموص، وآرميا، وزكريا، والسيد الحصور يحيى بن زكريا»، كما أنهم حاولوا قتل عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام، وتواطؤوا ضدهما وضد أتباعهما.
وفي التوراة أن إسرائيل «النبي يعقوب» أصر على محق العرب الكنعانيين وعدم الاعتراف لكنعان بحق الحياة (حتى لو اعتنق العرب اليهودية) لأنها دين إسرائيل وحده، وهذا كلام محرّف لأن يعقوب نبيٌّ لله ولا يمكن أن يصدر عنه هذا التصرف الظالم.
وفيها أيضاً أن كل البشر غير اليهود «كلاب» وخدم لليهود في أصل الديانة!!
أما التلمود وهو كتابهم المقدس الثاني فيقول لهم: «استيلاء اليهود على ما يملكه القوييم «أي غير اليهود» حق، وعمل تصحبه المسرّة الدائمة».
ويقول:
«يستحق القتل كل القوييم «أي غير اليهود» حتى ذوو الفضل منهم»!!
وأخيرا — فهل يمكن أن يؤتمن أناس هذه تعاليم كتبهم المقدسة على التراث الديني أو على الحضارة البشرية؟! — ويقول القرآن عنهم: (.... ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق) البقرة - ٦١.
فهل يصلح أناس — هذا موقفهم — لحماية تراث الأنبياء والمرسلين؟!
وأين موقف الإسلام والمسلمين - إذن - من موقف اليهودية واليهود؟
— ومن يا ترى — أولى بحفظ التراث وحمايته؟! ■

المصادر:

(١) فلسطين في ضوء الحق والعدل - هنري كتن ص ١٠.
(٢) بيت المقدس في ضوء الحق والتاريخ د. عبدالحليم عويس ص ٣٢.
(٣) الأنس الجليل ٢٦٠ - ٢٦٦.
(٤) الطبقات الكبرى لابن سعد ٧/٤٠٦.

الاستنساخ.. فكرة يرفضها المنطق، وضد الشرع

إعداد: محمود رمضان محمد

مجرد أن تناقلت وكالات الأنباء ووسائل الإعلام المختلفة خبر استنساخ النعجة «دوللي» وبعض الحيوانات الأخرى في أماكن مختلفة، حتى ثارت زوبعة مازالت توابعها تتناقلها وسائل الإعلام بين مؤيد ومعارض، وخائف مما سيحدث فيما بعد خصوصاً بعد أن أكد العلماء أن التجارب على البشر ستجنى ثمارها بعد سنوات قليلة.

معارضة قوية

فكرة نسخ الإنسان، فكرة تتعارض مع الشريعة الإسلامية، وعارضها معظم من أخذ رأيهم، فعلى سبيل المثال: أجري استفتاء بالتلفاز في أمريكا على عينة عشوائية من (١٠٠٥) أشخاص من البالغين لأخذ رأيهم، وكانت النتيجة موافقة ٧٪ على نسخ أنفسهم في حالة نجاح التجربة (لو نجحت؟)، وفي المقابل رفض التجربة ٩١٪، وقال ٧٤٪ منهم إن نسخ الآدميين ضد إرادة الله.

ونشرت المطبوعات العالمية الإعلامية التعليقات الساخنة والرافضة بقوة لموضوع الاستنساخ، فذكر سكرتير المجلس الأوروبي أن الاستنساخ (فكرة غير مقبولة)، وأكدت وزيرة البحث العلمي الفرنسي: «الاستنساخ في الإنسان موضوع يجب عدم التفكير فيه).

موقف الدين الإسلامي

تلك الفكرة المجنونة التي عرضت من قبل في أفلام الخيال، وقدمتها السينما العالمية في بعض أفلامها، ثم محاولة العلماء الفعلية وتجاربهم لاستنساخ «ضفدع» ونجاحهم في عام ١٩٦٢م، ونحن لسنا ضد التجارب العلمية التي تخدم البشرية ولكننا ضد ما يتعارض مع القيم الإسلامية والشريعة الإسلامية. ولابد لنا قبل كل شيء أن نبحث عن النتائج الأخلاقية للعلم.

وقد اعترفت كل البلاد المتقدمة بهذه الحقيقة المهمة، لأنها لمست هذه الحقيقة عن قرب من خلال تجارب مباشرة أدى فيها التقدم العلمي والتكنولوجي إلى إثارة مشكلات أخلاقية لها خطورتها الأخلاقية الكبرى، مثلما حدث عند ظهور حبوب منع الحمل، وما تبعه بعد ذلك من مشكلات أخلاقية وخصوصاً في الدول المتحررة التي تسمح بالاختلاط.

عبث علمي

يرى الدكتور عبدالله النجار الأستاذ بكلية الشريعة والقانون جامعة الأزهر أن ما يحدث هو «نوع من العبث العلمي، وهو يخرج عن ضوابط البحث العلمي المشروعة، لأنه ينطوي على إفساد الفطرة الالهية في خلق الإنسان والأشياء. ومعلوم أن للبحث ضوابط يجب أن يتقيد بها وهو أن يحصل في حياة الناس فائدة ولا يؤدي إلى إفساد العقيدة، والاستنساخ يخرج عن هذه الضوابط ولا تتحقق منه الفائدة بالنسبة للبشرية ومن ثم يكون حراماً.

محرم علمياً

ويضيف الدكتور أحمد شوقي إبراهيم زميل كلية الأطباء الملكية في لندن: أن الاستنساخ مكروه تماما لأنه محرّم علميا، وهذا يدخل في نطاق الهندسة الوراثية، وإذا كانت الهندسة الوراثية نجحت في عمل سلالات نباتية جديدة في القمح أو الذرة وهكذا وهذا مسموح به، ولكن أن يتم هذا على الإنسان فهذا محرم قطعاً لأنه يدخل في نطاق تغيير خلق الله.

خروج عن العرف

إن عملية الاستنساخ تعتبر خروجاً عن العرف، والطبيعة، فالمعروف وكما يشير الدكتور محمد عبدالحميد يحيى أستاذ أمراض النساء والعقم بطب عين شمس: أنه يجب أن نذكر أن الله جعل تكاثر المملكة الحيوانية عن طريق اتحاد الحيوان المنوي مع البويضة التي تنغرس بعد انقسامها في الرحم ثم تستمر في النمو لأعضاء الكائن الحي، وفي الإنسان تتكون كل خلية من ٤٦ كروموزوما فتبلغ ٢٣ كروموزوما، وبذلك عندما يحدث اتحاد بينهما يكون العدد ٤٦، وهو ما يميز الإنسان عن غيره من المخلوقات، ومن المعروف أنه ليس هناك خلية قادرة على الانقسام وتكوين مخلوق جديد بخلاف البويضة الملقحة، وبعد انقسام البويضة الملقحة إلى خليتين أو أربعا فإن أخذ بويضة ملقحة واحدة وأخذ خلية بعد انقسامها لإنتاج نسختين متطابقتين وهكذا، فتكون هذه التوائم الناتجة من هذه العملية متطابقة تماماً، وهي هنا نتجت عن اتحاد بويضة وحيوان منوي، وتمت تجربة هذه الطريقة على الفئران ونجحت ونشرت منذ عدة شهور، ولكن الأخطر في تجربة النعجة دوللي أن العلماء أنتجوا نسخة مطابقة للأم دون استخدام أي جينات من ذكر عن طريق التكاثر اللاجنسي، وبذلك يمكن إنتاج نسخة مطابقة من كائن موجود بالفعل.

وبعد

لا شك أن كل مسلم يرفض مثل هذه التجارب أو مجرد التفكير فيها، ولكن الرفض وحده لا يكفي، لابد من إصدار قانون سريع وحاسم يجرم ويحرم إجراء مثل هذه التجارب في بلادنا بأي طريقة من الطرق.

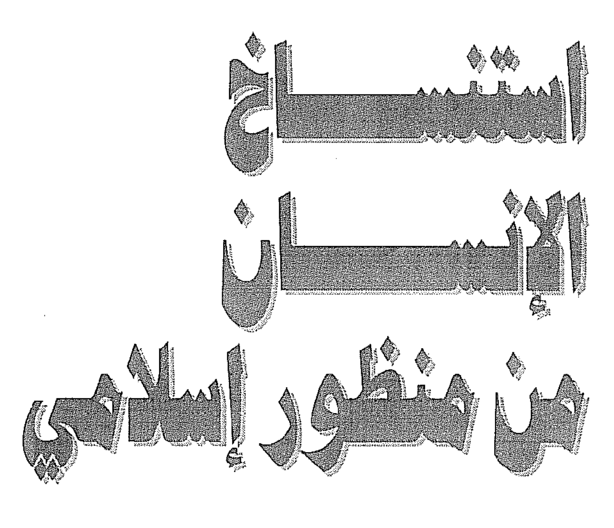
وإذا كنا سمحنا بمثل هذه التجارب لخدمة الزراعة لتحسين السلالات، فلن نسمح بأي حال من الأحوال تطبيقها على البشر وتغيير ما وهبته لنا الطبيعة. وبما أسبغ علينا الخالق سبحانه وتعالى من نعم. ■

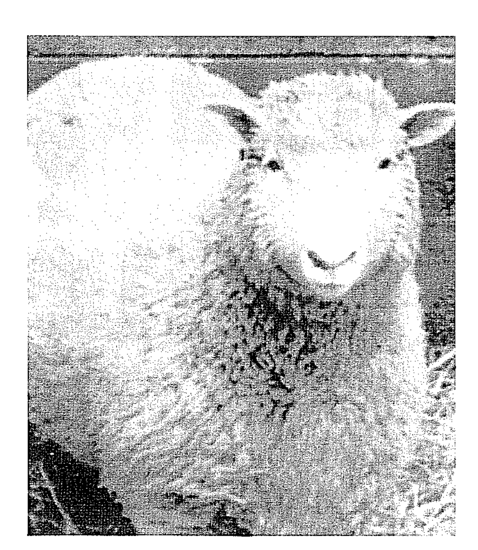
أسانيد:

١ ـ جريدة «الأهرام» ١٩٩٧/٣/٧م.

٢ ـ جريدة «عقيدتي» العدد ٢٢٤.

٣ ـ د. فؤاد زكريا «التفكير العلمي».





أسئلة خطيرة ومهمة تدور في بالي الآن منها هل تستطيع أن تحتفظ بطفلك في الثلاجة حتى تستخرج ما يسمى ببدل فاقد لو تاه أو هرب أو... أو؟
أو هل يمكنك أن تكوّن ملامح عربية شرقية دون غيرها يابانية كورية؟
إلى غير ذلك من علامات الاستفهام التي بدأت تظهر على السطح في الفترة الأخيرة حتى تكررت عبارة الاستنساخ والتي بدأت بالفعل في بريطانيا في العام ١٩٩٦م بقدوم المفاجأة الجديدة «دوللي» ودوللي هي أول نعجة تولد عن طريق عملية الاستنساخ الحيوي التي بدورها يمكن أن تنتقل إلى الإنسان.
ولقد تعددت الآراء من الوجهة الإسلامية حول ظاهرة الاستنساخ وشرعيتها وهل يمكن أن تنتقل إلى الإنسان؟ سؤال محير والإجابة عليه تحتاج إلى العديد من البحث والتنقيب.

بقلم: محمد مرسي محمد مرسي

إن هذا الاستنساخ الجيني هو إنجاز علمي له وزنه، ويدل على عظمة الخالق، إلا أن تطبيقه هو الذي سيجعل الحكم الديني والأخلاقي عليه سلبياً أو إيجابياً، فالنظام الذي صنعه الله تعالى في خلقه ينطوي على الدليل القاطع على عظمة الخالق والجزيئيات الدقيقة «الجينات» التي خلقها الله تعالى في الأمر بالاستعانة بهذه العلوم لتحقيق الانتفاع بها، بما ينسجم مع النظام الإلهي في الخلق والإبداع، وهذا شيء لا ضير فيه، أما إذا كان هذا الإنجاز ينطوي على العبث بنظام المكونات الدقيقة للفطرة الإنسانية بما يعود على الإنسان نفسه بالضرر فهذا مرفوض في الإسلام رفضاً تاماً، فالأصل أنه لا يجوز للإنسان على الإطلاق أن يعتدي على البنية الإلهية ظاهرا أوباطنا، وعلى هذا فإن الاستنساخ الجيني محرَّم شرعاً إذا مس هذه البنية.

أما عن الظاهرة البريطانية حول النعجة «دوللي» فقد حضرت بعض الندوات التي ناقشت هذه الظاهرة فنجد أن أساتذة الكيمياء الحيوية يقولون إنه قد يقع الكثيرون في خطأ تجاه هذه التجربة، حيث إن العلماء توصلوا إلى إيجاد طريقة حمل بتعديل الصفات الوراثية والذي حدث لم يشمل تعديلاً في الصفات الوراثية وحتى يكون، يهمنا أن نوضح هذه التجربة بالتفصيل:

١ ـ تم الحصول على بويضة من الشاة الأم واستخرجت منها النواة.

٢ ـ تم الحصول على خلية عادية من شاة أخرى واستخرجت منها النواة.

٣ ـ تم وضع نواة الخلية العادية في البويضة.

٤ ـ وضعت البويضة في رحم الأم فتم تكاثرها إلى أن أنجبت الأم شاة.

وحيث إن الموروثات «الجينات» موجودة في نواة الخلية، فقد أصبحت الشاة المولودة تحمل نفس الصفات الوراثية التي تحملها الشاة التي أخذت منها النواة لوضعها في البويضة هذا بالمقارنة مع حالات الحمل الطبيعية التي يحمل فيها الجنين موروثات نصفها من الأم «عن طريق البويضة» ونصفها الآخر من الأب عن طريق الحيوان المنوي، ويجب أن نتذكر أنه تمت بنجاح تجربة مماثلة منذ حوالي ٢٠ عاماً قام بها العالم «جرند» على الضفادع.

أما عن تجربة الشاة فإن هذه التجربة لم تشمل اختيار خليط معين من الصفات الوراثية ولكنها اشتملت على اختيار مجموعة من الصفات الوراثية الموجودة مع بعضها في كائن حي معين ويجب مناقشة ذلك من ثلاث نواح... الدينية، والاجتماعية الأخلاقية، والعلمية.

وعن الناحية العلمية يقول: إن هذه التجارب ترمي بصفة مبدئية إلى الحصول على شخص يحمل نفس الصفات الوراثية التي يحملها شخص آخر، وليس الحصول على خليط معين من الصفات الوراثية، وإذا أمكن حدوث مثل ذلك في الإنسان، فإنه لا يعني أن الشخص الجديد وإن كان يحمل نفس

الموروثـــات التي يحملهـــا الشخص الأصلي سوف يكـون صـورة طبق الأصل منـه وذلك لأن صفات الشخص لا تتحدد فقط عن طريق الموروثـات ولكنهـا أيضاً تتحـدد عن طـريق عـوامل أخـرى، والـدليل على ذلك أن التـوائم التي تنتج عن انقسام بـويضة واحدة تحدث بينها بعض الاختـلافات كـاختلاف بصمات الأصابع بالرغم من التشـابه الشديد بين هذه التوائم.

والحقيقـة أن الخوض في هذه التجـارب ليس مأمـون الجانب، حيـث إن استخـراج النـواة الأصلية من البـويضة واستبـدالها بنواة من خليـة أخرى قـد يعـرض البـويضة والنـواة الجديـــدة لبعض التغيرات التـي تـؤدي إلى عـاهات وتشـوهـات في الجنين خصوصـاً أن الموروثات حساسة جـداً للمؤثرات الخارجية مثل الأشعة والكهرباء والتي يلزم استخدامها لإدخـال النـواة الجديـــدة داخل البـويضـة وتنشيط البـويضـة للانقسـام والتحـول إلى جنين، ويجدر بالذكر هنا أن مرض «فقر الدم المنجلي» ينتج عن تغيير ضئيل جـداً في تركيب الموروثات «١ من ٣ آلاف مليون».

هـذا من النـاحيـة العلمية، أمـا من النـاحيـة الاجتماعية الأخلاقيـة فنجد أنه سبق للعلماء التحـذيـر من الاقتراب من هـــذا الموضــوع الخطير وتـوقعوا كـوارث اجتماعية لأن هـذه الجينـات تحمل خصائص وراثيـة تتنقل من جيل إلى جيل وتلعب دوراً، اللـــه وحـده أعلم بأسراره، فـامتـداد الأيـدي البشريـة إلى هـذا الجين من شأنه أن يؤدي إلى كوارث بشرية.

إن الجسم وحـدة متكاملة تتسـانـد وتتفـاعل وتتعاون في القيـام بدورها داخل هـذا الكيان المتحرك مثل القاطرة التي صنعت لتجر ثلاث عـربات، فـلا يمكن أن تجر أكثر وإلا حـدثت كارثة.

فـالـذكاء الشـديد مرتبـط بسمات أخرى فإذا رفعت الذكاء مع بقاء تلك السمات يحدث خلل في الشخصيـة، أيضاً رفـع كفاءة العضـلات، فـالجنس البشري ليس أجـــزاء وإنما وحـدة متكاملة إذا غيرنا في جزء منها مع بقاء الباقي، لابـد أن يحدث خلل فينتج مجرم مجنـون أو أبلـه، أو أمـراض عضـويـة مثل الكسـاح أو ضعف أعضـاء معينة، ولذلـك عندمـا ظهرت الهندسة الوراثية ارتفعت الأصوات بالتحذير ونادت بـالتوقف عنهـا لخطورتها، فـالمسألة ليست مجرد أرقـام أو عـــلاقـات سلبيـة أو إيجابية داخل مكـونات وإنما سر من أسرار الله عز وجل فـالجسم جعلـه الله متكاملاً في وظائفـه فلو كان الجين هو الأسـاس فهو لا يعمل بمفرده.

ونتساءل هنا عن الـداعي لكل ذلك، وقد أراد اللـه عز وجل أن نكـون متفاوتين لمصلحـة البشرية، فلماذا نتدخل في إرادة الله؟ لابد من وجـــود الخير والشر والاختـــلاف للتقـــدم والتنافس للتطور فقد قـال عز وجل: (ولولا دفع اللـــه النـــاس بعضهـم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرن اللـه من ينصره إن الله لقوي عزيز) الحج ـ ٤٠.

فكيف يكـون حـال الأرض إذا كـان النـاس نسخة واحدة، كلهم أشرار أو كلهم أخيار أو كلهم أذكيـاء!، وقد قـال عز وجل: (ورفعنـا بعضهـم فوق بعض درجـات ليتخذ بعضهم بعضـــاً سخـريـــا ورحمة ربك خير ممـــا يجمعون) الزخرف/٣٢



أما من النـاحيـة الـدينية أو الشرعية فنجد أن مـوضوعا كهذا من الدقة والحساسية بمكان، فأنا لا أرى أن يقطع شخص واحد برأيه فيه، بل تكون هناك لجنة من الأطباء الشرعيين، تقـوم بـدراسـة إيجابيـــاتها وسلبيـــاتها والأمور المختلفة التي يمكن أن تترتب عليـه، بعـــد ذلك يعرض نتائج هـذه الدراسة على مجلس فقهي ويـــدرس المجلس هذه المسألة دراسة مستوفية من جميع الوجوه، ثم تأتي الفتـــوى الشرعيـة فإن تحققنـا فعـلا مـن وجـود مخاطـر أو أضرار أو كانت متوقعـة أو محتملة فالأصل المنع من ذلك لأن من القواعـد المقررة شرعاً «الضرر يـــزال»، وهـذا ضرر يجب إزالتـــه ومنعه، حيث إن القاعدة الشرعية قول النبي صلى اللــه عليـه وسلم «لا ضرر ولا ضرار» فإذا كان التغيير ضرورة تقتضيهـا مصلحة الفـرد أو المجتمع كتغيير سلوك إجـرامي أو العلاج والوقاية من مرض معين وثبت علميا إمكان ذلك فهـو جائز، أمـا إذا توقع الضرر من جراء مثل هذه العمليات فهي حرام شرعاً لتوقع الضرر، لأن القاعدة الشرعية «ما أدى إلى حرام فهو حرام».

أيضاً إذا كـان التلاعب في مكونـات الإنسان لتغيير خلق اللـه أو يخشى منـه وقوع هـذا التغيير فهـو حـرام، وقـــد حكى القـرآن عن إبليس تـوعده للعبـاد بـذلك فقال عـز وجل: (ولآمرنهم فليغيرن خلق الله) النساء/١١٩، كما نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن تغيير خلق اللـــه في الحديث الشريـف: «لعن اللـــه الـواشمات، والمستـوشمات، والنـامصـات، والمتنمصـات والمتفلجـات للحسن، المغيرات خلق اللـــه» رواه أحمد والبخـــاري ومسلم والأربعة.

هذا في المسائل الشكلية السطحية فما بال من يتـلاعب في الجينـات التـي هي أسـاسيـات الخلق والتكـــوين فـالتجـارب في المنـــاطق المختصة بالخلق تدخل في إرادة الله عز وجل ويكفي العلماء والأطباء أن يتجهـوا إلى علاج الأمراض والأوبئة والظـواهر المرضية لتأمين مستقبل البشريـــة الصحـــي والابتعـــاد عن التجـارب الـداخلة في علم الغيب، فالـذكـاء وغيره من القـدرات العقليـــة قضـاء وقـدر والتدخل للتحكم فيها تدخل في القدر فقد قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الشريف «كل شيء بقضاء وقدر حتى العجز والكيس» رواه الترمذي.

الحقيقة أنها قضية شائكـة ومتداخلة ونأمل من القـراء أن يكتبـوا حـــول هـذه القضيـة وبخـاصـة الأطباء الشرعيين والفقهاء واللـه الهادي إلى سواء السبيل.

الإنسان والعلم

الحقائق الشرعية حول الوجود الإنساني في الطبيعة

بقلم الدكتور: رضا عبدالحكيم إسماعيل رضوان

يقول الحق تبارك وتعالى: (هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه) هود - ٦١.

كيف ظهر الإنسان ذلك الموجود العاقل الذي ينسب إليه إعمار الأرض؟!..

إنه سؤال يحار في شأن الإجابة عنه فلاسفة وأساطين الفكر الغربي وعلماؤه، ولاسيما شراح علم الإنسان Anthropologie، والذين أضناهم البحث في أصل الجنس البشري الذي ينحدر منه الإنسان... وما صادفه علماء الإناسة يصادفه كذلك أصحاب العلوم الطبيعية المنبثقة عن هذا العلم، كما في علم الأعراق البشرية Ethnologie وهو علم يتعقب أصل السلالة البشرية، ونفس القول ينصرف إلى العلوم الأخرى المتصلة بالعلمين السابقين، كعلم الإحاثة «المطمورات» Palontologie وبحوثه حيث تدور حول دراسة أشكال الحياة في العصور الجيولوجية السالفة كما تمثلها المتحجرات أو المستحاثات الحيوانية والنباتية، وعلم الإحياء (البيولوجيا) الجزيئية La Biologie Molculaire، وعلم الوراثة.

ونسجل في السطور التالية أحدث ما وصل إليه علماء الطبيعة... ونحاول من بعد أن نضع بداية أو مقدمة توضح أصل الوجود الإنساني في الطبيعة، وذلك من منظور الشريعة الإسلامية.

إن محاولات التثبت من أصل الوجود الإنساني في الطبيعة.... رغم تقدم مناهج البحث العلمية المعاصرة، وقد فشلت فشلاً ذريعاً، ولن يقوى على ذلك علماء الأرض ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا.. تصديقاً لقوله تعالى: (وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء) العنكبوت - ٢٢، كما أن عرض خلاصة ما توصل إليه علماء الطبيعة، يؤكد قول الحق فيهم (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) الإسراء - ٨٥.

بدايات الوجود الإنساني عند علماء الطبيعة

ينبغي أن يكون معلوماً - بادىء ذي بدء - أن العلوم الطبيعية المهتمة بدراسة أصل الجنس البشري، مهما تنوعت موادها ...... مستمدة في معظمها من أبحاث العالم «تشارلز داروين» في القرن الماضي، مع ملاحظة أن المكتشفات الحفرية والدراسات المتقدمة في الزمن التالي، قد دحضت كثيراً من فرضيات هذا العالم، ولا نكاد الآن نتحصل من العلماء المحدثين على فرضية ثابتة أو نظرية موحدة.....

والمتتبع لعلماء الطبيعة - طبقاً لفكرهم المادي - يرى أنهم يبدأون بتحقيق الوجود الإنساني من خلال المكتشفات الحفرية التي تضم بقايا الهياكل العظمية الإنسانية.. ويقدرون العمر التقريبي لهذه العظام مع محاولة تحديد أقرب صورة جسمانية لأصحابها، ثم يجرون مضاهات للأوصاف الجسدية بين الإنسان المكتشفة حفرياته بحفريات عظام أخرى قد تقع في زمن ماض أو زمن لاحق على الاكتشاف الحفري، وكان من نتائج هذا المنهج المادي في البحث أن انتهى العلماء إلى تأكيد أن الجنس الإنساني قد تبدل وتغير تكوينه وخاصة على مدى الزمان.

وينتهي العلماء إلى أن الهيئة الحالية للإنسان قد استقر عليها منذ ٤٠ ألف سنة فقط، ولم تثبت الحفريات عكس هذه النتيجة فهيئة إنسان اليوم وتكوينه هي التي كان عليها منذ ذلك الزمان الغابر، والحفريات التي استند إليها العلماء في ترتيب تلك النتيجة، مكتشفات العام ١٨٦٨ في كهف بفرنسا في منطقة كرومانيون، وهكذا أطلق العلماء على جنسنا البشري في تكوينه الحالي ومنذ ٤٠ ألف سنة «إنسان كرومانيون» نسبة إلى مكان اكتشاف البقايا الحفرية المثبتة للنتيجة السابقة، والمسمى العلمي الحالي للإنسان Homo Sapiens Sapiens أي الإنسان العاقل المفكر.(١)

ويذكر العلماء أن ثمة إنساناً اختص بصفات تكوينية جسدية وعقلية مغايرة كإنسان كرومانيون، قد انقرض من الطبيعة منذ حوالي ٣٠ ألف سنة، وحيث يضرب هذا النوع بجذور نشأته ووجوده على الأرض إلى ٢٣٠ ألف سنة، ويسمي العلماء ذلك النوع «إنسان نياندرتال»

نسبة إلى مكان اكتشاف حفرياته في وادي نيساندر بالقرب من دولسدروف في ألمانيا العام ١٨٥٦.

بنى العلماء معايير التمييز بين إنسان كرومانيون وإنسان نياندرتال على أساس اختلاف الأوصاف البدنية الجسدية، والإمكانات العقلية والفكرية، والخصائص النفسية، وقال العلماء التقليديون إن إنسان نياندرتال أدنى مرتبة عن قرينه إنسان كرومانيون، وأنه ضخم الجثة ومنخفض الذكاء وآكل لحوم البشر، ومن صفاته التشريحية للوجه ـ كما يقرر العلماء ـ أنه ذا أنف عريض ويبرز في وجهه حافة عظمية سميكة للحاجبين في أعلى عينيه، وذقنه ضعيف البنية وجبهته عالية عن إنسان كرومانيون الحديث، وتميل جمجمته للخلف بانخفاض، ووجهه في الجزء الواقع أسفل العين كان ناتئاً نحو الأمام، مما يجعل عظام الوجنات تميل للجانب ولا تتجه للأمام كما هي حال عظام وجنات إنسان اليوم، ولقد تغيرت تلك المفاهيم إثر العديد من المكتشفات الحفرية الحديثة، حيث يقرر العلماء المحدثين التقاء المكنات العقلية والفكرية بين نوعي الإنسان، على خلاف الفرضية السابقة، كذلك لم يكن إنسان نياندرتال متوحشاً بل كانت له صفات الرحمة والشفقة، كما وأن درجة ذكائه تقترب من درجة ذكاء الإنسان الحديث.

أضف إلى ما تقدم قول بعض العلماء ان إنسان نياندرتال كانت له صفات إنسان اليوم، ولكن بصورة مختلفة، ويرجح آخرون احتمال حدوث تهجين بين نوعي الإنسان، وحيث عاشا سوياً حقبة تاريخية معينة، ونقض غيرهم هذا الافتراض، وجدير بالذكر أنه نشر أخيراً في مجلة «الصانداي تايمز» أنه ظهرت مكتشفات حفرية في أسبانيا تثبت أن إنسان نياندرتال قد انقرض منذ مدة أقرب من ٣٠ ألف سنة، الأمر الذي فتح الباب على مصراعيه لتبني فرضيات جديدة.(٢)

ويرد العلماء أصل إنسان نياندرتال وأصل إنسان كرومانيون إلى سلف مشترك انحدار هذين الإنسانين منه وهو الإنسان قائم الظهر، منتصب القامة، والذي يسميه العلماء Homo erectus والذي سجلته بقايا حفرية في أفريقيا وآسيا (٣)، ويقرر العلماء أن ذلك الجنس ظهر منذ خمسة ملايين سنة، ولم يفسر لنا العلماء كيفية انشطار ذلك الجنس إلى نوعية «الكرومانيوني والنياندرتالي»، وكل ما ذكروه أن الإنسان القائم هاجر من أفريقيا إلى أوروبا عبر آسيا الغربية منذ ما يتراوح ما بين مليون وسبعمئة ألف سنة.

وعن الأصل السلفي الذي انحدر منه الإنسان منتصب القامة، أفاد فريق من العلماء التقليديين أن هذا الجنس قد انحدر متطوراً من نوع سابق له، هو الإنسان الساعي على أربع، والذي يمثل الصورة الأولى لبدايات الأجناس والتي تفرع منها الجنس البشري. عاش هذا الجنس البدائي الساعي على أربع قبل خمسة ملايين سنة، ويسرد العلماء تحول هذا الجنس وانتصاب قامته ـ حيث كان يعيش في شرقي أفريقيا ـ انه في الحقبة التي سبقت ٥ ملايين سنة وتمتد إلى ١٢ مليون سنة خلت، ان الغابات والأشجار التي كان يعيش عليها الإنسان قد عانت من جفاف مفاجيء فلم يتبق من حياة البرية سوى الأعشاب الطويلة، واقتضى ذلك أن يقطع الإنسان مسافات شاسعة بحثاً عن الغذاء، لم يكن في استطاعته قطعها إلا منتصب القامة، وهنا... هنا فقط، حدث التحول المزعوم! بيد أن مكتشفات تقنية حديثة قد أثبتت عكس ذلك، ومازالت الافتراضات العلمية والبحوث والدراسات المتخصصة قائمة على قدم وساق.(٤)

هذا هو مبلغ العلم الذي أفرزته الدراسات العلمية الحديثة حول فجر الإنسان ومقدمة ظهوره في الطبيعة.. فما الذي حققه العلماء؟! وهل كانوا منطقيين فيما طرحوه حول تنوع البشر وتسلسل أجناسه منذ بدايات الخلق؟!

حقيقة الوجود الإنساني في الشريعة

لا يمكن إغفال الجانب العقائدي عند دراسة موقف الشريعة من قضايا الفكر المعاصر أياً كانت مادته، فهناك حقائق شرعية لا يجوز لعلمائنا أن يحيدوا عنها، فمن المعروف أن الإسلام يحض الإنسان على الفكر والإبداع والبحث العلمي، ويضع من القواعد ما يكفل تنقية الفكر وضبطه وتوجيهه، ومما لا شك فيه أن موضوع البحث في أصل بدايات الوجود الإنساني على الأرض، لن تكفي معه النتائج المتحصلة من المعطيات المادية، حسب مناهج علماء الطبيعة، إن الشريعة لا تعارض البحث في أصل الجنس البشري وتطوره ودراسة عاداته وتقاليده ومعتقداته، لما في ذلك من عموم الفائدة والاعتبار، ومع ذلك فإنه لا مناص من التصدي للمسلمات التي أقرها الشارع تبارك وتعالى في محكم آياته، وتناولتها السنة النبوية الشريفة. فالشرع الإسلامي ضرب حقائق غيبية فأصبح التسليم بها أمراً مقضياً، لا مجال للاجتهاد فيها أو حتى مجرد التثبت منها، يقول العليم الخبير «قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده فأنى تؤفكون» يونس ـ ٣٤.

والمنهج الإسلامي في دراسة أصل الإنسان يقتضي فرد مساحة للتعريف بالحقائق الثابتة في المصدر السماوي.(٥)

الإنسان الأول

يذكر الطبري ـــ طيب الله ثراه ـــ كان مما حدث في أيام سلطانه وملكه أن خلق الله ـ تعالى ذكره ـ أبانا آدم أبا البشر، وذلك لما أراد جل جلاله أن يطلع ملائكته على ما قد علم من انطواء إبليس على الكبر ولم يعلمه الملائكة، وأراد إظهار أمره لهم حين دنا أمره للبوار، وملكه وسلطانه للزوال، فقال ـ عزّ ذكره ـــ لما أراد ذلك قال للملائكة: (إني جاعل في الأرض خليفة) البقرة ـ ٣٠، فأجابوه بأن قالوا له: (أتجعل فيها من يُفسد فيها ويسفك الدماء) البقرة ـ ٣٠، وروي عن ابن عباس أن الملائكة قالت كذلك للذين كانوا قد عصوا من أمر الجن الذين كانوا سكان الأرض قبل ذلك، فقالوا لربهم جل ثناؤه لما قال لهم: (إني جاعل في الأرض خليفة) اتجعل فيها من يكون

فيها مثل الجن الذين كانوا فيها، فكانوا يسفكون فيها الدماء ويفسدون فيها ويعصونك، ونحن نسبح بحمدك، ونقدس لك، فقال تبارك وتعالى لهم: (إني أعلم ما لا تعلمون)، يقول أعلم ما لا تعلمون من انطواء إبليس على التكبر، وعزمه على مخالفة أمري، وتسويل نفسه له بالباطل واغتراره، وأنا بعد ذلك لكم منه لتروا ذلك فيه عياناً.

يروى عن ابن عباس أنه قال: خلق آدم من ثلاثة: من صلصال، ومن حمأ، ومن طين لازب، فأما الطين اللازب فالجيد، وأما الحمأ فالحمئة، وأما الصلصال فالتراب المدقق، ويعني تعالى ذكره ــ بقوله (من صلصال) الحجر ـ ٢٦، من طين يابس له صلصلة، والصلصلة: الصوت.. وذكر أن الله ـ تعالى ذكره ــ لما ضمر طينة آدم تركها أربعين ليلة، وقيل أربعين عاماً جسداً ملقى.

قال تعالى لملائكته: (إني خالق بشرا من طين. فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين) ص ــ ٧١ و ٧٢، ويشرح ابن إسحاق قول الذكر الحكيم بقوله: خلق الله آدم، ثم وضعه ينظر إليه أربعين يوما قبل أن ينفخ فيه الروح، حتى عاد صلصالاً كالفخار، ولم تمسه نار، وقال: فلما مضى له من المدة ما مضى وهو طين صلصال كالفخار، وأراد الله عز وجل أن ينفخ فيه الروح، تقدم إلى الملائكة فقال لهم: إذا نفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين.. فلما نفخ فيه الروح أتته الروح من قبل رأسه.. ويذكر محمد بن إسحاق: أنه لما انتهى الروح إلى رأسه عطس فقال: الحمد لله، قال: فقال له ربه: يرحمك ربك، ووقعت الملائكة حين استوى سجوداً له، حفظاً لعهد الله الذي عهد إليهم، وطاعة لأمره الذي أمرهم به، وقام عدو الله إبليس من بينهم فلم يسجد متكبرا متعظما بغيا وحسدا، فقال له: (يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي أستكبرت أم كنت من العالين. قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين) ص: ٧٥ و ٧٦، قال: فلما فرغ الله تعالى من إبليس، ومعاقبته وأبى إلا المعصية، أوقع الله تعالى عليه اللعنة، وأخرجه من الجنة، يقول تبارك وتعالى: (فاخرج منها فإنك رجيم. وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين) ص: ٧٧ ـ ٧٨.

وفي تفسير قوله تعالى: (وخلق منها زوجها) النساء ـ ١، قال مجاهد: حواء من قصيري آدم، وهو نائم فاستيقظ فقال: «أثا» بالنبطية، امرأة... ويروى عن قتادة... ذكره: يعني حواء، فخلقت من آدم من ضلع من أضلاعه.

أسكن الله تبارك وتعالى آدم وزوجه الجنة فمكنهما في جنته من رغد العيش وهنيئه، فلما أسكن الله ــ عز وجل ــ آدم عليه السلام وزوجه جنته أباح لهما أن يأكلا كل ما شاءا أكله من كل ما فيها من ثمارها، غير ثمر شجرة واحدة ابتلاء منه لهما بذلك، وليمضي قضاء الله فيهما وفي ذريتهما، كما قال عزّ وجلّ: (وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين) البقرة ـ ٣٥.

وعن محمد بن قيس قال: نهى الله تعالى آدم وحواء أن يأكلا من شجرة واحدة في الجنة، ويأكلا منها رغدا حيث شاءا، فجاء الشيطان فدخل في جوف الحية، فكلم حواء، ووسوس إلى آدم فقال: (ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين. وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين) الأعراف: ٢٠ و ٢١، قال: فقطعت حواء الشجرة فدميت الشجرة، وسقط عنهما رياشهما الذي كان عليهما، (وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين) الأعراف ـ ٢٢، ويذكر ابن إسحاق: حُدثت أن أول ما ابتدأهما به من كيده ـ يقصد الشيطان ـ إياهما أنه ناح عليهما نياحة أحزنتهما حين سمعاها، فقالا له: ما يبكيك؟ قال: أبكي عليكما تموتان فتفارقان ما أنتما فيه من النعمة والكرامة، فوقع ذلك في نفسيهما، ثم أتاهما فوسوس إليهما، فقال: ﴿يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى﴾ أي تكونا ملكين أو تخلدان.. فلما أكلا منها ـ كما يذكر ابن زيد ـ بدت لهما سوءاتهما، قال: وذهب آدم هارباً في الجنة، فناداه ربه: يا آدم، أمنيّ تفرُّ؟ قال: لا يارب، ولكن حياء منك، قال: يا آدم، أنّى أُتيتَ؟ قال: من قِبَلِ حواء يا رب..

قال تعالى: (اهبطوا بعضكم لبعض عدو) البقرة ــ ٣٦، وفي رواية عن مجاهد في تفسير هذه الآية، قال: آدم وحواء وإبليس والحية.

الوجود الإنساني على الأرض

روى عن ابن عباس قوله: أُهبط آدم بالهند وحواء في جدة، فجاء في طلبها حتى اجتمعا، فازدلفت إليه حواء فلذلك سُميت المزدلفة وتعارفا بعرفات، فلذلك سميت عرفات، واجتمعا بجمع فلذلك سُميت جمعاً ـ قال: وأُهبط آدم على جبل بالهند يقال له: بوذ....

ويذكر الطبري قول آخرين بأنه أهبط آدم بسرنديب، على جبل يُدعى بوذ، وحواء في جدة من أرض مكة، وإبليس بميسان، والحية بأصبهان، وقد قيل: اهبطت الحية بالبرية وإبليس بساحل بحر الأُبلّة..

ويسند لعطاء بن أبي رباح قوله: لما أهبط الله عز وجل آدم من الجنة، كانت رجلاه في الأرض، ورأسه في السماء، يسمع كلام أهل السماء ودعاءهم، يأنس إليهم، فهابته الملائكة حتى شكت إلى الله تعالى في دعائها وفي صلاتها، فخفضه إلى الأرض، فلما فَقَدَ ما كان يسمع منهم استوحش حتى شكا ذلك إلى الله عزّ وجلّ في دعائه وفي صلاته، فوجهه إلى مكة فصار موضع قدمه قرية، وخطوته مفازة، حتى انتهى إلى مكة، ويذكر مجاهد: ثم رجع إلى الهند مع حواء فاتخذا مغارة يأويان إليها في ليلهما ونهارهما، وأرسل الله إليهما ملكا يعلمهما ما يلبسانه ويستتران به، من جلود الضأن والأنعام والسباع..

في رواية عن ابن عباس قال: إن آدم حين خرج من الجنة كان لا يمر بشيء إلا عبث به فقيل للملائكة: دعوه فليتزود منها ما يشاء، ويذكر ابن إسحاق: هبط آدم عليه ـ يعني على الجبل الذي هبط عليه ـ ومعه ورق من ورق الجنة، فبثه في ذلك الجبل، وهذا هو أصل الحياة النباتية والغابية في الأرض، فالأشعري قال: إن الله تبارك وتعالى لما أخرج آدم من الجنة زوده من ثمار الجنة، وعلّمه صنع كل شيء، وفي قوله تبارك وتعالى (وقاسمهما إني لكما لمن

الناصحين) الأعراف ـــ ٢١، وذكر ابن عباس: ان الله تعالى قال: فبعزتي لأهبطنك إلى الأرض، فلا تنال العيش إلا كداً، قال فأهبط من الجنة، وكانا يأكلان فيها رغدا، فأهبط إلى الأرض غير رغد من طعام وشراب، فعُلِّمَ صنعة الحديد، وأمر بالحرث فحرث وزرع ثم سقى حتى إذا بلغ حصده، ثم داسه ثم ذراه، ثم طحنه، ثم عجنه، ثم خبزه، ثم أكله.. وقد قيل ــ فيما رواه الطبري ــ إن آدم عليه السلام نزل معه السندان، والكلبتان المقمعة والمطرقة، وكانت هذه سنن ولد آدم من بعده في بدايات الانتشار البشري على الأرض.

الأعراق البشرية

وعن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: كان لا يولد لآدم مولود إلا ولد معه جارية، فكان يزوج غلام هذا البطن جارية هذا البطن الآخر، ويزوج جارية هذا البطن غلام هذا البطن الآخر، حتى ولد له ابنان، يقال لهما قابيل وهابيل، وكان قابيل صاحب زرع، وكان هابيل صاحب ضرع، وكان قابيل أكبرهما، وكانت له أخت أحسن من أخت هابيل، وإن هابيل طلب أن ينكح أخت قابيل، فأبى عليه، وقال: هي أختي ولدت معي، وهي أحسن من أختك، وأنا أحق أن أتزوجها، فأمره أبوه أن يزوجها هابيل فأبى، وإنهما قربا قرباناً إلى الله أيهما أحق بالجارية، فكان آدم يومئذ قد غاب عنهما وأتى مكة ينظر إليها.

قال الله لآدم: يا آدم هل تعلم أن لي بيتاً في الأرض؟ قال: اللهم لا، قال: فإن لي بيتا بمكة فأته، فقال آدم للسماء: احفظي ولدي بالأمانة فأبت، وقال للأرض فأبت، وقال للجبال: فأبت، فقال لقابيل، فقال: نعم تذهب وترجع وتجد أهلك كما يسرك، فلما انطلق آدم قربا قرباناً، وكان قابيل يفخر عليه فيقول: أنا أحق بها منك هي أختي، وأنا أكبر منك، وأنا وصي والدي، فلما قربا قرب هابيل جذعة سمينة، وقرب قابيل حزمة سنبل، فوجد فيها سنبلة عظيمة ففركها فأكلها، فنزلت النار فأكلت قربان هابيل، وتركت قربان قابيل، فغضب وقال: لأقتلنك حتى لا تنكح أختي، فقال هابيل: (إنما يتقبل الله من المتقين. لئن بسطت إليّ يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك)... إلى قوله تعالى: (فطوعت له نفسه قتل أخيه) المائدة ٢٧ ـــ ٣٠، فطلبه ليقتله فراغ الغلام منه في رؤوس الجبال، فأتاه يوماً من الأيام وهو يرعى غنمه في جبل وهو نائم، فرفع صخرة فشدخ بها رأسه، فمات وتركه بالعراء، لا يعلم كيف يُدفن، فبعث الله غرابين أخوين فاقتتلا، فقتل أحدهما صاحبه، فحفر له ثم حثا عليه، فلما رآه قال: (ياويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخي) المائدة ـ ٣١، فرجع آدم فوجد ابنه قد قتل أخاه، فذلك حين يقول الله عز وجل: (إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا) الأحزاب ـ ٧٢، يعني أن قابيل حين حمل أمانة آدم، ولم يحفظ له أهله، ويقول الحبيب المصطفى «ما من نفس تقتل ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل منها»، وذلك لأنه أول من سن القتل، ويقول الإمام علي ـ كرَّم الله وجهه ـ «لما قتل ابن آدم أخاه بكاه آدم..».

يذكر ابن إسحاق ـ فيما يرويه الطبري، أن جميع ما ولدته حواء لآدم لصلبه أربعون من ذكر وأنثى في عشرين بطناً، عُرف من أسمائهم خمسة عشر رجلاً، وأربع نسوة، منهم قابيل وتوأمته، وهابيل وليوذا، واشوت بنت آدم وتوأمها، وشيث وتوأمته، وحزروه وتوأمته، ثم أباد بن آدم وتوأمته، ثم بالغ بن آدم وتوأمته، ثم أثاثي بن آدم وتوأمته، ثم توبة بن آدم وتوأمته، ثم بنان بن آدم وتوأمته، ثم شبوبة بن آدم وتوأمته، ثم حيان بن آدم وتوأمته ثم ضرابي بن آدم وتوأمته، ثم هدز بن آدم وتوأمته ثم يجود بن آدم وتوأمته ثم سندل بن آدم وتوأمته، ثم بارق بن آدم وتوأمته.

وبعد قتل قابيل هابيل، ولدت له حواء ابنه شيثاً، وكان نبياً على بنيه مثل آدم عليهما السلام، كان آدم مع ما كان الله عز وجل قد أعطاه من ملك الأرض والسلطان فيها قد نبأه، وجعله رسولاً على ولده، وأنزل عليه إحدى وعشرين صحيفة كتبها آدم عليه السلام بخطه، علمه إياها جبرائيل عليه السلام، وتصديق ذلك ما رواه أبو ذر الغفاري، حين دخل المسجد على رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «قلت يا رسول الله، كم الأنبياء؟ قال: «مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً»، قال: قلت: يا رسول الله كم، المرسل من ذلك؟ قال (ثلاثمئة وثلاثة عشر جماً غفيرا)، قلت يا رسول الله، من كان أولهم؟ قال: «آدم» قال: قلت يار سول الله وآدم نبي مرسل؟ قال: «نعم خلقه الله بيده، ونفخ فيه من روحه، ثم سواه قُبُلا»، ويذكر أبو ذر الغفاري كذلك: قلت يارسول الله، كم كتاب أنزله الله عز وجل؟ قال: «مئة كتاب وأربعة كتب، أنزل الله على شيث خمسين صحيفة».

يذكر أن آدم عليه السلام مرض قبل موته، وأوصى إلى ابنه شيث عليه السلام وكتب وصيته، ثم دفع كتاب وصيته إلى شيث، وأمره أن يخفيه عن قابيل وولده، لأن قابيل قد كان قتل هابيل حسداً منه حين خصه آدم بالعلم، فاستخفى شيث وولده بما عندهم من العلم، ولم يكن عند قابيل وولده علم ينتفعون به، وينسب لابن عباس قوله: لما مات آدم عليه السلام قال شيث لجبرائيل صلى الله عليهما: صلّ على آدم قال: تقدم أنت فصل على أبيك وكبر عليه ثلاثين تكبيرة، فأما خمس فهي الصلاة، وأما خمس وعشرون فتفضيلاً لآدم عليه السلام.

كان شيث وصي أبيه آدم عليه السلام، وقيل إنه لم يزل مقيماً بمكة يحج ويعتمر إلى أن مات، وأنه بنى الكعبة بالحجارة والطين، وقال السلف من علمائنا: لم تزل القبة التي جعل الله لآدم في مكان البيت إلى أيام الطوفان، وإنما رفعها الله عز وجل حين أرسل الطوفان.

وعن ابن إسحاق ـ فيما يرويه الطبري ـ أن قابيل نكح أخته أشوت، فولدت له رجلاً وأمرأة: خنوع وعدن، فنكح خنوع أخته عدن، فولدت له ثلاثة نفر وأمرأة: عيرد، ومحويل، وأنوشيل، ومـوليث فنكح

أنوشيل أختـه موليث فولدت رجـلا اسمه لامك، فنكح لامك امـرأتين: اسم إحـداهن عدى والأخرى صلّى، فولدت عدى ولدا هو تولين، فكان أول من سكن القباب، واقتنى المال، وولدا آخر هو توبيش، وكان أول من ضرب بـالـونج والصِّنج، وآخـر اسمـه تـوبلقين فكـان أول من عمل النحـاس والحديد، كان للرجل فيما يزعمون ثلاثون ذراعاً، قـال: ثم انقرض ولـد قـابيل، ولم يتركـوا عقبـاً إلا قليـلاً، وذريـة آدم كلهـا جهلت أنسابهم وانقطع نسلهم، إلا ما كان من شيث ابـن آدم، فمنـه كـان النسل، وأنساب الناس اليـوم كلهم إليه دون أبيه آدم، فهـو أبو البشر، إلا مـا كان من أبيـه وإخوته ممن لم يترك عقباً....

ولد يـرد لمهلائيل مـن خالته سمعـن ابنة بـراكيل بن محويل بن خنـوخ بن قـابيل، نكح يرد بركنـا ابنة الدروسيل بن محويل ابن خنـوع بن قـابيل بن آدم فـولدت لـه اخنوخ وهو إدريس النبي عليه السلام.

ثم نكح أخنوخ بن يـرد هدّانة ابنـة باويل ابن محويل بن خنـوخ بـن قـابيل بن آدم، فـولدت متـوشلخ، والذي نكح عـربا ابنـة عزرائيل بـن أنوشيل بن خنوخ بـن قابيل ابن آدم، فولدت لـه لمك، ونكح لمك قبينوش ابنة براكيل بن محويل بن خنوخ بن قابيل ابن آدم عليه السـلام، فولـدت له سيـدنا نوح، ونكح نـوح عمرورة ابنـة براكيل بن محويل بن خنوخ بن قابيل بن آدم، فولدت له: سام، وحام، ويافث.

نبى الله نـوحـاً على قومـه حين تفشت فيه المعصية وتمادوا فيهـا، وعظمت في الأرض منهم الخطيئـة، وتطـاول عليـه وعليهم الشأن، واشتد منهم البـلاء، وأورث الآباء أبنـاءهم الكفـر والجحـود، حتى اشتكى نوح إلى ربه يقول في محكم آياته: (رب إني دعـوت قـومي ليـلاً ونهاراً. فلم يـزدهم دعائي إلا فرارا) نوح ـ ٥ و ٦، وحتى قوله عـز وجل: (رب لا تـذر على الأرض من الكـافـرين ديـارا. إنك إن تـذرهم يضلـوا عبادك ولا يلـدوا إلا فاجـرا كفارا) نـوح ـ ٢٦ و ٢٧...، وأمره الحق تبـارك (واصنع الفلك بأعيننـا ووحينـا ولا تخاطبني في الذيـن ظلموا إنهم مغـرقون) هـود ـ ٣٧، فلما فـرغ نـوح من صنيعه، قـال تعـالى: (حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيهـا من كـل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القـول ومن آمن وما آمـن معه إلا قليل)... هـود ـ ٤٠، فلما دخل نـوح الفلك وحمل معه مـن حمل، تحرك ينابيع الغوط الأكبر، وفتحـت أبواب السماء، كما قـال تعـالى لنبيه صلى اللـه عليـه وسلم: (ففتحنـا أبـواب السماء بماء منهمـر. وفجرنا الأرض عيونا فالتقى الماء على أمر قـد قُدر) القمـر ـ ١١ و ١٢، وحفظ اللـه الفلك ومن عليهـا يقـول تبـارك وتعـالى: (وحملنـاه على ذات ألـواح ودسر. تجري بأعيننا جزاء لمن كـان كفر) القمر : ١٣ و ١٤.

ويروي الطبري قول إسحـاق: حمل بنيه الثلاثـة: سام، وحـام ويافث ونسـاءهم، وستـة أنـاس ممن كان آمـن به، فكـانـوا عشرة نفر بنـوح وبنيه وأزواجهم وأرسل الله تبـارك وتعالى الطوفان..... أقـام نوح في الفلك إلى أن غاض الماء واستـوت الفلك على جبل الجودي في قـردى، فلما خـرج نـوح منها اتخذ بنـاحية قـردى من أرض الجزيـرة مـوضعاً، وابتنـى هناك قـريـة سماها ثمانين، لأنه كان بنى فيها بيتاً لكل إنسـان ممن آمن معه وهم ثمانـون، فهي إلى اليـوم تسمى سـوق ثمانين، هـذا مـا ذكره أهل العلم من أهل الكتاب.

يقول الحق عز وجل: (ونجينـاه وأهله من الكرب العظيم. وجعلنا ذريته هم الباقين) الصافات: ٧٦ و ٧٧.

روي عن ابن صالـح والشعبي قولهما: لما هبط آدم من الجنة، وانتشر ولده أرّخ بنوه من هبـوط آدم، فكـان ذلك التأريخ حتى بعث الله نوحـاً فأرخوا بمبعث نوح، حتى كـان الغرق، فهلك من هلك ممن كـان على وجه الأرض، فلما هبط نـوح وذريته وكل من كـان في السفينـة إلى الأرض قسّم الأرض بين ولـده أثـلاثـاً: فجعل لسـام وسطـاً من الأرض، ففيهـا بيت المقـدس، والنيل والفـرات، ودجلـة وسيحـان، وجيحان، وفيشون، وذلك ما بين فيشون إلى شرقي النيـل، ومـا بين منخـر ريح الجنـوب إلى منخـر الشمال، وجعل لحام قسمـة غربي النيل، فما وراءه إلى منخـر ريح الدبور، وجعل قسم يافث في فيشون فيما وراءه إلى منخـر ريح الصبـا، فكـان التأريخ من الطوفان إلى نار إبراهيم، ومن نـار إبـراهيم إلى مبعـث يـوسف إلى مبعث مـوسى، ومن مبعث مـوسـى إلى ملك سليمان، ومـن ملـك سليمان إلى مبعـث عيسى ابن مـريـم، ومن مبعث عيسى ابن مريم إلى أن بعث سيد ولـد آدم محمدا عليه الصلاة والسلام.

خصائص الجنس البشري وذاتيته

قدرة الخالق الواحد الأحد هي التي أوجدت الجنس البشري، ولم يكن مـن قبل شيئـاً مذكوراً، يقول الحق: (هل أتى على الإنسان حين من الـدهـر لم يكن شيئـا مـذكـورا) الإنسـان ـ ١، وقوله سبحـانه: (أولايـذكر الإنسان أنا خلقنـاه من قبل ولم يك شيئا) مـريم ـ ٦٧، وقـوله: (هـو عليّ هين وقـد خلقتك من قبل ولم تك شيئا) مريم ـ ٩، إن اللـه إذا قضى أمـراً فإنـه لا راد لقضـائه، يقول جل جـلاله: (فإذا قضى أمـرا فإنما يقول له كن فيكون) غافر ـ ٦٨.

وآدم عليه السلام، ذلـك المخلوق الإنساني الأول سواه رب العالمين من قبضة طين من تـراب الأرض.... وقـد روي عن علي رضي الله عنه قال: إن آدم خلق من أديم الأرض، وقال أبو موسى الأشعري: قال رسـول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله خلق آدم من قبضة قبضهـا من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قـدر الأرض، جـاء منهم الأحمر، والأسـود، والأبيض، وبين ذلك، والسهل، والحزن، والخبيث، والطيب، ثم بُلت طينته حتى صـارت طيناً لازبـا، ثم تـركت حتى صـارت حمأ مسنـونـا، ثم تـركت حتى صارت صلصالا كما قال الله تعالى: (ولقد خلقنـا الإنسـان من صلصـال من حمأ مسنون) الحجر ـ ٢٦.

ومن ضلع آدم خلقت حـواء، وسكن إليهـا آدم، يقـول تبارك وتعـالى: (ومن آياتـه أن خلق لكم مـن أنفسكم أزواجـاً لتسكنـوا إليهـا) الـروم ـ ٢١، واجتمع بها لتنتشر ذريته في الأرض يقول سبحانه: (ومن آياته أن خلقكم مـن تـراب ثم إذا أنتـم بشر تنتشرون) الروم ـ ٢٠.

إن التنـاسل البشري هـو حصيـد اتصـال الذكر بـالأنثى وجماعهما في موضع معين،

وثمرة اللقاء بين الزوجين إنسان(٦)، وصف الحق أطواره منذ لقاء أبيه وأمه بقوله: (هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخا ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا أجلاً مسمى) غافر ـ ٦٧.

وقوله جل جلاله: (فإنّا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلّقة وغير مخلّقة لنبيّن لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر) الحج ـ ٥.

وما عيسى عليه السلام سوى بشر، اقتضت مشيئة الله أن يستثنيه من ناموس التخليق المقرر في تناسل الجنس البشري، يقول الحق: (واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا. فاتخذت من دونهم حجاباً فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا. قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا. قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا. قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغيا. قال كذلك قال ربك هو عليّ هيّن ولنجعله آية للناس ورحمة منّا وكان أمراً مقضياً) مريم ـ ١٦ ـ ٢١.

والبشر مخصوص بروح الله تصديقاً لقوله تبارك وتعالى: (فإذا سويته ونفخت فيه من روحي) ص ـ ٧٢، ويقول الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم: «يجمع أحدكم في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكا يؤمر بأربع كلمات: عمله، ورزقه، وأجله، وشقي أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح» رواه البخاري ومسلم.

إن الإنسان يضم مكونين اثنين، مكون عضوي «أحيائي» Biologie: سواه الله عليه منذ أن أوجد ـ تبارك وتعالى ـ أصله الذي انحدر منه، والذي قال فيه ـ سبحانه ـ (فإذا سويته)... أي آدم عليه السلام... ويصف الخالق سلالة آدم التي انحدرت منه بالوصف الذي نعرفه عن تكويننا البدني الآن، تصديقاً لقوله تبارك وتعالى: (الذي خلقك فسواك فعدلك. في أي صورة ما شاء ركبك) الانفطار ــ ٧ و ٨، ومن آياته في وصف التركيب العضوي للإنسان، يقول عزّ وجلّ: (ألم نجعل له عينين. ولساناً وشفتين) البلد ٨ ــ ٩، ومكون نفسي Psychologie: سواه الله تعالى في آدم وذريته من بعده، إذ تجمع النفس بين الخير والشر، يقول رب العالمين: (ونفس وما سواها. فألهمها فجورها وتقواها) الشمس ـ ٧ و٨.

والجنس البشري جنس موجد مخصوص بصفات تميزه عن سائر مخلوقات الله(٧)، فالإنس غير الجن المخلوق من النار، يقول سبحانه: (خلق الإنسان من صلصال كالفخار. وخلق الجان من مارج من نار) الرحمن ـ ١٤ و ١٥، ويختلف جنس البشر عن جنس الملائكة والتي هي مخلوقات نورانية مفطومة على الطاعة المطلقة، يقول سبحانه : (لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون) (التحريم ـ ٦).

هذا الجنس البشري الموحد مكرّم على سائر الخلائق، وقد ثبت تكريم آدم على الملائكة، ينسب للحسن وقتادة قولهما: فلما أخذ الله تعالى في خلق آدم عليه السلام همس الملائكة فيما بينهم، فقالوا ليخلق ربنا ـ عز وجل ـ ما شاء أن يخلق، فلن يخلق خلقاً إلا كنا أعلم منه، وأكرم عليه منه، فلما خلقه ونفخ فيه من روحه أمرهم أن يسجدوا له لما قالوه، ففضله عليهم، فعلموا أنهم ليسوا بخير منه، فقالوا: إن لم نكن خيراً منه، فنحن أعلم منه، لأننا كنا قبله، وخلقت الأمم قبله، فلما اعجبوا بعلمهم ابتلوا، فعلّم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال: انبئوني بأسماء هؤلاء، إن كنتم صادقين، قال: ففزع القوم إلى التوبة ـ وإليها يفزع كل مؤمن ــ : (قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم. قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون) البقرة ــ ٣٢ و ٣٣، وكذلك انتقل هذا التكريم إلى بني آدم، يقول تعالى: (ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً) الإسراء ـ ٧٠. ■

الهوامش

(١) «أصل الإنسان المعاصر» بحث منشور في مجلة الثقافة العالمية، العدد ٧٨، سبتمبر ١٩٩٦م.

(٢) «آخر معاقل إنسان الكهف في جبل طارق» تقرير ترجمته د. سحر الهنيدي وعنوانه Last of caremen fourd in gi-braaltar منشور The Surday Times, September 1996.

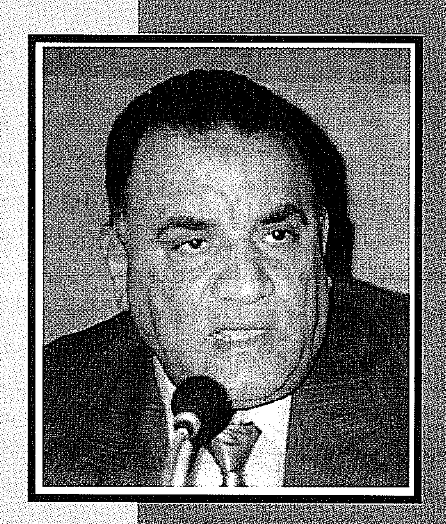
(٣) مقال في: «فجر الإنسان ـ النيانرتاليون» راجعته هيئة تحرير مجلة الثقافة العالمية، العدد ٧٨ سبق الإشارة إليه والمترجم عن أصله بعنوان The Dawn of Human Neardertal National Geographic, jar 1996.

(٤) د. سمير رضوان «وثيقة حقوق القردة» مقال منشور في مجلة العربي العدد ٤٤٢، سبتمبر ١٩٩٥.

(٥) الشيخ الإمام محمد بن جرير الطبري «تاريخ الأمم والملوك» مكتبة التراث الإسلامي مطابع الأهرام ــ التجارية ـ قليوب ــ مصر.. الجزءان الثاني والثالث من ص ١٠١ في خلق آدم عليه السلام إلى ص ١٩١ في ذكر الأحداث التي كانت في عهد نوح عليه السلام... وجدير بالتنويه أنه تم تنقيح المعلومات المقتبسة على هدى من إرشاد الطبري رحمه الله في المتن ذاته، وما أردف ذكره في هوامشه المسيرة إلى مدى صحة الإسناد من عدمه أو ضعفه بحسب الأحوال.

(٦) «وصف التخليق البشري» مقال منشور في مجلة الإعجاز الصادرة عن هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ـ رابطة العالم الإسلامي ـ مكة المكرمة، العدد الثاني جمادى الأولى ١٤١٧هـ ــ سبتمبر ١٩٩٦م.

(٧) الشيخ أحمد الموسى «النفس لابن سينا» مجلة منار الإسلام العدد السادس السنة ٢١ جمادى الآخرة ١٤١٦هـ ــ ٢٥ أكتوبر ١٩٩٥م.



أكد الدكتور/ أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر الشريف أن للكويت مكانة في قلوب العالم الإسلامي، وأن من واجبنا أن نقف معها في حقها وفي شرعيتها، وأن مؤسسات الكويت الخيرية تخدم في سخاء ولا تضن على قضايا العالم الإسلامي والأقليات. جاء ذلك في لقائه بالأستاذ/ بدر القصار رئيس تحرير مجلة الوعي الإسلامي خلال زيارته الأخيرة للكويت بدعوة من وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمشاركة في الأنشطة الدينية والدعوية التي تقوم عليها الوزارة.

رئيس جامعة الأزهر للوعي الإسلامي:

احتجاز أسرى الكويت أكبر جريمة في عصر الصحوة وحقوق الإنسان

■ الأزهر جامعة إسلامية عالمية لكل مسلم حق فيها ■

أجرى الحوار: د. عماد الدين عثمان

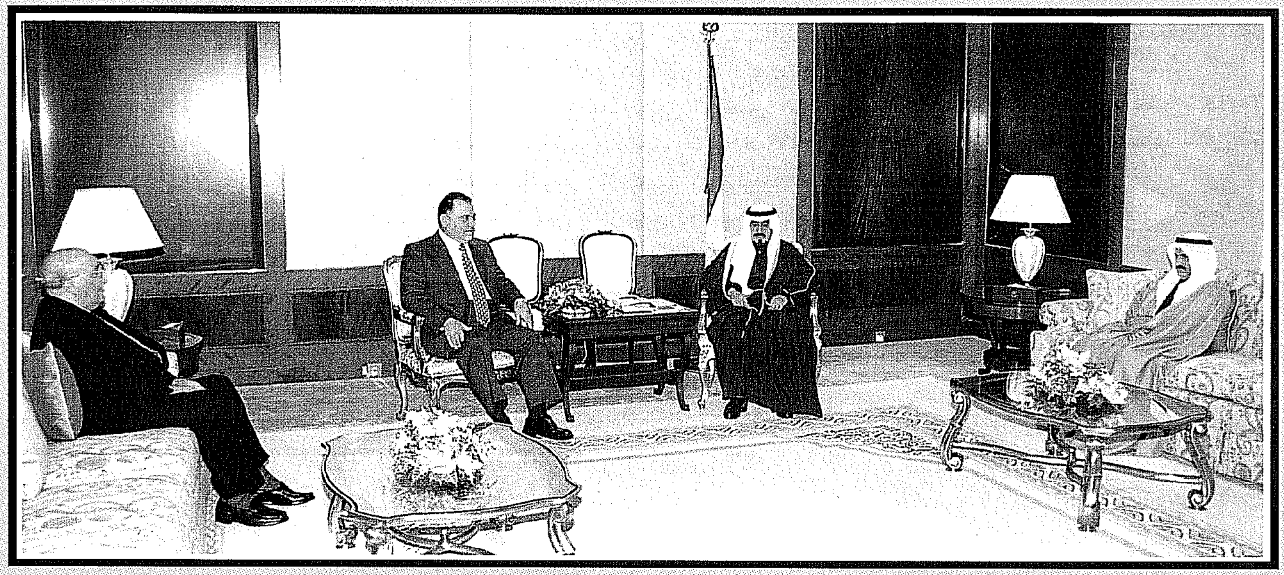
كذلك ندد الدكتور أحمد عمر هاشم باحتجاز الأسرى الكويتيين لدى النظام العراقي واعتبر أن هذا يمثل أكبر جريمة تحدث في عصر الصحوة والعلم وحقوق الإنسان، مجدداً دعوته التي أعلنها من قبل بأن الغزو العراقي الغاشم يمثل «سبة العار» التي لحقت بجبين الدهر ولا تنسى أبداً.

وفي جانب آخر بين الدكتور هاشم أن جامعة الأزهر جامعة إسلامية عالمية لكل مسلم على وجه الأرض حق فيها وقد عاد الأزهر إلى سالف مجده العلمي القديم ودعا - في ختام حديثه للوعي الإسلامي - القادرين على دعم رسالة الأزهر في الخارج بإنشاء الفروع والكليات في سائر دول العالم، والأزهر على استعداد لمدهم بالعلماء والخبراء والمقررات.

● **ونحن مقبلون على قرن جديد، ما هي - في نظركم - الاستعدادات الواجب اتخاذها سواء على مستوى الأزهر أو المؤسسات الأخرى المنتشرة في العالم الإسلامي وكيفية التعامل مع المستجدات، وفي إثراء الساحة العالمية، وكذلك التنمية والبناء لأمتنا العربية والإسلامية، وفي إبراز دورنا الحضاري على مستوى العالم؟**

- مما لا شك فيه أن المرحلة المقبلة تتطلب جهوداً مكثفة على سائر الأصعدة، وربما كان في طليعة هذه الأصعدة ما يضطلع به الأزهر، كأكبر مؤسسة لها مرجعيتها الإسلامية في هذا الدور الحضاري المشحون بالتحديات المتعددة والتي تستوجب أن تكون هناك نهضة شاملة في جميع المجالات ومن أجل ذلك فإن واجبنا أن نتعاون ونتواصل، وأن تضطلع جميع المؤسسات الدينية والجامعات والأكاديميات ودور البحث العلمي بالدور الريادي العام والمهم.

فعلى سبيل المثال: فيما يتعلق بالجانب الديني



■ سمو أمير البلاد يستقبل الدكتور/ أحمد عمر هاشم وحضر المقابلة وزير الأوقاف والسفير المصري.

حدثت على الساحة أمور لم تكن موجودة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ولا في عصر الوحي، وليس لها نص صريح في كتاب الله أو في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا يستوجب على العلماء الأكفاء المجتهدين الذين هم أهل للاجتهاد أن يدلوا بآرائهم فيها، وأن يقولوا الرأي الحق فيما يتعلق بها حتى لا تترك مسرحاً للبلبلة والاضطراب بين الشعوب والأمم والناس، ومن هنا كان من الواجب أن تنهض الجامعات الإسلامية والأكاديميات ودور البحث العلمي وفي طليعتها الأزهر الشريف باعتباره أعرق وأقدم جامعة ومرجعية في العالم الإسلامي.

وإذا انتقلنا من الجانب الديني إلى الجانب الثقافي بصفة عامة، لاحظنا أيضاً أن هناك تحديات أخرى تتمثل في محاولات عديدة لغزو فكري لمحاولة الانقضاض على الحضارة الإسلامية الضاربة بجذورها في أعماق التاريخ، ومن هنا وجب على المسلمين قاطبة أن يوحدوا رأيهم لأن هذا الغزو الثقافي يصاحبه غزو آخر وتحد آخر للأقليات الإسلامية، بينما العكس فيما يتعلق بالأقليات غير الإسلامية في بلاد المسلمين فتأخذ حقوقها كاملة غير منقوصة، فمنهم أعضاء في المجالس التنفيذية والنيابية والمسلمون يعطونهم حقوقهم كاملة غير منقوصة لأن الإسلام يأمرنا بهذا (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين) صدق الله العظيم.

فالتحديات التي تواجه الأقليات الإسلامية، وتواجه بعض المواقع في الوطن العربي ـ كفلسطين والقدس، والشيشان، والبوسنة، إلى غير ذلك من الدول ومن البلاد ـ تستوجب على المسلمين إزاء ما تتعرض له شعوب الإسلام من تحديات أن يكونوا يداً على من سواهم وأن يوحدوا رأيهم.

سبيل الخروج

● تجتاز الأمة الإسلامية اليوم مرحلة دقيقة ومنعطفاً خطيراً في تاريخها الطويل، من جراء الصراعات السياسية والفكرية والاقتصادية والاجتماعية المحيطة بها من كل جانب، فما السبيل للخروج من هذه الأزمات والمنعطفات؟

ـ السبيل للخروج من ذلك أن نسترشد بما رسمه لنا ديننا وما أرساه من نتاج، فلدينا قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً كتاب الله وسنتي».

وإذا نظرنا إلى كتاب الله تعالى نرى أنه يدعونا إلى أن نوحد صفوفنا، لأن التفرقة دائماً وأبداً والاختلافات يؤديان بالأمة إلى الضعف والانهيار، وأن التوحيد سبيل إلى قوتها وشد عزمها وأزرها، فالقرآن حين يقول (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا)، يدعونا إلى أن نوحد الرأي حتى لا نتفرق وحتى لا نختلف، هذا ما يتعلق بهذا الجانب في سبيل توحيد القوى، إلا أن المؤسف أن هذه الخلافات تستبد ببعض الشعوب وبعض الدول لدرجة أن تحدث خصومات وعداوات مما يترتب على ذلك إضعاف القوة الفاعلة، ومن هنا كان من الواجب علينا أن ننسى هذه الخلافات وأن نضمد الجراح وأن نوحد رأينا وحقوقنا قبل أن نقتحم هذه المشكلات التي تتهدد أمتنا العربية.

ولابد أن نضع في حسابنا أننا مادمنا مسلمين وما دمنا على الحق، فإن أية معركة ندخلها، ندخلها بروح الحق والإخلاص والإيمان لابد أن ننتصر، لأن القرآن الكريم وعدنا بذلك فقد قال عن أعدائنا: (لن يضروكم إلا أذى وإن يقاتلوكم يولوكم

الغزو العراقي سبة العار التي لحقت بجبين الدهر ولا تنسى

الأدبار ثم لا ينصرون)، فبين طبيعة أعداء هذه الأمة وأنهم من الجبن والضعف بمكان، بحيث لا يستطيعون أبداً أن يقاوموا هذه القوة الإيمانية.

توحيد المؤسسات

كذلك يحتاج الأمر إلى توحيد المؤسسات في داخل الوطن العربي وتوحيد وجهات النظر والنهوض بكتائب الدعوة الإسلامية، والتثقيف لأن العلم هو أساس كل حضارة، وأساس كل انطلاق إلى مستقبل مأمول، ومن



الدكتور/ أحمد عمر هاشم يتفحص الكشاف العام لمجلة الوعي الإسلامي ـ الجزء الأول.

أجل ذلك فإننا نرى أن العلم مادام هو الأساس فعلى المؤسسات التعليمية والجامعات والأكاديميات في أمتنا أن يكون بينها ترابط وتواصل، هذا إلى جانب ما ينبغي أن تقوم به الحكومات والأنظمة القائمة من رؤية مستقبلية لاقتحام الأخطار التي تحدق بهذه الأمة.

ونحن على يقين بأننا مادمنا على الحق، ونضع أقدامنا على الطريق الصحيح، لابد وأن نصل بإذن الله سبحانه وتعالى.

الحوار بين الحضارات

● ترتفع في الآونة الأخيرة أصوات تنادي بضرورة الاهتمام بقضية الحوار بين الحضارات، وبخاصة بين الحضارة الغربية والحضارة الإسلامية، من وجهة نظركم ما أسباب هذا الاهتمام وخصوصاً من جانب المسلمين؟

ــ أسباب هذا هو ما حدث أخيراً من فهم سقيم عن الإسلام في دول الغرب، إنهم يفهمون الآن أن الإسلام ليس كما نفهمه نحن بأنه دين العلم ودين الحضارة، بل إنه يتمثل فيما يرونه في بعض المسلمين من جمود وتأخر ومن عدم إتقان للعمل، وما يشاع ويذاع عن بعض الذين ينتمون للإسلام من ممارسات عدوانية وظواهر للتطرف والإرهاب والتحلل والانحراف، كل هذه جعلت عندهم انطباعاً ــ في الغرب عن الإسلام وعن المسلمين ــ مشوشاً وغير صحيح، وقد لمست هذا بنفسي شخصياً حين كنت في المؤتمر الدولي الذي أقامته منظمة المؤتمر الإسلامي في جدة بالاشتراك مع رابطة الإسلام والغرب الفرنسية، وكان هذا المؤتمر عنوانه «الإسلام والغرب»، وأسهمت فيه وتحدثت فيه، وتبين لنا أنهم يفهمون أن الإسلام دين دموي، وأنه دين إرهابي وأن بعض المجلات أخرجت على غلافها صورة المئذنة إشارة إلى الإسلام، وصورة ماسورة المدفع ترتفع بارتفاع المئذنة، أي أن هذا الدين دين دموي وإرهابي، فكشفنا الحقائق وبينا أن هذا زيف ولا يمت الإرهابيون إلى الإسلام بصلة ولا يمت هؤلاء الذين يسيئون بتصرفاتهم إلى الإسلام بصلة ولا يمثلون الإسلام في قليل ولا في كثير.

وحسبنا أن نفهم أن الإسلام لخص دعوته وبعثة رسوله في كلمة واحدة حين قال: (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) فهو دين الرحمة.

من أجل ذلك نقول «مرحباً بالحوار» ولا مانع من أن نحاور لنظهر حقيقة الإسلام وروح السماحة.

مؤسسات الكويت الخيرية تخدم في سخاء ولا تضن على قضايا العالم الإسلامي والأقليات

إذن فضرورة الحوار قائمة حتى تنجلي هذه المعاني وهذه المفاهيم التي فهمها الناس خطأً عن الإسلام وعن المسلمين.

ومما لا شك فيه أن الحوار حين تتمحص فيه النوايا وتكون له أهدافه الحقيقية لبيان وتجلية المواقف لا شك يكون أجدى، بدل أن تظل المفاهيم مغلوطة وغير واضحة.

نقاط الالتقاء

● إذن تبقى مجموعة من النقاط تلتقي فيها كل من الحضارتين الإسلامية والغربية ــ فما أهم نقاط الاتفاق بين الحضارتين الإسلامية والغربية التي يمكن أن نبني عليها حواراً مثمراً بين الطرفين؟

ــ أهم هذه النقاط في الاتفاق أن الأمور الأخلاقية لا اختلاف عليها، كما أن الأمور الاقتصادية والتكنولوجية والتقدم العلمي والتعاون في وسائل التقدم العلمي والحضاري والصناعي والأمور الأخلاقية التي يشترك فيها أهل جميع الأديان، هذه لا خلاف عليها أيضاً.

خلافات عقدية

على أن نتحاشى الدخول في خلافات عقدية تتعلق بعقيدتنا وعقيدة غيرنا، ندع هذا جانباً فالأمور الأخلاقية، كالصدق في كل الأديان فضيلة، والأمانة في كل الأديان فضيلة، والعلم في كل الأديان واجب، والعمل في كل الأديان واجب، هذه الأمور والقيم الفاضلة تشترك فيها جميع الأديان، وتكون من ثمرات الحوار تجلية المواقف الدولية وإقامة العدالة وتحقيق مواثيق حقوق الإنسان لدى الدول المهضومة والمغبونة والمظلومة، والأقليات الإسلامية التي تسام خسفاً في البوسنة والهرسك والشيشان، وغيرها.

خندق الدفاع

● لماذا تقف علاقتنا بالغرب دائماً في خندق الدفاع؟

ـ هذا خطأ منا نحن، وهذه محاولة خبيثة منهم، لأن حصر الأمة العربية في موقف الدفاع معناه أنهم يريدون منا أن نقف دائماً لندافع عن الشبهات التي يبثونها حول

الإسلام، وحول الأمة، ولا يصح أبداً أن نقف موقف المدافعين، كأن لدينا شيئاً ندافع عنه، وهذه وسائل دائماً وأبداً غير صحيحة يفتعلها كثير من الأعداء الذين يحاولون تجميد الحركة ويحاولون الانقضاض على الدول والأمم، ويحاولون تجميدهم وتأخيرهم، ويجعلونهم في موقف اتهام، كأنهم في قفص الاتهام، يدافعون عن عقيدتهم، عن دينهم، عن أخلاقهم، عن سلوكهم، عن حضارتهم، وهذا كله خطأ ولا يصح أن نقف عنده وأن نبدد الأوقات في الدفاع عما يثيرونه حولنا، ويمكن أن نرد رداً غير مباشر، ببيان وجه الإسلام الحقيقي السمح، ببيان دعوة الإسلام إلى التقدم العلمي والحضاري، وهذا بتقدمنا وحضارتنا ووحدتنا وقوتنا.

القدس وأصحاب الديانات الأخرى

● **تسعى إسرائيل جاهدة لطمس هوية «القدس»، فماذا يجب على المسلمين؟ وهل يقع العبء فقط على المسلمين العرب أم على جميع مسلمي العالم؟ ولماذا لا يتحرك أصحاب الديانات الأخرى للدفاع عن مقدساتهم الثابتة في القدس؟**

ـــ لا شك أن هذا واجب الجميع، واجب المسلمين في كل الأرض لأن القدس معلم من معالم ديننا، وكذلك واجب غير المسلمين، ومن هنا فإن محاولة طمس هوية القدس ومحاولة البحث عن هيكل سليمان خرافة، ولا يوجد هيكل سليمان لا في القدس كلها ولا تحت المسجد الأقصى، والتاريخ أكبر شاهد على ذلك، ولكنها دعاوى زائفة لا تستند إلى دليل، أو سند شرعي.

ومن أجل ذلك، فإن الضعيف دائماً وأبداً يكون فريسة لمخالب القوي، والعدو اللدود الذي يحاول أن يخترع الأسباب من أجل مطالبه وتوسعاته.

الدعوة الإسلامية اليوم

● **كيف يرى الدكتور أحمد عمر هاشم حال الدعوة الإسلامية اليوم؟**

ـ الدعوة الإسلامية اليوم تمر بصحوة ولكنها في حاجة إلى ترشيد، وحال الدعوة الإسلامية اليوم وقد كثرت فيها وسائل الإعلام التي يمكن أن تستثمر لتبعث بصوت الحق إلى كل الأرض، توجد الآن وسائل إعلام لم تكن موجودة في العصور السالفة، التلفاز، والمذياع، الإنترنت، والصحف، الفاكس، وسائل لو استخدمت في خدمة الدعوة الإسلامية لآتت ثمارها، ولو تمحضت النوايا وأخلصت القلوب، وتوحدنا نحن الدعاة، وتركنا الخلافات التي تبددنا، والصراعات الفكرية التي يخالف بعضنا بعضاً فيها لاستطعنا أن نحقق الكثير والكثير، وهذا ما أدعو إليه، أدعو إخواني من المفكرين والدعاة والجامعات والأكاديميات وأقول لهم كفاكم صراعاً، فلا وقت للصراع، لا تبددوا الأوقات فيما لا يجدي، اجمعوا رأيكم، ووحدوا صفوفكم، أشهروا أقلامكم خدمة للإسلام، ومدافعة عن قضايا الأمة.

كلية الإعلام الإسلامي

● **جامعة الأزهر... اتخذت قراراً بتحويل قسم الصحافة فيكلية اللغة العربية إلى كلية للإعلام الإسلامي فما مؤشر ذلك من وجهة نظركم؟**

ـ قناعتي بأنه لابد للدعوة الإسلامية وللجامعات الإسلامية من أن تستثمر وسائل الإعلام الحديثة بطرق مدروسة وعلمية، اقتناعي الكامل بأن الدعوة الإسلامية حين تنطلق من الجامعات المتخصصة والعريقة كجامعة الأزهر لابد أن تستثمر وسائل الإعلام بطرق علمية، ولا تكفي وسائل الإعلام التي يتحدث فيها الدعاة، بل لابد أن تكون هناك دراسات علمية وتخطيط إعلامي دقيق منهجي حتى يتزامن ويتآزر دور الإعلام مع دور الدعوة الإسلامية لأهمية ذلك الدور وإمكاناته في نشر الدعوة في كل الأرض.

رأيت أنه لابد أن تكون في جامعة الأزهر، بل في كل جامعة إسلامية لابد أن توجد كلية للإعلام لتخدم قضايا الدعوة الإسلامية.

مرحباً بتعدد الاجتهادات

● **ما رأي فضيلتكم حول اختلاف بعض رموز الإسلام على صفحات الجرائد، وعلى القنوات الفضائية؟**

ـ شيء غير سار، ولكن وجهات النظر وتعدد الآراء مرحباً به، فتعدد الآراء والاجتهادات موجود منذ العهد النبوي وموجود في عصور أئمتنا وفقهائنا، ويضيف ثروة فكرية كبرى لتعدد الآراء والاجتهادات، أما البلبلة التي تطرح على صفحات الصحف، ويرى الأمر على أنه حلال أو حرام وتحدث بلبلة على الساحة وفي كبرى القضايا الساخنة المطروحة، فهذا لا يصح أن يكون ولا يصح أن نضخم هذه الاجتهادات حتى تجعل منها خلافات تمثل هوة سحيقة بين العلماء.

● **تثير بعض منظمات حقوق الإنسان الغربية أن إعدام المرتد يتعارض مع حقوق الإنسان فما قول الدكتور عمر هاشم؟**

ـــ الحكم الشرعي لا يخضع لآراء البشر، الحكم الذي نزل من لدن عزيز حكيم لا ينظر من مواثيق أو من منظمات تقول هذا صحيح، أو غير صحيح، ولا يصح أن نرد ولا أن نلتفت لهذا لأنه إذا ثبت الحديث «من بدل دينه فاقتلوه»، وإذا كان الحكم الفقهي أن يستتاب فإن تاب وإلا قتل، فلا يتدخل أحد مع الحكم الشرعي ليملي علينا رأياً آخر، فلا نعطي سمعاً لهذا كله، ولكن نجعل في حسابنا أن ديننا هو دين السماحة ودين اليسر ولحكمة عُليا كانت التشريعات والأحكام.

● **إذن كيف نطبق الآية الكريمة «ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة» تطبيقاً سليماً؟**

ـ في مساحات الدعوة وشرائحها وفي الجامعات والأكاديميات وفي مسح شامل لمجتمع الدعاة حتى يطبقوا هذا المنهاج تطبيقاً عملياً، وحتى يتعرفوا على ما وراءه من أهداف وقيم نبيلة وأن هذا المنهاج هو المنهاج الرباني وأن الخروج عنه إنما هو خروج بالعقل البشري القابل للخطأ، فأولى بالدعاة في كل مكان في الأرض أن يسيروا على هذا المنهاج.

فتحنا باب الأزهر

● **ما الخطط الطموحة للأزهر في المستقبل؟**

ـ التوسعات في كلياته الدينية، التوسعات في إيجاد فروع لجامعة الأزهر في سائر الدول العربية والإسلامية الشقيقة والصديقة، المزيد من اتفاقيات علمية وثقافية ومد جسور التعاون بين جامعة الأزهر وسائر الجامعات والأكاديميات والدوائر العلمية في كل مكان لأننا نعتبر الأزهر جامعة عالمية إسلامية، كل مسلم على وجه الأرض له حق فيها، ولا يمكن بحال من الأحوال أن توصد الباب في وجه أحد من المسلمين يريد أن يتعلم في الأزهر الشريف، سواء أكانت شهادته

معادلة أم كانت غير معادلة، فالذي تكون شهادته معادلة فمرحباً به يدخل من خلال القنوات الشرعية، والذي لا تكون شهادته معادلة فله أن يعادلها بدراسة المواد التي تنقصه، وعلى جامعة الأزهر أن توفر له هذه الدراسات التي لم يدرسها في جامعته، تدرسها له ويؤدي فيها الامتحان، ويكون معادلاً لزملائه في الأزهر.



● الدكتور/ أحمد عمر هاشم في حوار مع الزميل الدكتور/ عماد الدين عثمان المستشار الصحفي.

ثم إلى جوار هذا وذاك فتحنا باب الأزهر على مصراعيه لكل من يحمل شهادة أو لايحمل شهادة، لكبير السن ولصغير السن للرجال والنساء، جعلنا أيام السبت والاثنين والأربعاء للرجال، والأحد والثلاثاء والخميس للنساء، ومن بعد صلاة الظهر حتى صلاة المغرب يفتح الأزهر أبوابه على مصاريعها وعاد إلى سالف مجده العلمي القديم، كل شيخ من كبار العلماء يجلس في مكان يدرس في كتاب في علم خاص.

● ما دور الأزهر في ترشيد العمل الإسلامي؟

ـ دور الأزهر عن طريق دراساته الأكاديمية من خلال الكليات الإسلامية ومن خلال المؤتمرات العلمية المحلية والدولية ومن خلال الاتفاقيات العلمية والثقافية التي يعقدها، ومن خلال القنوات الشرعية التي يعبر فيها عن رأيه ويخرج فيها الكتب والموسوعات ومراكز البحث العلمي، والوحدات ذات الطابع الخاص، كل هذه تعمل في حركة دائبة الآن، وجامعة الأزهر تعيش الآن صحوة إسلامية كبرى تواكب فيها التقدم الحضاري الذي نعيشه الآن.

● ما دور الأزهر تجاه الشعوب المسلمة غير الناطقة بالعربية وكذلك الأقليات المسلمة؟

ـ أولاً استقبلنا من أبناء الأقليات الإسلامية أعداداً كبيرة جداً تدرس الآن في الأزهر وتقيم الآن في القاهرة على حساب الأزهر، كما أننا أيضاً بعثنا علماءً إلى هذه الجهات لتعزيز نشر العلم والدعوة الإسلامية في هذه المناطق.

● ماذا يحتاج الأزهر من العالم الإسلامي؟

ـ الأزهر كجامعة إسلامية عالمية كما قلت لكل مسلم على وجه الأرض حق في أن يتعلم فيها، وأي دولة في العالم تطلب عالماً من علماء الأزهر لن نتأخر عنها، وأي دولة في العالم تطلب إيفاد أبنائها ليتعلموا في الأزهر لن نوصد الباب في وجههم. من أجل ذلك نقول: كما أننا نجعل حقاً لكل مسلم يجب أن تمد أيدي كبار المسؤولين والأثرياء لمؤازرة الدعوة الإسلامية التي ينهض بها الأزهر، لاأقول ليعطوا الأزهر شيئاً من المال، فإن الحكومة المصرية والسيد الرئيس محمد حسني مبارك لا يضنون أبداً في دعم الأزهر، ولكني أقول دعم رسالته في الخارج بإنشاء الفروع وإنشاء الكليات في سائر الدول، ونحن على استعداد لمدهم بالعلماء وعليهم أن يهيئوا وأن يتيحوا الأماكن فقط.

سبة العار

● كان للدكتور أحمد عمر هاشم موقف واضح من الغزو العراقي الغاشم على دولة الكويت ـ وما زال العديد من أسرى الكويت يعانون في ظل النظام العراقي، فما موقف الإسلام من الأسرى؟ وكيف ترون اليوم تعنت النظام العراقي تجاه إطلاق الأسرى الكويتيين؟

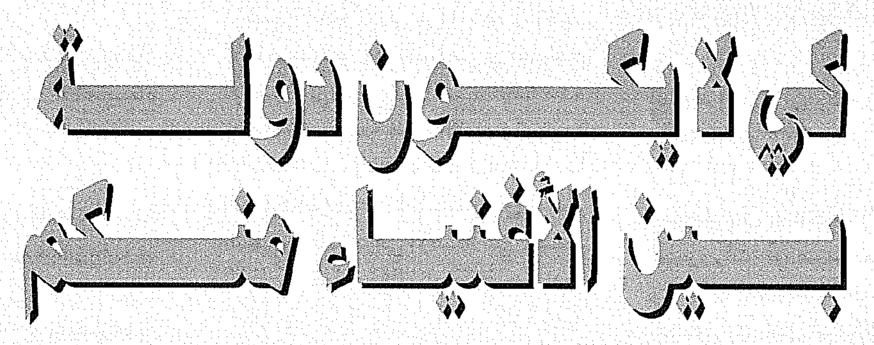
ـ موقفنا أيام الغزو العراقي كان موقفاً مع الحق ومع العدالة ومع الشرعية، لأن دولة الكويت في الحق ليست مجرد دولة شقيقة وصديقة ومسلمة وعربية فحسب، إنها إلى جوار كونها دولة عربية وإسلامية وشقيقة وصديقة فإن لها حقاً لدى كل بلد إسلامي، لأن لها مؤسسات خيرية تخدم في سخاء ولا تضن على قضايا العالم والأقليات وإنشاء مناطق ومؤسسات الخير في سائر دول العالم، فدولة لها هذه الرسالة وترعى هذه الدولة ذلك الهدف أميراً وحكومة وشعباً، يجب أن يكون لها مكانة في قلوب العالم الإسلامي، ويجب أن نقف معها في حقها وفي شرعيتها، فكان موقفنا هذا واجباً تمليه علينا عقيدتنا وديننا وأمتنا، ومن أجل ذلك فأنا أقول إن سبة العار التي لحقت بجبين الدهر هي الغزو العراقي للكويت، وسنظل نلاحق النظام العراقي حتى تكفر أجياله اللاحقة عن هذه الخطيئة التي لا تنسى أبداً.

وأما سبة العار الأخرى التي تتابعت باحتجاز الأسرى، فهذه تمثل أكبر جريمة تحدث في عصر التنوير والعلم وحقوق الإنسان، إنها إهدار لكل المواثيق الدولية، إنها إهدار لحقوق الإنسان وللمعرف وللتقاليد وللقيم وللدين وللشرع، فاحتجازهم إلى هذا اليوم وبهذه الصورة يمثل سبة عار في جبين الأنظمة القائمة، مما يستوجب على النظام الدولي أن يستخلص هؤلاء الأسرى وأن يضرب بأيدٍ من حديد على هؤلاء الظالمين الغاشمين الذين تمادوا في ظلمهم إلى هذا الحد الذي يسيئون فيه باحتجاز الأسرى إلى هذه اللحظة «اللهم فك أسر المأسورين وفرج الكرب من المكروبين يا رب العالمين».

الرأي الشرعي

● ماذا يمكن أن تقدم جامعة الأزهر في قضية الأسرى؟

ـ تقدم الرأي الشرعي، وتقدم التعاون الإسلامي، وتقدم كل ما تحتاجه دولة الكويت الشقيقة والحبيبة، وأنا بصفتي كرئيس لجامعة الأزهر أسهمت في مؤتمر للأسرى، وجئت بنفسي ومازلت أنادي وأناشد النظام الدولي والمواثيق الدولية بأن تبادر وتسارع وتطالب بهذا الحق الذي لا يصح السكوت عنه بحال من الأحوال. ■



كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم

بقلم د: رفيق يونس المصري

﴿كي لا يكـون دولـة بين الأغنيـاء منكم﴾ [الحشر/٧]

من هذه الآية وحدها (بل هي جزء من آية) نفهم أن هناك أغنياء وفقراء، أي تفاوت لا تساو، كما نفهم أيضا أن هناك حدوداً لهذا التفاوت.

التفاوت بين الناس: ﴿والله فضل بعضكم على بعض في الرزق﴾ [النحل/٧١].

التفاوت بين الناس في الغِنى والفقر وغيرهما أمر مشاهد وفطري، ولو سُوي بينهم لعادوا فاختلفوا، وذلك لاختلافهم في المواهب والقدرات المختلفة.

ولو أخذ من الغني وأعطي الفقير، بما يحقق المساواة بينهما، لافتقد الناس الحوافز إلى العمل والنشاط والاكتساب، ولما كان هناك عدل، فالمساواة هنا تناقض العدل، فكيف يستوي العالم والجاهل، والخبير والمبتدىء، والنشيط والكسول؟

وهذه الفروق بين الناس في المؤهلات الفطرية والمكتسبة هي التي تحقق التنوع والتعاون والتكامل بين أفرد المجتمع. وكل فرد يتميز عن غيره بشيء أو بأشياء، ويكون بعضهم مسخرا لبعض، فلا تجد أحداً يستطيع أن يستقل بنفسه، بل كل منهم يحتاج إلى الآخر، مما يساعد على التخصص وتقسيم العمل. ولذلك قيل: (لايزال الناس ماتباينوا، فإذا تساووا هلكوا). قال تعالى: ﴿أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخريا﴾ [الزخرف/٣٢] (انظر الذريعة إلى مكارم الشريعة للراغب الأصفهاني، ص٢٦٣، وقواعد الأحكام للعز بن عبدالسلام٢/٦٨، وكتابي (أصول الاقتصاد الإسلامي. ص٩١).

وعلى هذا فالنظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تبغي التسوية بين الناس في الثروات والدخول إنما هي نظم مرفوضة إسلاميا.

تفاوت: نعم، ولكن إلى أي حد

● التفاوت بين الناس في الثروات والدخول، في ظل الإسلام، لا يتعاظم بسبب الحلال والحرام، فلا غش ولا احتكار، ولا ربا ولا قمار، ولا رشوة ولا متاجرة بالمخدرات والغرائز والأعراض...

التفاوت بين الناس في الغنى والفقر أمر فطري

● ومع ذلك فإنه برغم التقيد بمشروعية مصادر الثروة والدخل، قد تحدث فروق كبيرة بين الناس، وهي لاشك تضيق بوسائل الإسلام الاعتيادية في إعادة التوزيع، مثل: الزكوات، والصدقات، والوصايا، والكفارات...

● وقد لا تكفي هذه الوسائل الاعتيادية أحيانا في الحد من التفاوت. لذلك وجدت في الإسلام وسائل أخرى، كالمواريث، والملكيات المشتركة، وطرق التصرف في الغنائم والفيوء (جمع فيء) والعطاءات.

فالنبي ﷺ أعطى أموال بني النضير للمهاجرين (الفقراء) دون الأنصار (الخراج لابن آدم ص٣٥). وعمر بن الخطاب رضي الله عنه وقف الأرض المغنومة على الجميع، ولم يقسمها بين الفاتحين (الخراج لأبي يوسف ص٢٥)، وكان إذا رأى السلَب (وهو مايأخذه المقاتل من قتيله من سلاح ومتاع) بلغ مالاً كثيراً خمَّسه، ولم يدعه كله للمقاتل (الأموال لأبي عبيد ص٣٩٠، وأصول الاقتصاد الإسلامي ص٢٥٢).

● وعلى هذا فإن النظم التي لا تميز في الثروات والدخول، بين حلال وحرام،

بين مشروع وممنوع، وكذلك النظم التي تجعل التفاوت منفلتا، إنما هي نظم مرفوضة.

من المقاصد الاقتصادية للشريعة: ﴿كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم﴾ [الحشر/٧].

* هناك مبدأ جاهلي (في تطبيقه أكثر منه في معناه) كان معروفا عند العرب قبل الإسلام، ولا يزال معروفا في الجاهليات الحديثة، لدى بعض الدول التي تدعي أنها متقدمة وديمقراطية ومتمسكة بحقوق الإنسان، والحق أنها متمسكة بمصالحها الأنانية الضيقة، هذا المبدأ يقول: (من عزَّ بزَّ) (تفسير الخطيب الشربيني ٤/٢٤٤، وأبي السعود ٨/٢٢٨) أي من غَلب سَلب، أي من قوي وغلب صار له حق ابتزاز الآخرين، حتى من بني قومه، كما تفعل اليوم بعض القوى المهيمنة، أي ان التوزيع عندهم يقوم على القوة والغطرسة، لا على الحق والعدل. وهذا مبدأ ساقط، والحضارة التي تقوم عليه لاجرم أنها حضارة قبيحة آيلة للسقوط.

* في الجاهلية كان الرؤساء والأغنياء والأقوياء من العرب يقتسمون الغنائم والفيوء بينهم، دون الفقراء والضعفاء، فكان الرئيس يأخذ ربع الغنيمة لنفسه، (وهو المرباع، ثم يصطفي منها أيضاً، بعد المرباع، ماشاء) (تفسير القرطبي١٨/١٦)

* فالمبدأ الجديد الذي قرره الإسلام سلب من القوة باطلها، وأعاد إلى الحق قوته، وأسس حضارة ذات رسالة: القوي فيكم عندي ضعيف حتى آخذ الحق منه، والضعيف فيكم عندي قوي حتى آخذ الحق له (أبوبكر الصديق). هذا هو سر قيام الحضارة وسر بقائها.

* قال ابن عاشور: (من مقاصد الشريعة أن يكون المال دولة بين الأمة الإسلامية) (التحرير والتنوير٢٨/٨٥، ومقاصد الشريعة ص١٧٦).

وذهب سيد قطب إلى أن هذه الآية (تضع قاعدة كبرى من قواعد التنظيم الاقتصادي والاجتماعي في المجتمع الإسلامي، ومع أن (هذه القاعدة جاءت) بمناسبة هذا الفيء وتوزيعه الإسلامي. إلا أنها تتجاوز هذا الحادث الواقع إلى آماد كثيرة في أسس النظام الاجتماعي الإسلامي وهذه القاعدة قاعدة التنظيم الاقتصادي تمثل جانباً كبيراً من أسس النظرية الاقتصادية في الإسلام. فالملكية الفردية معترف بها ضمن هذه النظرية، ولكنها محددة بهذه القاعدة، قاعدة ألا يكون المال دولة بين الأغنياء، ممنوعا من التداول بين الفقراء. فكل وضع ينتهي إلى أن يكون المال دولة بين الأغنياء وحدهم، هو وضع يخالف النظرية الاقتصادية الإسلامية، كما يخالف هدفا من أهداف التنظيم الاجتماعي كله. وجميع الارتباطات والمعاملات في المجتمع الإسلامي يجب أن تنظم بحيث لا تخلق مثل هذا الوضع، أو تبقى عليه إن وجد. فقد حرم (الإسلام) الاحتكار، وحظر الربا، وهما الوسيلتان الرئيستان لجعل المال دولة بين الأغنياء. وعلى الجملة أقام الإسلام نظامه الاقتصادي كله بحيث يحقق تلك القاعدة الكبرى التي تعد قيداً أصيلاً على حق الملكية الفردية، بجانب القيود الأخرى. (الظلال٦/٣٥٢٤)

وقال القاسمي: (دلت الآية على قاعدة عظيمة في باب التمول المحمود، قال بعض الحكماء: التمول محمود بثلاثة شروط، وإلا كان من أقبح الخصال:

> في الجاهلية كان الأغنياء والأقوياء من العرب يقتسمون الغنائم والفيوء بينهم، دون الفقراء والضعفاء

الشرط الأول: أن يكون إحراز المال بوجه مشروع.

والشرط الثاني: ألا يكون في التمول تضييق على حاجات الغير، كاحتكار الضرورات، أو مزاحمة الصناع والعمال الضعفاء، أو التغلب على المباحات، مثل امتلاك الأراضي التي جعلها خالقها ممرحا لجميع مخلوقاته (أي ملكاً مشتركاً).

الشرط الثالث: هو ألاّ يتجاوز المال قدر الحاجة بكثير، وإلا فسدت الأخلاق، ولذلك حرمت الشرائع السماوية كلها ـ والحكمة السياسية والأخلاقية والعمرانية ـ أكل الربا، وذلك لقصد حفظ التساوي والتقارب بين الناس في القوة المالية (محاسن التأويل١٠/٢٠٨).

الغِنَى مَظنَّة الطغيان

١- قال تعالى: ﴿كلا إن الانسان ليطغى. أن رآه استغنى﴾ [العلق/٦و٧]، أي لأنه رأى نفسه مستغنيا بالمال، وقيل: بالعشيرة والأنصار والأعوان (تفسير الخطيب الشربيني٤/٥٦٢، وأبي السعود ٩/١٧٨، والقرطبي٢٠/١٢٣)

٢- قال الألوسي في تفسير هذه الآية ٣٠/١٨٢: (المراد بالإنسان الجنس)، ومثله في تفسير ابن عاشور ٣٠/٤٤٤. وقال الرازي ٣٢/١٧: أكثر المفسرين قالوا أن المراد من الإنسان ههنا إنسان واحد، وهو أبوجهل. القول الثاني: أن المراد جملة الإنسان. والقول الأول وإن كان أظهر بحسب الروايات، إلا أن هذا القول أقرب بحسب الظاهر.

٣- الغنى مبطرة مأشرة (القرطبي ١٦/٢٧، والقاسمي٨/٣١٢)، وهو

يستوجب الطغيان في الأعم الأغلب، لكن لا يستوجبه ضرورة في كل حال.

قال الخطيب الشربيني٤/٥٦٢: (أي من شأنه أن يطغى إلا من عصمه الله تعالى). وقال ابن عطية في المحرر الوجيز ١٦/٣٣٥: (والغنى مطغ إلا لمن عصمه الله).

وقال الرازي٣٢/١٧: (إلا أن الإنسان قد ينال الثروة فلا تزيده إلا تواضعا، كسليمان عليه السلام، فإنه كان يجالس المساكين، ويقول: مسكين جالس مسكينا، وعبد الرحمن بن عوف ماطغى مع كثرة أمواله، بل العاقل يعلم أنه عند الغنى يكون أكثر حاجة إلى الله تعالى منه في حال فقره، لأنه في حال فقره لا يتمنى إلا سلامة نفسه، وأما في حال الغنى فإنه يتمنى سلامة نفسه وماله).

وقال الشنقيطي: (ظاهر هذه الآية أن الاستغناء موجب الطغيان عند الإنسان)، ولفظ الإنسان هنا عام، ولكن وجدنا بعضاً من الناس يستغني ولا يطغى، فيكون هذا من العام المخصوص، دل على هذا المعنى قوله تعالى: ﴿فأما من طغى. وآثر الحياة الدنيا. فإن الجحيم هي المأوى﴾ [النازعات/٣٧-٣٩]. فإيثار الحياة الدنيا هو موجب الطغيان، ومن هذه الآية أخذ بعض الناس أن الغني الشاكر أعظم من الفقير الصابر، لأن الغنى موجب الطغيان. وقد قال بعض الناس: (الصبر على العافية أشد من الصبر على الحاجة) (أضواء البيان٩/٣٦٩).

وقال ابن عاشور ٢٥/٩٣: (إن الغنى مظنة البطر والأشر إذا صادف نفساً خبيثة).

٤- كما أن الغنى ليس مطغيا لكل إنسان ضرورة، فكذلك الغنى المطغي في الغالب هو الذي يبلغ درجة معينة، ويخل بالتوازن المالي بين الناس، وتكافؤ الفرص، والحريات، والحقوق، وليس هو الغنى الذي يغني الإنسان في سد حاجاته عن الآخرين، ولعل هذا مايؤيده قول ابن عاشور ٣٠/٤٤٤: (الاستغناء: شدة الغنى، فالسين والتاء فيه للمبالغة في حصول الفعل، مثل: استجاب، واستغفر).

﴿ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض﴾ [الشورى/٢٧]

قال عدد من المفسرين في معناها: (لو أغناهم جميعا لبغوا) (الرازي٢٧/١٧١، والصاوي على الجلالين ٤/٣٩، والنسفي٤/١٠٦)، والقاسمي ٨/٣١٢، وابن عاشور ٢٥/٩٢و٩٣). فاستدل العلماء بهذه الآية على التفاوت بين الناس، لا على أن الغنى وبسطة المال سبب في البغي والطغيان.

ويبدو لي - والله أعلم - أن معنى الآية أن الغنى إذا مازاد على حد معين صار ذريعة إلى البغي والفساد والطغيان، ويختلف هذا من فرد إلى آخر.

عن أنس عن رسول الله ﷺ في الحديث القدسي: «إن من عبادي المؤمنين من لا يصلحه إلا الغنى، ولو أفقرته لأفسده الفقر، وإن من عبادي المؤمنين من لا يصلحه إلا الفقر، ولو أغنيته لأفسده الغنى» (القرطبي١٦/٢٨، والصاوي على الجلالين٤/٣٩).

وقد قيل: (خير الرزق ما لا يطغيك ولا يلهيك) (الطبري ٢٥/٣٠، والسيوطي٦/٨).

وفي حاشية الشهاب٧/٤٢١: (أصل معنى البغي طلب أكثر مما يجب، بأن يتجاوز في القدر والكمية، أو في الوصف والكيفية، أي أن يتعدى الاعتدال فيما يقصده، ولذا ورد بمعنى التكبر، لما فيه من تجاوز المرء لحده، لأن البطر الطغيان بسبب الغنى، كما هو دأب أكثر الناس).

قال ابن عباس: (بغيهم طلبهم منزلة بعد منزلة، ودابة بعد دابة، ومركبا بعد مركب، وملبسا بعد ملبس). وقيل: (لو أعطاهم الكثير لطلبوا ما هو أكثر منه، لقوله ﷺ: «لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى إليهما ثالثا» (القرطبي١٦/٢٧، وصحيح مسلم بشرح النووي٧/١٣٩ وغيره).

وعن ابن مسعود قال: (منهومان لا يشبعان: صاحب علم، وصاحب دنيا، ولا يستويان، فأما صاحب العلم فيزداد رضا الرحمن، ثم قرأ: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ [فاطر/٢٨]، وأما صاحب الدنيا فيتمادى في الطغيان، ثم قرأ: ﴿إن الإنسان ليطغى. أن رآه استغنى﴾ [العلق/٦و٧].

الفقير والغني مذمومان اذا كان التفاوت بينهما فاحشاً

الخلاصة:

الفقر مذموم، والغنى - الزائد على الحد - مذموم، ومن ثم فالتفاوت الفاحش مذموم، والتقريب بين الناس مقصد اقتصادي واجتماعي وسياسي من مقاصد الشريعة الإسلامية. وقد كان رسول الله ﷺ يستعيذ بالله من شر فتنة الغنى وشر فتنة الفقر (البخاري٨/٩٨ و١٠٠، ومسلم١٧/٢٩). أفلا يجب علينا إذن أن نتخذ من التدابير والإجراءات مايزيل الفقر، ويحد من الغنى، ويخفف التفاوت، لتحقيق المقاصد الشرعية في منع البغي والطغيان والهيمنة والفساد والحرص على الدنيا؟■

تربية

معالم من هديه ﷺ في تربية أصحابه

بقلم: د. سيد نوح

لم تكن مهمة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ مقصورة على مجرد التلاوة والبلاغ أو التبليغ وإنما تعدت ذلك إلى الارتقاء والنهوض بمستوى من آمنوا به واتبعوه إلى حد اقتلاع حظ الشيطان من نفوسهم، بل إلى حد استخراج حظ نفوسهم من نفوسهم وإلى ذلك أشار الحق ـ سبحانه وتعالى ـ فقال:

(لقد منَّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين) آل عمران ـ ١٦٤، (هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين) الجمعة ـ ٢.

ولما كان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو أسوتنا وقدوتنا، وكنا نحن ورثته في نقل هذا الدين الذي جاء به لا إلى عقول الناس فحسب، بل إلى قلوبهم كذلك، فإننا في مسيس الحاجة إلى أن نقف على معالم من هديه ـ صلى الله عليه وسلم ـ في تربية أصحابه، نأخذ منها قبسات علها تضيء لنا جوانب الطريق فنظل آخذين بيد مَن شرح الله صدره للسير معنا ماضين إلى نهايتها دون توقف أو التفات أو توان أو انحراف، ودونك طرفا من هذه المعالم:

● المعلم الأول: طول الصحبة والمعايشة

فقد حرص ـ صلى الله عليه وسلم ـ منذ اليوم الأول الذي شرح الله فيه صدور ناس فدخلوا في هذا الدين، حرص على الارتباط بهؤلاء ارتباطا ماديا ونفسيا تجلى في طول الصحبة والمعايشة، فكان معهم في السفر والحضر في الشدة والرخاء، وحين البأس، وما كان يغيب عنهم إلا الأوقات التي تلزمه في خاصة نفسه وأهله.

ويوم أن حدثته نفسه أن يجعل لفقراء المسلمين من أمثال بلال وصهيب، وعمار، وخباب وابن مسعود مجلسا ولأشراف قريش مجلسا، طمعا في إسلام هؤلاء الأشراف فيسلم مَن وراءهم، من قومهم، وهم جمع غفير، إذ قالوا له: اجعل لنا مجلسا غير مجلس هؤلاء النفر لأن عليهم ثيابا تفوح منها رائحة العرق فتؤذي السادة من كبراء قريش.

يوم أن حدثته نفسه ـ صلى الله عليه وسلم ـ بذلك، أمره الله ـ عز وجل ـ بغيره. فقال له: (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا) الكهف ـ ٢٨.

واستجاب ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأمر ربه إذ جاء في الحديث عن عبدالرحمن بن سهل بن حنيف قال: نزلت على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو في بعض أبياته (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي...) فخرج يلتمسهم، فوجد قوما يذكرون الله ـ تعالى ـ منهم ثائر الرأس، وجاف الجلد، وذو الثوب الواحد، فلما رآهم جلس معهم وقال: «الحمد لله الذي جعل في أمتي من أمرني أن أصبر نفسي معهم»

وهكذا كان ـ صلى الله عليه وسلم ـ طويل الصحبة والمعايشة لأصحابه، وقد أثمر ذلك:

● حمايتهم من احتضان الأشرار لهم بفكر أو بسلوك أو بهما معا، وهذه أهم وأعظم ثمرات الصحبة الطويلة والمعايشة المستمرة.

● الوقوف على أبعاد ومعالم شخصية كل واحد من هؤلاء الأصحاب، بحيث سهل تقديم العوج وكذلك الارتقاء والنهوض بذوي الكفايات والهمم العالية منهم، بل وتوظيف الطاقات كل فيما يناسبه، مع تجنيب الصف وحمايته ممن لا يصلحون.

● الاطلاع عن قرب على حسن خلقه ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكرمه في العشرة والمعاملة، الأمر الذي وطد من حسن صلتهم به، وزيادة ثقتهم فيه، ومحبتهم له أكثر من كل شيء حتى من نفوسهم، التي بين ضلوعهم أو جنوبهم، ومفاداته بالغالي والنفيس، والاستجابة الفورية لأمره بل لإشارته.

درس وعبرة

ولعل هذا المعلم يضعنا وقومنا أمام حقيقة كثيرا ما يستهان بها أو تغيب عن البال ومضمونها: أن جيل القادة والرواد، وجيل الجندية الحقة، لا يمكن أن يوجد على النحو المرضي ما لم تكن هذه الصحبة الطويلة، وتلك المعايشة المستمرة.

إنها فترة لابد منها حتى يمكن استيعاب هذه الأفواج وتلك الزمر التي تتوافد يوميا على باب الدعوة راغبة أن تعد وأن تهيأ لتؤدي دورها في التمكين لمنهج الله في الأرض، وحمايته من كيد الكائدين وعبث العابثين...

وإذا كان دعاة الضلالة وحماتها لاسيما في هذا العصر يركزون على هذا المعلم التربوي ولا يغفلونه من حسابهم لحظة، حتى لكأنك تراهم مع الناس بباطلهم في البيت وفي الشارع وفي العمل، بل وفي مخادع النوم، بالليل وبالنهار، وفي كل الظروف وسائر الأحايين، وما أمر ما نشهد في أكثر وسائل الإعلام عنا ببعيد.

إذا كان هذا شأن دعاة الضلالة وحماتها، فأولى بنا ونحن دعاة الحق وحماته أن نعطي هذا المعلم حقه من الاهتمام والرعاية.

ولا يتذرعن أحد بكثرة الأعباء الوظيفية وغير الوظيفية، فالحاجة تفتق الحيلة على أنه حين تتعارض واجبات الوظيفة مع حق الدعوة، فإن حق الدعوة مقدم والإعانة أو الإعالة في مثل هذه الحال ضرورة لا يمكن الفكاك منها. وقد فرَّغ النبي صلى الله عليه وسلم أهل الصفة ليقوموا بدورهم في حفظ ما يؤثر عنه، ونقله إلى الناس على طريقة التعليم النظامي، مقابل توفير الكفاية لهم من الطعام والشراب، واللباس والسكنى، وكذلك فرَّغ الصحابة أبا بكر الصديق من أعبائه المعاشية ليقوم بمهام وظيفته من قيادة دنيا المسلمين بدين الله، في مقابل راتب شهري يدفع له ولعائلته، إذن فلا ضير أن يكون فينا هذا الصنف من الناس، ونوفر له ولأهله وأسرته حد الكفاية، وسيرد علينا ذلك من خلال الجهد الذي يبذله والعطاء الذي يقدمه.

المعلم الثاني: شغل أو ملء الوقت بالنافع المفيد:

فقد جاء ـ صلى الله عليه وسلم ـ الناس بمنهاج يعرفهم: دورهم ورسالتهم وأنهم خلائف في الأرض يعملون ويبتكرون، وينتفعون بكل نعمة وضعت تحت أيديهم ليسودوا في هذه الأرض، ولكن في حدود ما رسمه الله ـ عز وجل ـ لهم في هذا المنهج، وأن عليهم أن يستثمروا عمرهم المحدود على ظهر هذه الأرض استثمارا صحيحا وفعالا حتى

يؤدوا هذا الدور ويقوموا بتلك الرسالة، وأخذ — صلى الله عليه وسلم — يمارس ذلك معهم عمليا، فشغل أوقاتهم بكل ما هو نافع ومفيد، كانوا يلتقون على صلاة ومناجاة لله أو على ذكر ودعاء وتوبة واستغفار، أو في مجلس علم، أو فتوى، أو قضاء، أو على تخطيط لجهاد، وتدريب وإعداد، وتنفيذ ومتابعة، أو لتحية وتكريم وفد، ثم توديعه، وكانوا كذلك ينصرفون للقيام بمهمة رسمية، أو للقيام على شؤون أهلهم وأولادهم، وأعمالهم المعاشية، أو للتواصل فيما بينهم بزيارة أو سؤال أو هدية أو هبة أو قضاء حاجة، أو لمناجاة ربهم في جوف الليل، والناس هجوع أو نيام، وهكذا دواليك.

وأيقن — صلى الله عليه وسلم — أنه لو تركهم لحظة بغير ما هو نافع ومفيد، لاستحوذ عليهم الشيطان ولأنساهم ذكر الله، ولشغلهم بالباطل من المراء، والجدل، فتتصدع القلوب، وتكون الفرقة والشتات، إذ إن طبيعة النفس البشرية هكذا: انك إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل.

ونسوق من سيرته — صلى الله عليه وسلم — العطرة درساً عمليا يكشف عن حرصه الشديد على شغل أصحابه بالنافع المفيد، وإلا تناوشتهم الأهواء واغتالتهم الشياطين:

في غزوة بني المصطلق اقتتل غلامان أحدهما لعمر، والآخر لواحد من الأنصار، وتناديا يا للمهاجرين، ويا للأنصار، وكان زيد بن أرقم، ونفر من الأنصار عند عبدالله بن أبيّ بن سلول، فلما سمع ابن سلول التنادي قال: قد ثاورونا من بلادنا، والله ما مثلنا وجلابيب قريش هذه إلا كما قال القائل: سمّن كلبك يأكلك، والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعز منها الأذلّ، ثم أقبل على من عنده، وقال: هذا ما صنعتم بأنفسكم أحللتموهم بلادكم، وقاسمتموهم أموالكم، أما والله لو كففتم عنهم لتحولوا عنكم من بلادكم إلى غيرها، فسمعها زيد بن أرقم — رضي الله عنه — فذهب بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غليم، وكان عنده عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — فأخبره الخبر، فقال عمر — رضي الله عنه — يا رسول الله: مُر عباد بن بشر فليضرب عنقه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فكيف إذا تحدث الناس يا عمر أن محمداً يقتل أصحابه؟ لا، ولكن نادي يا عمر في الرحيل».

فلما بلغ عبدالله بن أبي أن ذلك قد بلغ رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أتاه فاعتذر إليه، وحلف بالله ما قال: ما قال عليه زيد بن أرقم، وكان عند قومه بمكان، فقالوا: يا رسول الله عسى أن يكون هذا الغلام أوهم ولم يثبت ما قال الرجل! عند ذلك راح رسول الله — صلى الله عليه وسلم — مهجرا في ساعة كان لا يروح فيها، فسار رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بالناس حتى أمسوا وليلته حتى أصبحوا وصدر يومه حتى اشتد الضحى، ثم نزل بالناس.

وكان هدفه — صلى الله عليه وسلم — من وراء ذلك أن يشغلهم عما كان من الحديث فلا تختلف القلوب، ولا تمزق وحدة الصف.

وذلك هو ما حدث، فإن الناس ما ان وجدوا مس الأرض — حين نزل بهم — حتى ناموا، واستيقظوا على نزول سورة المنافقين، وقطع دابر الخلاف والشقاق. (تفسير ابن كثير ٤/٣٦٩ و ٣٧٠).

درس وعبرة

ولعل العبرة أو الدرس من هذا المعلم تتلخص في: الاهتمام بأوقات كل ذي جهد مسخر لخدمة دين الله، بحيث تستثمر هذه الأوقات استثمارا صحيحا، فلا تبقى لحظة فراغ يمكن أن يستغلها شياطين الإنس أو شياطين الجن، أعني أنه لابد إلى جنب المعايشة من البرامج والتكاليف النظرية والتطبيقية المستوعبة لكل مكونات الإنسان، القلبية والعقلية والجسمية، ولكل جوانب الحياة، سياسية واقتصادية، واجتماعية وعلمية، وتربوية، وجهادية، والتي لا تنقطع أبدا مع مراعاة أن تكون مناسبة لاستعدادات وإمكانات كل فرد، وأن تكون كذلك مواكبة للعصر، بل وللبيئة التي يوجد فيها هذا الإنسان، ومغطية لكل التساؤلات والاستفسارات، لابد من ذلك كله، وإلا فسيكون الفراغ، والجدل، وتصدع القلوب، والفرقة والشتات لا قدر الله.

المعلم الثالث: التذكير الدائم بالمنزلة والمكانة التي اختصهم الله — عز وجل — بها مع بيان مبررات هذه المنزلة وتلك المكانة:

فقد مضى — صلى الله عليه وسلم — يذكر دوما بالمنزلة والمكانة التي حباهم الله — عز وجل — بها، ثم يسوق المبررات التي رفعتهم إلى هذه المنزلة، وتلك المكانة، فيقول لهم تفسيرا لقوله تعالى: (كنتم خير أمة أخرجت للناس...) يقول لهم: «وإنكم تتمون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله» أخرجه أحمد، والترمذي وابن ماجة من حديث معاوية بن حيدة مرفوعاً.

ويقول لهم:

«مثل المسلمين في اليهود والنصارى كمثل رجل استأجر قوما يعملون له عملا إلى الليل، فعملوا إلى نصف النهار، فقالوا: لا حاجة لنا إلى أجرك، فاستأجر آخرين، فقال: أكملوا بقية يومكم، ولكم الذي شرطت، فعملوا حتى إذا كان حين صلاة العصر قالوا: لك ما عملنا، فاستأجر قوما فعملوا بقية يومهم حتى غابت الشمس، واستكملوا أجر الفريقين» رواه البخاري من حديث أبي موسى الأشعري مرفوعاً.

«إنما بقاؤكم فيما سلف قبلكم من الأمم كما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس أوتي أهل التوراة التوراة فعملوا حتى إذا انتصف النهار عجزوا، فأعطوا قيراطا قيراطا، ثم أوتي أهل الإنجيل الإنجيل فعملوا إلى صلاة العصر ثم عجزوا، فأعطوا قيراطا قيراطا، ثم أوتينا القرآن فعملنا إلى غروب الشمس فأعطينا قيراطين قيراطين، فقال أهل الكتابين: أي ربنا أعطيت هؤلاء قيراطين قيراطين، وأعطيتنا قيراطا قيراطا، ونحن كنا أكثر عملا قال الله — عز وجل — هل ظلمتكم من أجركم من شيء؟ قالو: لا، قال فهو فضلي أوتيه من أشاء».

على أن هذا هو السنن في التغيير، فهو — سبحانه يقول: (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) الرعد — ١١، (ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) الأنفال — ٥٣.

ويشرح لهم — صلى الله عليه وسلم — قوله تعالى: (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس، ويكون الرسول عليكم شهيدا) فيقول:

«يدعى نوح يوم القيامة فيقال له هل بلغت؟ فيقول نعم، فيدعى قومه فيقال لهم: هل بلغكم؟ فيقولون ما أتانا من نذير، وما أتانا من أحد؟ فيقال لنوح: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته، قال فذلك قوله تعالى: (وكذلك جعلناكم أمة وسطا).

وفي رواية أخرى: «يجيء النبي يوم القيامة ومعه الرجلان وأكثر من ذلك، فيدعى قومه، فيقال لهم: هل بلغكم هذا؟ فيقولون: لا، فيقال له هل بلغت قومك؟ فيقول: نعم، فيقال من يشهد لك فيقول: محمد وأمته، فيدعى محمد وأمته، فيقال لهم: هل بلغ هذا قومه؟ فيقولون: نعم فيقال: وما علمكم؟ فيقولون: جاءنا نبينا فأخبرنا أن الرسل قد بلغوا، فكذلك قوله — عز وجل — «وكذلك جعلناكم أمة وسطا» الروايتان لأحمد من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعا.

وظل — صلى الله عليه وسلم — معهم على هذه الحال من التذكير والبيان حتى انقدح في ذهنهم من هم عند الله؟ وما دورهم ورسالتهم في الأرض؟ الأمر الذي أدى أن تتقد جذوة الحماس في صدورهم فانطلقوا عاملين بالليل وبالنهار وبكل ما في وسعهم وما في طاقتهم دون فتور أو توان، ودون كسل أو ملل.

درس وعبرة

والعبرة من هذا المعلم تدور حول التذكير الدائم بمنزلة ومكانة العاملين

لدين الله عند الله وأن وصولهم إلى هذه المنزلة، وتلك المكانة ـ وإن كان فضلاً من الله ونعمة ـ فهو كذلك بسبب أنهم هداة البشرية، والآخذون بيدها إلى صراط العزيز الحميد.

وبعبارة أخرى بسبب ما جاء ملخصاً على لسان الصحابي الجليل ربعي بن عامر وهو يرد على رستم قائد جيوش الفرس لما سأله: ما جاء بكم؟ إذ قال:

«الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام» البداية والنهاية لابن كثير ٧/ ٣٩.

إن هذا التذكير إن أخذ صفة الديمومة أو الاستمرار يمكن أن يشعل جذوة الحماس في الصدور فتظل دائما في فرار إلى الله مع جدية وإتقان.

المعلم الرابع: البدء في إصلاح وتهذيب النفس من الداخل:

فقد أدرك ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعين النبوة أن أي إصلاح أو تهذيب ما لم يبدأ من داخل النفس، فهو عديم الفائدة، قليل الجدوى، ذلك أن الجانب الداخلي من النفس هو أساس حركة الجانب الخارجي، بحيث إذا صلح ما بداخلها صلحت الجوارح، وإذا فسد ما بداخلها فسدت الجوارح ومن هذا يقول ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب»(١). وقد برز هذا البدء من خلال ما كان في المرحلة المكية من تصحيح العقيدة ومن التعريف بالله تعريفا يؤدي إلى تقديره حق قدره، ومن التذكير الدائم بأصل الإنسان، وعاقبته ومصيره، وما سيكون في هذه العاقبة، وذلك المصير من الراحة والنعيم أو التعب والعذاب، وكذلك ما كان من تجنيب الوقوع في المعاصي والسيئات ما ظهر منها وما بطن، ثم المواظبة على الطاعات من الصلاة لاسيما صلاة الليل، وكذلك تلاوة القرآن، والذكر، والدعاء، والاستغفار، وأيضاً الدعوة إلى حسن الخلق من العفو، والصفح، والأمانة والصبر، والتحمل، واحتساب الأجر عند الله، ثم التوصية بالتركيز على هذا الجانب إذ يقول صلى الله عليه وسلم: «المجاهد من جاهد نفسه في سبيل الله ـ عز وجل ـ»(٢). «ألا أخبركم بالمؤمن؟ من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم والمسلم من سلم الناس من لسانه ويده، والمجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله، والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب»(٣).

وقد جمع القرآن كل ما كان في هذه المرحلة في قوله تعالى:

(ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) النساء: ٧٧.

وهكذا بدأ ـ صلى الله عليه وسلم ـ في الإصلاح والتهذيب بهذا الجانب الداخلي من النفس، حتى إذا استقام، استقام الإنسان كله، فكانت التضحية والإيثار والتراحم، والإخلاص، والصدق والوفاء، والطاعة والأمانة والعفة والعدالة، والاعتراف بالتقصير مع محاولة التطهر منه، والإقلاع عنه، والجدية والثبات، وعدم تضييع لحظة بغير عمل أو عطاء.

درس وعبرة

والدرس الذي يجب أن نعيه من هذا المعلم، إنما يدور حول أن تكون البداية لإصلاح وتهذيب النفس من الداخل، ولا يفيد في ذلك إلا الممارسات العملية من صوم التطوع والإفطار الجماعي، ومن قيام الليل، ومن ترتيل القرآن، ومن التعويد على الصدقات ومن الحج والعمرة، ومن الذكر والدعاء والاستغفار، ومن الصمت والتفكر، ومن عيادة المرضى، وتشييع الجنائز، وزيارة المقابر، والصبر والتحمل، وحضور مجالس المواعظ والرقائق، والمطالعة في كتب التهذيب والتزكية.

فإن هذه جميعا إذا تمكنت من النفس ملأتها، وسدت عليها فراغها، فلا يبقى لديها مجال لجدل أو تساؤل في غير محله، أو اشتغال بما لا يفيد، بل تبقى حريصة كل الحرص على إتيان ما يرضى به الله والرسول، وما يعود عليها وعلى المؤمنين والناس أجمعين بالخير والنفع العظيم.

المعلم الخامس: التركيز ـ بعد إشعال جذوة الإيمان في النفس من الداخل ـ على ما ينير العقل ويقوّي البدن:

وركز ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعد أن أشعل جذوة الإيمان في النفس من الداخل على ما ينير العقل، ويقوي البدن، حتى لا يكون هناك قصور أو نقص في شخصية المسلم، إذ العقل بمثابة المشير أو الوزير عن القلب، وإذن فلا بد من أن يكون منيرا لئلا يشير إلا بما فيه الخير والمصلحة والسداد، وكذلك البدن هو بمثابة المطية أو المركب لكل من القلب والعقل، وإذن فلابد وأن يكون قويا معافى حتى يتمكن من الحركة وفق ما يشير العقل، وما يأمر القلب، وبدا التركيز على العقل من خلال دعوته ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى تشغيل الذهن وإعمال الفكر إذ قال: «لا تكونوا إمعة، تقولون إن أحسن الناس أحسنا، وإن ظلموا ظلمنا ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساؤوا فلا تظلموا»(٤)، وإذ كان يطرح عليهم بعض المشكلات ويطلب الرأي فيها كما وقع في تشريع الأذان، ومن يوم أحد، والخندق، وإذ كان يلقى بعض التساؤلات ويطلب منهم الجواب عليها كما في حديث عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: «إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وإنها مثل المسلم، حدثوني ما هي؟» قال: فوقع الناس في شجر البوادي، قال عبدالله فوقع في نفسي أنها النخلة، ثم قالوا: حدثنا ما هي يا رسول الله؟ قال: «هي النخلة» (٥) وكما في حديث سمرة بن جندب ـ رضي الله عنه ـ قال: كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يعني مما يكثر أن يقول لأصحابه: «هل رأى أحد منكم من رؤيا؟»... الحديث(٦).

ثم يطلب منهم أن يعبروها إن استطاعوا، وإلا عبرها لهم.

بل من خلال التأكيد على الطاعة والبعد عن المعصية إذ يقول: «تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودا عودا، فأي قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء، حتى تصير على قلبين: على أبيض مثل الصفا، فلا تضره فتنة مادامت السموات والأرض والآخر أسود مُرْبَادًّا (أي شديد البياض في سواد) كالكوز مُجَخِّياً (أي منكوساً) لا يعرف معروفا، ولا ينكر منكرا، إلا ما أشرب من هواه»(٧).

كما بدا التركيز على البدن من خلال تحذيره من التوسع في المباحات لا سيما المطاعم والمشارب، إذ يقول: «ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطنه، بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه»(٨) وكذلك من خلال التحذير من المعصية، والدعوة إلى المواظبة على الطاعات إذ يقول: «يا معشر المهاجرين خمس إذا ابتليتم بهن، وأعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا....»(٩).

وأيضا من خلال الدعوة إلى النظافة والتجمل والتطيب بالوضوء والغسل ولبس أجمل الثياب، ومس الطيب، وترجيل الشعر، والسواك ونحو ذلك من كل ما يقي الجسم من الأمراض.

وكذلك من خلال التأكيد على العلاج والتداوي إذ يقول:

«يا عباد الله تداووا فإن الله لم يضع داء إلا وضع له شفاء، أو قال: دواء، إلا داء واحدا» قالوا يا رسول الله وما هو؟ قال: «الهرم»(١٠).

وأيضاً من خلال تحريمه أن يعتدي الإنسان على بدنه بأي لون من ألوان العدوان إذ يقول ـ صلى الله عليه وسلم ـ:

«من قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يتوجأ بها في بطنه، في نار جنهم خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن قتل نفسه بسم فسمه في يده يتحساه في نار جنهم خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن تردى من جبل فقتل نفسه فهو يتردى في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً»(١١) وأخيراً من خلال المسابقات، والممارسات الرياضية والجهادية التي كان ـ صلى الله عليه وسلم ـ يحضهم عليها بل ويشاركهم فيها، كما شهدت بذلك كتب السنة والسيرة النبوية.

درس وعبرة

ولعل الدرس الذي نعيه من هذا المعلم هو ضرورة الاهتمام بالعقل، والبدن إلى جانب الاهتمام بالقلب أو الروح حتى لا يكون القصور أو النقص، فنحذر المعاصي والسيئات - صغيرها وكبيرها، ما ظهر منها وما بطن - ثم نواظب على الطاعات - فرضها ونفلها - وكذلك على القراءة الموصولة أو حضور مجالس العلم، والتدبر في آيات الله المبثوثة في الكون وفي النفس، ومعايشة ذوي الخبرة والتجربة، وأيضاً من خلال المشورة والمسابقات، والرحلات التأملية، ومعايشة القرآن الكريم والسنة المطهرة، فإن ذلك وغيره — كما يطهر النفس ويزكيها — فإنه يبني العقل وينميه.

وكما نحذر كل ما يؤدي إلى الإضرار بالبدن من الإسراف أو التقتير في الطعام والشراب أو إهمال النظافة، أو عدم الرعاية الصحية أو الغفلة عن الممارسات الرياضية والتي أقلها رياضة المشي.

ولعل مراجعة المسلم لبرنامج العمل في اليوم والليلة على نحو ما جاء في هديه — صلى الله عليه وسلم — في السنة تغنينا عن التطويل في هذا الدرس.

المعلم السادس: الحرص على التوازن أو المساواة في حق كل من الروح والعقل والبدن:

ومع اهتمامه - صلى الله عليه وسلم - في تربية أصحابه بتزكية النفس، وتنمية الفكر وتقوية البدن، فقد حرص أن تكون هذه الجوانب الثلاثة متزنة ومتساوية لا يطغى فيها جانب على آخر فيكون العوج أو الانفصام والخلل.

وبرز هذا بوضوح في حديث الثلاثة الرهط الذين جاؤوا إلى بيوت أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - يسألون عن عبادة النبي - صلى الله عليه وسلم - في السر، فلما أخبروا كأنهم تقالُّوها، (أي عدوها قليلة) وقالوا: أين نحن من النبي - صلى الله عليه وسلم - قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟

قال أحدهم: أما أنا فأصلي الليل أبداً، وقال الآخر: وأنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال الثالث: وأنا اعتزل النساء فلا أتزوج أبداً.

وعلم النبي - صلى الله عليه وسلم - بذلك فجاء إليهم فقال: «أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله، وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»(١٢).

وفي حديث عائشة - رضي الله عنها - حين دخل عليها النبي - صلى الله عليه وسلم - وعندها امرأة، قال: «من هذه؟» قالت: هذه فلانة تذكر من صلاتها، قال: «مه عليكم بما تطيقون. فوالله لا يملُّ الله حتى تملوا، وكان أحب الدين ما داوم صاحبه عليه»(١٣) «اكلفوا من الأعمال ما تطيقون، فإن الله لا يمل حتى تملوا، وإن أحب العمل إلى الله أدومه وإن قل»(١٤).

وفي حديث ابن عباس - رضي الله عنهما — قال: كانت مولاة للنبي - صلى الله عليه وسلم - تصوم النهار وتقوم الليل، فقيل له: إنها تصوم النهار، وتقوم الليل، فقال: «إن لكل عمل شرة، ولكل شرة فترة، فمن كانت فترته إلى سنتي فقد اهتدى، ومن كانت فترته إلى غير ذلك فقد ضل»(١٥).

وفي حديث أبي جحيفة وهب بن عبدالله - رضي الله عنه - قال: آخى النبي — صلى الله عليه وسلم — بين سلمان، وأبي الدرداء، فزار سلمان أبا الدرداء فرأى أم الدرداء متبذلة: (يعني لابسة ثياب المهنة وتاركة ثياب الزينة) فقال: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا، فجاء أبو الدرداء فصنع له طعاماً، فقال له: كل فإني صائم، فقال: ما أنا بآكل حتى تأكل، فأكل، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم، فقال له: نم، فنام، ثم ذهب يقوم، فقال له: نم، فلما كان آخر الليل، قال سلمان: قم الآن، فصليا جميعاً، فقال له سلمان: «إن لربك عليك حقاً وإن لنفسك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً فأعط كل ذي حق حقه» ثم أتى النبي - صلى الله عليه وسلم - فذكر ذلك له، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - «صدق سلمان».(١٦)

وفي حديث عبدالله بن عمرو بن العاص إذ كان يصوم النهار ويقوم الليل، ولا يقضي حق أهله، فقال له النبي - صلى الله عليه وسلم - «ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل؟ قلت: بلى يا رسول الله، قال: فلا تفعل، صم وأفطر، ونم وقم، فإن لجسدك عليك حقاً، وإن لعينك عليك حقاً وإن لزوجك عليك حقاً وإن لزورك عليك حقاً، وإن بحسبك أن تصوم في كل شهر ثلاثة أيام، فإن لك بكل حسنة عشر أمثالها، فإذن ذلك صيام الدهر»(١٧).

وفي حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: بينما النبي - صلى الله عليه وسلم - يخطب إذا هو برجل قائم، فسأل عنه فقالوا: (أبو إسرائيل) نذر أن يقوم في الشمس ولا يقعد، ولا يستظل ولا يتكلم، ويصوم فقال - صلى الله عليه وسلم —: «مروه فليتكلم، وليستظل، وليقعد، وليتم صومه»(١٨).

وفي حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما — قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا عبدالله لا تكن مثل فلان، كان يقوم الليل، فترك قيام الليل»(١٩).

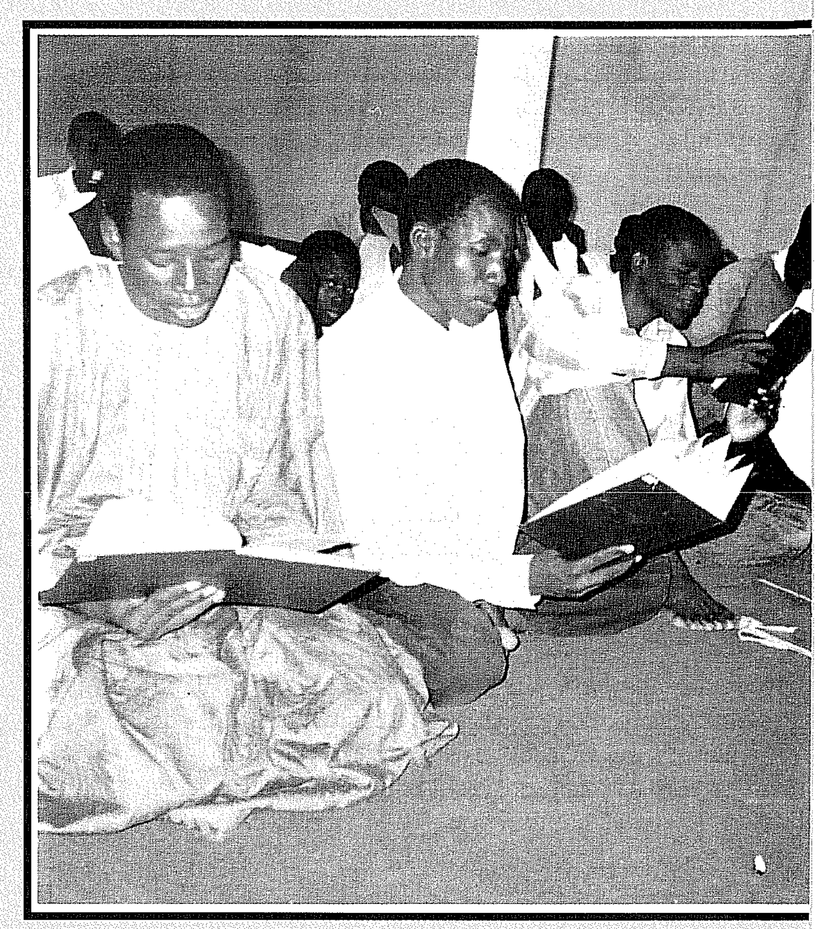
وهكذا ربى رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه على إعطاء كل من الروح والعقل والبدن، حقه بالتساوي مع الآخرين، فحفظ بذلك شخصيتهم من الخلل أو العوج.

درس وعبرة

ولعل الدرس الذي نعيه من هذا المعلم هو أن تكون عيون المربين مفتوحة، فلا تسمح بالتجاوز في أي جانب من هذه الجوانب الثلاثة: الروح والعقل والبدن، ولا نغفل كذلك أياً منها، وإلا كان الخلل والانفصام والعجز عن القيام بالمهمة التي وكلت إلينا، وأداء الأمانة التي وضعت في أعناقنا. ■

الهوامش:

(١) رواه الشيخان.
(٢) رواه أحمد في المسند.
(٣) رواه أحمد في المسند.
(٤) رواه الترمذي وقال: «هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه».
(٥) رواه البخاري.
(٦) رواه البخاري.
(٧) رواه مسلم.
(٨) رواه الترمذي وقال: «هذا حديث حسن صحيح».
(٩) رواه ابن ماجة.
(١٠) رواه الترمذي وقال: «هذا حديث حسن صحيح».
(١١) رواه الترمذي وقال: «هذا حديث صحيح».
(١٢) متفق عليه.
(١٣) متفق عليه.
(١٤) متفق عليه.
(١٥) رواه البزار.
(١٦) رواه البخاري.
(١٧) رواه البخاري.
(١٨) رواه البخاري.
(١٩) متفق عليه.



اقتصاد اسلامي

دراسة في فقه المعاهدات الإسلامية:

أول وثيقة أفريقية لحماية المسلمين ومساجدهم

بقلم: محمود بيومي

يرجع تاريخ أول وثيقة للحفاظ على أمن الأقليات المسلمة وحماية المساجد في القارة الافريقية إلى عام ٣١ هجرية، وتعرف هذه الوثيقة في التاريخ الإسلامي والافريقي باسم معاهدة «البقط» Pakt .. وهي كلمة فرعونية معناها «العهد» وكلمة مصرية قديمة معناها «الضريبة».. كما وردت في اللغة اليونانية القديمة بمعنى «الاتفاق».. ووردت هذه الكلمة في معاجم اللغة العربية بعدة معان. أبرمت هذه الاتفاقية بين المسلمين في مصر وأهل النوبة، وذلك لأن أهل النوبة هددوا أمن الدولة الإسلامية واتخذوا موقفاً معادياً من المسلمين منذ بداية الفتح الإسلامي لمصر. وقد بدأت حملات تأديب أهل النوبة بقيادة عمرو بن العاص، واستمرت هذه الحملات الإسلامية حتى تمكن عبدالله بن سعد بن أبي السرح - والي مصر - من هزيمة أهل النوبة ومحاصرة عاصمتهم «دنقلة»، فطلب ملك النوبة «قليدروس» الصلح والأمان، فاستجاب لذلك والي مصر وقائد حملات التأديب عبدالله بن أبي السرح، فتم التوقيع على اتفاقية «البقط» بين الجانبين في عام ٣١ هجرية - الموافق عام ٦٥٢ ميلادية، واستمر العمل بموجبها حتى عام ٧٢٣ هجرية (١٣٢٣) أي حوالي سبعة قرون.

ونظراً لأهمية هذه المعاهدة في تأصيل استراتيجية المسلمين لحماية الأقليات المسلمة وصيانة مقدساتهم الإسلامية، وإرساء قواعد متينة لحمايتهم في العالم، تستعرض «الوعي الإسلامي»، أهم ما جاء في هذه الاتفاقية وتسليط دوائر الضوء على فن العمارة الإسلامة في بناء المساجد في القارة الأفريقية منذ بداية معرفة أفريقيا لحقائق وهدايات الدين الإسلامي الحنيف.

أمن الأقليات المسلمة

قبل أن نستعرض نص اتفاقية «البقط» كما وردت في روايات المؤرخين.. لابد أن نشير إلى حقيقة مهمة.. وهي أن النوبة قد عرفت الإسلام قبل عام ٣١ هجرية، وتكوّنت بها جالية مسلمة شيّدت

المساجد بدليل أن الاتفاقية تضمنت التزام أهل النوبة بتقرير حق إقامة الشعائر الدينية الإسلامية بحرية تامة إلى جانب التزامهم بحماية المسجد الذي شيّده المسلمون في عاصمة النوبة وهي مدينة «دنقلة» في ذاك الوقت، والقيام بنظافته وإنارته، كما تضمنت هذه الاتفاقية تقرير حق تنقّل المسلمين دونما معارضة من أهل النوبة طالما لم يخرجوا على النظام القائم في النوبة في ذاك الوقت.

ولابد أن نشير أيضاً إلى أن النوبة كانت تشغل رقعة جغرافية تمتد من جنوب مصر على جانبي نهر النيل قرب مدينة «أسوان» شمالاً.. وحتى التقاء النيلين ـ الأبيض والأزرق ـ جنوباً .. إضافة إلى مناطق من حوض النيل الأزرق وأقاليم كردفان ودافور غرباً.. وكانت هذه المنطقة النوبية تضم ثلاث ممالك نصرانية هي «نوباتيا» و «المقرّة» و «علوة».

بعد أن فتح المسلمون مصر عام ٢٠ هجرية بقيادة عمرو بن العاص ـ في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ـ أرسل عمرو بن العاص إلى بلاد النوبة عقبة بن نافع الفهري يدعوهم لاعتناق الإسلام.. فلم يستجيبوا لدعوة الإسلام، بل شن أهل النوبة غارات متتالية على جنوب مصر وهددوا أمن المسلمين وقطعوا الطريق أمام القوافل التجارية والدعوية، وكان لابد من وضع حد للخطر النوبي الذي يهدد أمن المسلمين في مصر، واستمرت حملات عمرو بن العاص التأديبية حتى عام ٢٥ هجرية، فواصل عبدالله بن سعد ابن أبي السرح هذه الحملات حتى عام ٣١ هجرية، فجاءت معاهدة «البقط» لتضع حداً فاصلاً بين التهديد النوبي وبداية عهد جديد تلاشت فيه التهديدات نهائياً فترة طويلة من الزمان استمرت ٦٩٢ عاماً من تاريخ التوقيع على هذه الاتفاقية.

معاهدة البقط

تناول المؤرخون معاهدة «البقط» بروايات متباينة، فمنهم من وصف المعاهدة بأنها «هدنة» أو «مصالحة» واتفاق مع «مقايضة» وتبادل الهدايا سنويا ... فكانت الهدايا المصرية متمثلة في الطعام والكساء، بينما اقتصرت هدايا أهل النوبة على إرسال عدد من «السبي» أي العبيد، ويستشف ذلك من رويات: عبدالرحمن بن عبدالله بن عبدالحكم المتوفى عام ٢٥٧هجرية، وأحمد بن يحيى ابن جابر المعروف بـ «البلاذري» المتوفى عام ٢٧٩ هجرية وأبو جعفر بن جرير الطبري المتوفى العام ٣١٠هجرية، والمسعودي المتوفى عام ٣٤٦ هجرية، وقد استشف ذلك من كتبهم «فتوح مصر والمغرب» لابن عبدالحكم و «فتوح البلدان» للبلاذري، و«تاريخ الأمم والملوك» للطبري.. و «مروج الذهب ومعادن الجوهر» للمسعودي».

أما نص اتفاقية «البقط» فقد أورده «المقريزي» ـ من مؤرخي القرن التاسع الهجري ـ ويعتبر المقريزي أول من عثر على هذه الوثيقة التاريخية المهمة، فأورد نصها وكاتبها وهو «عمر بن شرحبيل» وأورد تاريخها وهو شهر رمضان سنة إحدى وثلاثين هجرية، وقد وقع على اتفاقية «البقط» عبدالله بن سعد بن أبي السرح عن الجانب الإسلامي، والملك «قليدروس» من الجانب النوبي.

معاهدة «البقْط» أبرمت بين مصر والنوبة عام ٣١ هجرية

الوثيقة

نورد هنا نص وثيقة اتفاقية «البقط» كما جاءت في كتاب المقريزي «المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار»:

«عهد من الأمير عبدالله بن سعد بن أبي السرح لعظيم النوبة ولجميع أهل مملكته، عهد عقده على الكبير والصغير وبين المسلمين ممن جاورهم من أهل صعيد مصر وغيرهم من المسلمين وأهل الذمة، أنكم معاشر النوبة آمنون بأمان الله، وأمان رسوله محمد النبي صلى الله عليه وسلم ــ ألا نحاربكم ولا ننصب لكم حرباً ولا نغزوكم ما أنتم على الشرائط التي بيننا وبينكم، على أن تدخلوا بلدنا ـ مصر ــ مجتازين غير مقيمين فيه، وعليكم حفظ من نزل بلادكم أو يطرقه من مسلم أو معاهد حتى يخرج عنكم، وأن عليكم ردّ كل آبق خرج إليكم حتى تردوه إلى أرض الإسلام ولا تستميلوا عليه ولا تمنعوا منه.

«وعليكم حفظ المسجد الذي ابتناه المسلمون بفناء مدينتكم، ولا تمنعوا منه مصلياً ولا تعرضوا لمسلم قصده وجاور فيه إلى أن ينصرف عنه، وعليكم كنسه وإسراجه وتكرمته.

وعليكم في كل سنة ثلاثمائة وستون رأساً.. تدفعونها إلى إمام المسلمين من أوساط رقيق بلادكم غير المعيب يكون فيه ذكران وإناث.. ليس فيها شيخ هرم ولا عجوز ولا طفل لم يبلغ الحلم.. تدفعون ذلك إلى والي أسوان، وليس على مسلم دفع عدو عرض لكم ولامنعه عنكم، من حد أرض «علوه» إلى أرض أسوان.

فإن أنتم آويتم عبداً لمسلم أو قتلتم مسلماً أو معاهداً، أو عرضتم للمسجد الذي ابتناه المسلمون بفناء مدينتكم

استمر العمل بالمعاهدة مدة ٦٩٢ عاما

بهدم، أو منعتم شيئاً من الثلاثمئة رأسٍ والستين رأساً، برئت منكم هذه الهدنة والأمان، وعدنا نحن وأنتم على سواء حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين، علينا بذلك عهد الله وميثاقه وذمة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، ولنا عليكم بذلك أعظم ما تدينون به من ذمة المسيح وذمة الحواريين وذمة من تعظمونه من أهل دينكم وملتكم».

فقه المعاهدات الإسلامية

أثارت معاهدة «البقط» التي أبرمت بين المسلمين من مصر وملك النوبة، جدلاً كبيراً بشأن بنودها ووضعها في الفقه الإسلامي، وماهيتها هل هي اتفاقية أو معاهدة أو عهد أو صلح أو أمان أو غير ذلك من أمور تناولها فقهاء الأمة الإسلامية بالدراسة والتحليل.

وقبل أن نستعرض آراء فقهاء الإسلام في شأن هذه الاتفاقية، لابد أن نشير إلى أن نصوص المعاهدة أو الاتفاقية وقد تضمنت كل هذه المعاني، فهي «عهد» وهي «أمان» وهي «هدنة»، حيث وردت هذه الكلمات في نص اتفاقية أو معاهدة «البقط»، التي تضمنت العديد من الشروط والالتزامات على الجانبين على حد سواء.

تضمنت المعاهدة أن أهل النوبة «آمنون بأمان الله وأمان رسوله صلى الله عليه وسلم»، إذا التزموا بالشروط الواردة في المعاهدة، فما هي التزامات أهل النوبة وما التزامات المسلمين التي نصت عليها هذه المعاهدة؟

التزامات أهل النوبة

تشير المعاهدة إلى أن التزامات أهل النوبة تنحصر في عدم إقامتهم بصفة دائمة في مصر، مع تقرير حقهم في الانتقال بحرية داخل الأراضي المصرية «أن تدخلوا بلادنا مجتازين غير مقيمين»، كما التزم أهل النوبة برعاية المسلمين إذا دخلوا بلادهم وتوفير الأمان لهم حتى مغادرتهم أراضي النوبة، «عليكم حفظ من نزل بلادكم»، كما التزموا برد كل «آبق» أي خارج على القانون وتسليمه إلى مصر، وعدم استمالته لتغيير عقيدته أو الامتناع عن تسليمه، ونحن نجد اليوم العديد من الاتفاقيات التي توقع بين الدول لتسليم المجرمين أو الصادر بشأنهم أحكاماً قضائية في بلادهم، أي أن اتفاقية «البقط» كان لها السبق في هذا المجال.

ومن أهم التزامات أهل النوبة بموجب هذه الاتفاقية أيضاً، حماية حرية العقيدة وإقامة الشعائر الدينية في علنية والحفاظ على مقدسات المسلمين، وعدم التعرض للمسلمين بإلحاق الأذى بهم وبمساجدهم، «عليكم حفظ المسجد الذي ابتناه المسلمون»، و «لا تمنعوا منه مصلياً ولا تعرضوا لمسلم قصده» و «عليكم كنسه وإسراجه وتكرمته» - أي المسجد - إذ يمكن القول بلغة العصر: حماية أمن الأقلية المسلمة والحفاظ على المقدسات الإسلامية وتقرير حق إقامة الشعائر الدينية، واحترام مقدسات المسلمين ورعاية بيوت الله تعالى، إذ تنص المعاهدة على «كنسه وإسراجه وتكرمته»، حيث أرسى المسلمون منذ وقت مبكر هذه القاعدة المهمة في التعامل بين أهل الديانات المختلفة.

ولو التزم المسلمون في معاملاتهم الدولية بهذا المبدأ الأصيل، ما عانت الأقليات المسلمة في العالم من الاضطهاد الذي نراه في مناطق متعددة في بلدان العالم اليوم.

وبموجب هذه الاتفاقية أو المعاهدة أيضاً، التزم أهل النوبة بتقديم ٣٦٠ رأساً من العبيد من الرجال والنساء «ليس فيها شيخ هرِم ولا عجوز ولا طفل لم يبلغ الحلم»، وقد عمل المسلمون على تحرير هؤلاء العبيد، فإذا أدركنا أن المسلمين وأهل النوبة قد عملوا بهذه المعاهدة لمدة ٦٩٢ عاماً، لاتضح لنا أن المسلمين حرروا أكثر من سبعة ملايين من عبيد النوبة خلال هذه السنوات.

ـ المسلمون لهم السبق في اتفاقيات تسليم الخارجين على القانون لبلادهم

التزامات المسلمين

أما التزامات أهل مصر من المسلمين - بموجب هذه المعاهدة - فتتجلى في توفير الأمان لأهل النوبة، ويتمثل ذلك في عدم شن الحروب ضدهم أو الدخول في حلف عسكري ضدهم، كما حددت المعاهدة مساحة عدم التدخل في شؤون النوبة أو الدفاع عنهم - «ليس على مسلم دفع عدو عرض لكم ولا منعه عنكم من حد أرض علوة إلى أرض أسوان».. وقد بيّنا في بداية المقال المساحة التي تشغلها أرض النوبة وقت التوقيع على معاهدة «البقط» أي أن المعاهدة لا تتضمن اتفاقية للدفاع المشترك بين مصر والنوبة، إنما هي شروط محددة التزم بها كل من الطرفين.

آراء الفقهاء

تعددت آراء الفقهاء بشأن معاهدة «البقط»، فمنهم ابن الحكم الذي رأى أن الأمر مجرد هدنة بين المسلمين وأهل النوبة، فلا عهد ولا ميثاق بينهما، وهذا الرأي يخالف النص الصريح للمعاهدة، وما جاء بها من شروط، بينما رأى «البلاذري» أن الأمر كان صلحاً وموادعة بين الطرفين - من دون جزية - وأن ما يدفعه أهل النوبة لمصر كان يقابله مقايضة أو مبادلة العبيد بالغذاء والكساء، وأن الصلح بين الطرفين كان في جوهره اتفاقية «عدم اعتداء»، بينما رأى الطبري أن الصلح كان على «هدية» متبادلة بين الطرفين، ورأى المسعودي أن هدية أهل النوبة لمصر كانت إهداء مصر عبداً عن كل يوم، على أن تُقدّم سنوياً.

وتناول الإمام مالك بحث معاهدة «البقط» فوصف المعاهدة بأنها صلح لا يجيز شراء عبيد أهل النوبة، ورأى فقهاء آخرون أن المعاهدة موادعة وأحكام الموادعة في الإسلام أمان لا يجيز الاسترقاق، بينما رأى فقهاء مصر أن معاهدة «البقط» كانت عدم اعتداء من الناحية الحربية وأجازوا شراء عبيد أهل النوبة، وممن قالوا بهذا الرأي الليث بن سعد، بينما رأى ابن خلدون أن المعاهدة كانت جزية، وهذا الرأي مردود عليه بأن الجزية في الإسلام تتضمن التأمين ضد الاعتداء والتمتع بالمرافق العامة، أي أنها قدر معلوم من المال يفرض على الرؤوس.

اللجوء السياسي للنوبة

أوضحنا أن معاهدة أو اتفاقية «البقط» ظلت سارية المفعول منذ تاريخ توقيعها في عام ٣١ هجرية وحتى عام ٧٢٣ هجرية (من عام ٦٥٢ ميلادية وحتى عام ١٣٢٣ ميلادية)، إلا أن أهل النوبة كانوا يتأخرون في إرسال العبيد إلى مصر، وتطلب هذا الأمر إرسال البعوث والرسائل لتذكير أهل النوبة بالوفاء بشروط المعاهدة، فكان ملوك النوبة يعربون عن احترامهم البالغ لتنفيذ الشروط، ومنها «رد كل آبق خرج إليكم من المسلمين، حتى تردوه إلى أرض الإسلام ولا تستميلوا عليه ولا تمنعوا منه»، ويذكر تاريخ النوبة أن عبدالله بن مروان، وعبيدالله بن مروان من حكام الدولة الأموية، قد هربا إلى النوبة بعد انتهاء الخلافة الأموية وبداية حكم الدولة العباسية وطلبا اللجوء السياسي لأرض النوبة، إلا أن ملك النوبة أمرهما بمغادرة بلاده التزاماً منه بتنفيذ نص معاهدة «البقط».

حاول أهل النوبة إعادة التفاوض مع خلفاء الدولة الإسلامية لتعديل بعض بنودها، وقد نجحت المساعي النوبية في هذا المجال حيث وافق الخليفة المعتصم على تقديم عبيد النوبة مرة واحدة كل ثلاث سنوات، واستمر الوضع على ذلك حتى تم إعفاء أهل النوبة من دفع العبيد وتقديمهم للدولة الإسلامية، وكان ذلك في عهد المماليك وأصبح ذلك سارياً منذ عام ٧٢٣ هجرية بصفة دورية، حتى تم إقراره رسمياً عام ٧٢٥ هجرية.

مسجد النوبة

أما المسجد الذي ورد ذكره في نص معاهدة «البقط» التي وقعت بين عبدالله بن أبي السرح والي مصر والملك النوبي «قليدروث» في عام ٣١ هجرية، فيقع في مدينة «دنقلة» عاصمة النوبة في هذا الوقت، ومما لا شك فيه أن هذا المسجد قد بُني قبل هذا التاريخ، وأن جالية مسلمة قد استقرت بالنوبة قبل عام ٣١ هجرية أيضاً.

وقد قام فريق من رجال الآثار بزيارة إلى مدينة «دنقلة» للتنقيب عن المسجد الذي أطلق عليه اسم «مسجد بن أبي السرح» بعد التوقيع على المعاهدة، أما قبل ذلك فكان يعرف باسم «مسجد دنقلة»، وأكد رجال الآثار أن هذا المسجد عبارة عن بناء بسيط مربع الشكل، طول كل ضلع من أضلاعه حوالي ٢٠ متراً، وبكل ركن من أركانه الأربعة حجرة، ويبلغ ارتفاع المسجد خمسة أمتار، وقد عثر على أثر المسجد في فناء مدينة «دنقلة» وقد غطته الرمال.

أما المواد التي بني منها المسجد فكانت عبارة عن حجارة رملية سوداء وطوب أحمر مأخوذ من بناء قديم، أما سقف المسجد فقد صنع من جريد «النخل» وجذوعه، ويوجد محراب المسجد نحو الجهة القبلية وبه عمود خشبي مستطيل، كما توجد بالمحراب نافذة صغيرة تسمح بدخول أشعة الشمس.

ـ رأي فقهاء الإسلام في بنود معاهدة «البقط».

وأشارت الدراسات الأثرية التي أجريت على المسجد، أن المسجد قد أقيم على منخفض صغير شرق القصر الملكي لملك النوبة، وأنه يتوسط مدينة «دنقلة»، وتشير الدراسات إلى أن صغر حجم المسجد وبساطته المعمارية جعلته من طراز العمارة الإسلامية التي شيدت بها مساجد المدينة المنورة ومكة المكرمة في العصر الإسلامي المبكر، خاصة مع وجود النافذة بالمحراب والتي عرفت لدى المسلمين الأُوَل باسم «المصباح»، وقد تأثرت مساجد النوبة بهذا الطراز المعماري لعدة سنوات لاحقة ■

المراجع:

١ ـ المقريزي: المواعظ والاعتبار جزء ١.

٢ ـ المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر جزء ٢.

٣ ــ ابن عبدالحكم: فتوح مصر وأخبارها.

٤ ـ مصطفى مسعد: معاهدة البقط ـ مجلة كلية اللغة العربية ــ العدد الخامس ــ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

٥ ـ البلاذري: فتوح البلدان.

٦ ــ محمود بيومي: «البقط» أول معاهدة للحفاظ على أمن الأقلية المسلمة في أفريقيا ـ جريدة «الشرق الأوسط» العدد ٥٢٩٦ لسنة ١٩٩٣م.

٧ ـ ربيع محمد القمر: قراءة جديدة في نصوص معاهدة البقط ـ مجلة «الدارة» ـ العدد ٢ السنة ٢١، ١٤١٦هجرية.

٨ ــ البلدان الإسلامية والأقليات المسلمة في العالم المعاصر ـ هدية مجلة «الدارة» ـ هدية العدد الثاني السنة الخامسة ١٩٧٩م.

٩ ـ مصطفى محمد مسعد: الإسلام والنوبة في العصور الوسطى ـ القاهرة ١٩٦٠م.

١٠ ـ دراسات أفريقية: مجلة بحوث نصف سنوية ـ عدة أعداد.

دراسات قرآنية

أيـــام اللـــه

آيـات من سـورة «إبراهيم» عليـه السلام

من الإعجاز الفني في القرآن الكريم

في العدد السابق عشنا احداث الجولة الاولى في معركة الحق والباطل الأزليين من خلال ماعرضته سورة (ابراهيم) المباركة، وهي تستعرض (أيام الله) وقد انتهت هذه الجولة بأن ركب الباطل رأس العناد والمكابرة، وصدف عن الاعتراف بالحق الأبلج، الذي لامرية فيه، بعد ان كان ينطق معترفا به، مطأطئاله رأسه، ﴿جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم في أفواههم وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به وإنا لفي شك مما تدعوننا اليه مريب. قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السموات والارض يدعوكم ليغفرلكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى﴾ ويستمر الحوار!!.. وتمتد الحاجة!!.. فإذا بفريق المدعين يثير قضية بشرية الرسل ليتخذ منها متكأ للتشكيك في صحة هذه الرسالة، وبدلا من ان يشكروا الله على ان كرم بشريتهم بها قالوا: ﴿إن انتم إلا بشر مثلنا تريدون ان تصدونا عما كان يعبد آباؤنا﴾ ونحن نرى انكم غير صادقين في دعواكم الرسالة ﴿فأتونا بسلطان مبين﴾ وبرهان واضح على صدقكم إن كنتم صادقين في دعواكم!!

بقلم: صديق بكر عطية

وهنا يرد عليهم الرسل مبينين لهم موضوع جهلهم بحقيقة القضية، حيث انها ليست في بشريتهم، او في غير بشريتهم، وانما هي في هذه المنة العظمى التي يمتن الله بها على عباده الذين اصطفاهم، لحمل هذه الرسالة، وتأييد هذه القضية ﴿إن نحن إلا بشر مثلكم﴾ هذا صحيح!! فلن ننكر بشريتنا، فهي تكريم لنا ولكم. وكان من الواجب ان تسعدوا باختيار الله رسله من جنسكم ومن بين اظهركم ﴿ولكن الله يمن على من يشاء من عباده﴾ بالوحي وتكليفه بالرسالة.

أما ماطلبتموه من السلطان المبين، والبرهان الواضح، فلا يحق لنا ولايحق لكم ان نقترحه على الله تعالى وليس بمقدورنا ان نأتيكم بشيء منه الا ماشاء الله ان يجريه على ايدينا فهو وحده المتصرف في شؤوننا وشؤونكم، وعليه وحده يتوكل المؤمنون، فهو صاحب العون وصاحب الحول والطول ﴿ومالنا ألا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ماآذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون﴾.

ويضيق صدر المشركين، لما يرونه من ثبات رسل الله على طريق الدعوة ويرون ان الارض تميد من تحت اقدامهم، وان الحق يعلو وتسمق شجرته يوما بعد يوم، حتى لتكاد اغصانها تلتف من حول اعناقهم لتكتم انفاسهم، وهنا تشتد حرارة المعركة، وتصل درجة الغليان الى ذروتها فالموقف الآن لم يعد يحتمل ان يعيش الطرفان جنبا الى جنب في ارض واحدة فهاهو ذا الحق قد أبدى من صلابة الايمان والثبات على المبدأ، ماأذهل الباطل. وهاهو ذا الباطل قد ابدى من مظاهر العناد والمكابرة، ودلائل الكفر والطغيان، مالم يعد معه امل واحد في لمسة خير تلتمس فيه اوحوله. وهنا نرى الباطل وقد كشر عن انيابه مهددا متوعدا بهذه اللهجة التي تطفح بالحقد الاسود وتؤكد على مايملأ قلوبهم من غل مكتوم: ﴿لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا﴾ !!ياسبحان الله!! تقسيم للمصائر في لهجة غادرة باطشة آثمه، وهجمة اخيرة، لايهدأ غبارها إلا وأحد المعسكرين مجندل على الارض، صريع يتخبط في دمائه ﴿لنخرجنكم من ارضنا أو لتعودن في ملتنا﴾ خيار بين احتمالين.. لاثالث لهما ولافكاك من أحدهما إما هذا وإما داك!!وهنا يكون الرد المناسب .. القوى.. يكون الرد بهذا الوحي النازل من قبل الرب تبارك وتعالى على قلب الرسل ليثبتهم ويحمي

ظهورهم ويطلعهم علي اللقطة الاخيرة، التي ستئول اليها المصائر ففيها وحدها كل اسباب الثبات امام هذه الهجمة الشرسة« فأوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين. ولنسكننكم الارض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد».. أهذا هو المصير؟! وتلك هي النهاية؟! لينتصرن الحق على الباطل؟ وليرثن الحق ارض الباطل؟! بعد ان يستأصل شأفته؟! أهذا هو المصير، وقد أخبر به الحق الأعلى الذي يملك الاسباب والمسببات والنتائج والمصائر؟!!

إذن.. فلتكن الهجمة ماتكون، وقبل الوثبة الأخيرة، وقف كل من الطرفين يعد جنده ويهيء لنفسه اسباب النصر على عدوه.

«وهكذا تلتقي القوة الصغيرة الهزيلة- قوة الطغاة الظالمين- بالقوة الجبارة الطامة- قوة الجبار المهيمن المتكبر- فقد انتهت مهمة الرسل عند البلاغ المبين والمفاصلة التي تميز المؤمنين من المكذبين».

«وقف الطغاة المتجبرون بقوتهم الهزيلة الضئيلة في ضعف ووقف الرسل الداعون المتواضعون ومعهم قوة الله- سبحانه- في صف ودعا كلاهما بالنصر والفتح.. وكانت العاقبة كما يجب ان تكون».

﴿واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد. من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد. يتجرعه ولايكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وماهو بميت ومن ورائه عذاب غليظ﴾.

والمشهد هنا عجيب انه مشهد الخيبة لكل جبار عنيد مشهد الخيبة في هذه الارض ولكنه يقف هذا الموقف ومن ورائه تخايل جهنم وصورته فيها، وهو يسقي من الصديد السائل من الجسوم، يسقاه بعنف فيتجرعه غصبا وكرها، ولايكاد يسيغه، لقذارته ومرارته، والتقزز والتكره باديان نكاد نلمحهما من خلال الكلمات ويأتيه الموت بأسبابه المحيطة به من كل مكان ولكنه لايموت ليستكمل عذابه ومن ورائه عذاب غليظ.

انه مشهد عجيب يرسم الجبار الخائب المهزوم ووراءه مصيره يخايل له على هذا النحو المروع الفظيع وتشترك كلمة «غليظ» في تفظيع المشهد، تنسيقا له مع القوة الغاشمة التي كانوا يهددون بها دعاة الحق والخير والصلاح واليقين(١).

إن من يتأمل هذه الصورة الفنية الفريدة يرى فيها عدة قضايا كلها تصل الى حد الاعجاز في قوة التأثير، للبلوغ الى الهدف.

أولاً: دقة التصوير وجمال العرض.. والتنسيق بين أجزاء اللوحة الفنية، التي تصور معركة الحق والباطل مما يشعر القارىء انه امام معركة حقيقية تتوالى فيها الهجمات، وتستخدم الاسلحة المختلفة كل فيما يناسبه من مراحل المعركة فالمعركة بين الحق والباطل لم تسر على نمط واحد من الهجمات، وانما تعددت انماطها بين الفعل ورد الفعل.. والمحاجة المنطقية والرد عليها.. واخيرا الصراع الذي لا يهدأ غباره إلا بعد ان يخر احد العسكرين صريعا.

فهاهم أولاء رسل الله يحملون في ايديهم رسالة ربهم، ومعهم ادلتهم الواضحة التي تنضح بالصدق، وتنطق بالحق، حتى لتكاد تنتزع الاعتراف من بين انياب من ارسلت اليهم الرسل وهاهم اولاء اقوامهم يوشكون ان يعترفوا ويذعنوا معلنين انصياعهم للحق واتباعهم للرسل ولكن ايديهم ترد الى افواههم لتسد الطريق امام هذه المبادهة القوية حتى لاتؤتي ثمارها. هذه هي الهجمة الاولى.

ثم تأتي الهجمة الثانية المحاجة المنطقية.. فالكافرون يعلنون كفرهم بهذه الرسالات وشكهم في صدق ماجاءت به الرسل فيرد عليهم الرسل مبكتين مؤنبين ﴿أفي الله شك فاطر السموات والارض﴾؟! فيثير المشركون قضية بشرية الرسل ويرد عليهم الرسل بأن بشريتهم إنما كانت سببا من اسباب الفخر والاعتزاز، ويجب ان تؤدي الى شكر الله عز وجل لانها منة ونعمة، ويقترح المشركون على الرسل ان يأتوا ببرهان واضح على صدقهم، فيرد عليهم الرسل بأن البرهان انما يكون بإرادة الله وليس من مقترحاتكم انتم ولا من مقترحاتنا نحن.. ويضيق صدر المشركين ويكشرون عن انيابهم هنا تأتي الهجمة الثالثة والاخيرة، التي لاتنجلي إلا عن مصرع احد العسكرين تهديد ووعيد بالطرد. او العودة الى دين الاباء والاجداد ليكون جزاؤهم الهلاك والدمار وليرث عباد الله الارض من بعدهم ويدخل الكافرون النار!!

قصة الرسل مع اقوامهم قصة واحدة.. قصة التاريخ

وهكذا تنتهي الهجمة الاخيرة في معركة الحق مع الباطل بانتصار رسل الله الذين يحملون رسالاته.. واندحار اعداء الله ليجدوا نار جهنم في انتظارهم ليسقوا فيها من ماء صديد.

ثانيا: الجمع بين البعد الفني الجمالي، الذي يشبع لدى القارىء متعته الفنية الأدبية والبعد الديني الذي يؤدي بالقصة القرآنية الى بلوغ الهدف الذي جاءت من اجله ولكي تتضح للقارىء آفاق هذه الرؤية نقول: من عناصر القصة في الآداب العامة وحدة الزمان.. ووحدة المكان.. وهما يعدان وعاء للاحداث ويحكمان الرؤية النقدية والتحليلية للعمل القصصي.. ووحدة الأحداث ونعني بها تشابكها، وتتابعها في اطار من حركة الحياة العامة - والقصة تصور شطرا منها او يفترض فيها انها كذلك - ووحدة الشخوص ونعني بها هذا التلاحم الذي ينشأ بينهم، ويؤدي الى الصراع حينما تتصادم الاهداف او تتعاون. وكذلك الفكرة التي تكمن وراء العمل الفني القصصي، وتعد الهدف الاعلى الذي يرمي الى تحقيقه الكاتب.. فأين تقع هذه العناصر في القصة التي معنا؟ ومانصيبها من الواقع التاريخي؟

والقصة في القرآن الكريم كما قلنا تتمتع بهذين البعدين الكبيرين وتدور في فلكهما في روعة تامة واعجاز منقطع النظير: البعد الديني الوعظي، المتمثل في خدمة الدعوة الى الله تعالى.. والبعد الفني الذي يجعل الجمال الفني اداة مقصودة للتأثير الوجداني فيخاطب حاسة الوجدان الدينية، بلغة الجمال الفنية، كما قال الشهيد سيد قطب في كتابه« التصوير الفني في القرآن».

والمتأمل في القصة التي معنا يرى فيها هذين البعدين الكبيرين باديين لكل قارىء ففيها اثبات الوحي والرسالة، وبيان ان الدين عند الله واحد، من لدن نوح الى محمد عليهما السلام. وانه موحد الاساس وان وسائل الانبياء في الدعوة الى الله واحدة وان الله ينصر انبياءه، ويخذل اعداءه.. الخ(٢) ولن نتوقف طويلا عند هذه الاغراض فهي واضحة جلية.

أما البعد الثاني الجمال الفني، فيتمثل في عناصر القصة المشار اليها آنفا، ولكنها هنا في حاجة لان تفهم في اطار الاهداف الدينية وليس بمعزل عنها لان قارىء الآيات لابدله من ان يعلو فوق مفهوم الزمان والمكان المحدودين، ويحلق برؤيته فوق آفاق التاريخ البشري من بدايته وحتى آخر الرسالات، وكذلك لايسلط اضواء الرؤية على مكان دون آخر، وانما يرى الارض كلها مسرحا للاحداث، هذا هو ما يجب ان تفهم على ضوئه وحدة الزمان ووحدة المكان في مثل هذه القصة الفريدة. واما وحدة الحدث فتبدو من خلال هذا التشابه الكبير الذي يصل الى حد التطابق في كثير من الاحيان بين قصص الانبياء جميعا منذ نوح عليه السلام ومرورا بعاد وثمود والذين من بعدهم، انها قصة واحدة ذات احداث واحدة وتطوراتها كانت ذات طابع واحد، ونهاياتها كانت ايضا واحدة وان ا ختلفت وسيلة العقاب لدى كل قوم بما يناسب جرمهم. فكل انبياء الله ورسله دعوا الى الله ﴿مالكم من إله غيره﴾..وكل أقوامهم اتهموهم بأنهم ﴿في ضلال مبين﴾ أو ﴿في سفاهة﴾ وكل أنبياء الله ردوا عليهم ﴿ليس بي ضلالة﴾ أو ﴿ليس بي سفاهة﴾.. إلى آخر هذه الحوارات المتشابهة أو المتطابقة بين رسل الله وأقوامهم (٣).. وكذلك تلك النهايات التي آلت اليها قصتهم جميعا، وإن اختلفت الوسيلة حسب جرم كل قبيل ﴿فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من اغرقنا وماكان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفهسم يظلمون﴾(٤). وهكذا.. كانت قصة الرسل مع اقوامهم قصة واحدة.. قصة التاريخ كله قصة «ايام الله» وحينما امر موسى عليه السلام ان يذكر قومه، وهو يدعوهم الى عبادة الله تعالى كان التذكير «بأيام الله» فأيام الله هي التي تحكي وليس فترة من التاريخ او قصة نبي واحد، وانما قصة النبوات والرسالات وما آل اليه امرها. التاريخ كله باعتباره وحدة واحدة او قصة واحدة اسقط منه فواصل الزمان والمكان فضمت الاقوال الى الاقوال والافعال الى الافعال والمعارك الى المعارك، والنهايات الى النهايات، والشخوص من الفريقين كل الى شيعته.. فكانت هذه الصورة الفريدة: ﴿جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا ايديهم في افواههم﴾ هكذا دفعة واحدة: في المجيء.. والرد.. ﴿قالوا إنا كفرنا بما ارسلتم به﴾ هكذا بضمير الجمع على الجانبين.. ويستمر الحال هكذا حتى آخر لقطة ﴿ولنسكننكم الارض من بعدهم﴾ بصيغة جمع الرسل ايضا وهو ماحدث فعلا مع كل نبي ورسول. فالصورة من الواقع التاريخي، الذي شهدته الحياة بعد ان اسقط منه فاصل الزمان، وفاصل المكان لتقف الحقائق مجردة شاخصة وجها لوجه. هكذا يجب ان تفهم عناصر هذه القصة القرآنية التي لانظير لها في عالم الآداب والفنون.

ثالثا:قضية الكلمة والعبارة: حيث تستمد العبارة دلاتها في العمل الادبي من مفردات الدلالات اللغوية للالفاظ ومن الدلالة المعنوية الناشئة عن اجتماع الالفاظ وترتيبها في نسق معين ثم من الايقاع الموسيقي الناشيء من مجموعة ايقاعات الالفاظ متناغما بعضها مع بعض، ثم من الصور والظلال التي تشعها الالفاظ متناسقة في العبارة.

والعبارة هنا في تصويرها لمعركة الحق والباطل الازليين، تقوم بدورها المعجز في التأثير القوي النافذ في الاعماق، اعماق القارىء- اعني المشاهد- فعندما ينبلج صبح الحق بآياته الباهرات النيرات، ويوشك الباطل ان يخر تحت اقدام الحق.. هنا ترتفع ايدي الكفر في سرعة خاطفة لتسد الطريق امام هذا الاعتراف ﴿فردوا أيديهم في افواههم﴾ والفاء هنا تفيد سرعة الرد في حركة عصبية غير متزنة وعلى مقربة من هذه الفاء تأتي عدة مؤكدات ﴿إنا كفرنا بما ارسلتم به وإنا لفي شك مماتدعوننا اليه مريب﴾ لتنبيء جمعيها ان وراءها صراعا قويا في النفوس التي اعتادت الانكار والمكابرة بالرغم من وضوع الادلة وقوة البراهين ولذا لم يكن بد من التوبيخ، والكشف عما ركبهم من الشطط والعناد والمكابرة مما سيؤدي بهم الى حرمانهم من المغفرة والرحمة وذلك من خلال هذا الاستفهام الاستنكاري المبطن بالدهشة مما آل اليه امرهم ﴿أفي الله شك فاطر السماوات والارض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى اجل مسمى﴾؟! ثم يبدو جانب آخر من جوانب سفههم حيث ينقلون القضية الى مايقرر حقيقة بشرية الرسل ظنا منهم -لغبائهم وجهلهم- انهم يقيمون الدليل القاطع على بطلان ماجاءت به الرسل وبهذا الاسلوب المؤكد الذي يكشف عن عصبيتهم وانفلات زمام عقولهم وفقدانهم كل اتزان ﴿إن انتم إلا بشر مثلنا تريدون ان تصدونا عما كان يعبد آباؤنا﴾.

أما الرسل فإنهم يردون بهذا الاسلوب التقريري الهاديء.. الواثق.. الذي يخرس ألسنة الشرك، ويظهر لهم انهم في هذه القضية انما يحاربون في غير معركة حيث لاخلاف بين الطرفين في بشرية الرسل، وبنفس ادوات التوكيد التي استخدموها: ﴿إن نحن إلا بشر مثلكم﴾ وامام هذه الثقة وهذه الإرادة القوية التي لاتلين ،يضيق صدر الباطل ويلجأ الى هذا المنطق الصارم الذي يلقي في ساحة المعركة بآخر ما في جعبته من سلاح لا قبل للرسل بمواجهته ﴿لنخرجنكم من ارضنا﴾!!غاية في الغرور وفقدان الاتزان ﴿ارضنا﴾ التي هي ملكنا نحن، وليس لكم فيها حق ﴿أو لتعودن في ملتنا﴾!!

وهنا يأتي الرد سريعا قويا مؤكدا بوحي من الله تعالى لرسله بما يثبت قلوبهم ولا يعلم الباطل عنه شيئا ليظل على غوايته وعمايته ﴿فأوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين﴾ اوحى.. وليس هذا فحسب ﴿ولنسكننكم الارض من بعدهم﴾.

وبعد ان تنتهي هذه المعركة الكبرى الفاصلة نرى هؤلاء العتاة الجبارين وهم يتجرعون ﴿الماء الصديد﴾ ونكاد نسمع حشرجته في حلوقهم من خلال تتابع حروف الفعل ﴿يتجرعه﴾ على هذا النحو المعجز في تكوينه وهو يصور بظلاله والوانه بطء تجرعهم له لقذارته ومرارته.

ومن هنا نرى اللفظة القرآنية صورة حية متحركة تؤدي مثل ما تؤديه عبارة بكاملها في غير القرآن، فإذا ضمت اللفظة الى اختها في هذا النسق المحكم كانت الصورة المتحركة التي تنقل القارىء الى صفوف النظارة، بعد ان تتخطى به حدود الزمان وحدود المكان ليرى بعيني رأسه مايدور أمامه من احداث في «أيام الله». ■

الهوامش:

١- سيد قطب: في ظلال القرآن. واقرأ مفاتيح الغيب للفخر الرازي
٢-اقرأ أغراض القصة في القرآن في كتاب التصوير الفني في القرآن. للشهيد سيد قطب
٣-اقرأ سورة الأعراف
٤-سيد قطب: النقد الأدبي: أصوله ومناهجه. ص٤٣ ط الشروق.

ربيع الأول وليس المحرم شهر الهجرة

بقلم د: مصطفى رجب

تعود المسلمون ان يسموا أول المحرم من كل عام (عيد الهجرة) تهلل فيه الصحف والمجلات وتفتح صفحاتها للحديث عن الهجرة النبوية ومافيها من دروس، والحقيقة ان شهر المحرم هو رأس السنة العربية التي سميت فيما بعد بالسنة الهجرية اما حادثة الهجرة ذاتها فلم تكن في المحرم. وانما كان وصول النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة في شهر ربيع الاول لامع حلول المحرم وذلك لاعتبارات عدة منها:-

مخالفة النصارى الذين جعلوا من رأس السنة الميلادية عيدا لهم، وقد جرت سنة التشريع الاسلامي في كثير من مواقفه صلى الله عليه وسلم على مخالفة اليهود والنصارى ولان شهر ربيع الاول هو التوقيت الصحيح لوقوع الهجرة فيه وهو شهر مولد النبي صلى الله عليه وسلم فهو اولى بأن ينتظم المحتفلون معا بالمولد وبالهجرة وبخاصة اذا وضعنا في الاعتبار ان الهجرة ذاتها كانت مولدا جديدا للرسالة بعد ان ضاقت بها ارض المبعث وتطاول المشركون على المسلمين.

ومن اهم المصادر التي اكدت وقوع حادثة الهجرة في ربيع الاول: السيرة النبوية لابن هشام حيث علق المحقق على حادثة قدوم النبي صلى الله عليه وسلم الى قباء بقوله في:(ص٥٨/ج١) كان قدوم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة من ربيع الاول وقال غير ابن اسحق قدمها لثمان خلون من ربيع الاول، وقال ابن الكلبي: «خرج من الغار يوم الاثنين اول يوم من ربيع الاول ودخل المدينة يوم الجمعة لاثنتي عشرة منه» أ٠هـ.

وجاء في مروج الذهب للمسعودي (طبعة دار الفكر ببيروت،جـ٢،ص٢٨٦)، مانصه: «وكان دخوله عليه الصلاة والسلام الى المدينة يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة مضت من ربيع الاول فأقام بها عشر سنين كوامل، وكان نزوله عليه الصلاة والسلام في حال موافاته المدينة بقباء على سعد بن خيثمة ثم قبضه الله يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة مضت من ربيع الاول سنة عشر في الساعة التي دخل فيها المدينة» (أ٠هـ).

وجاء في كتاب التقويم العربي قبل الاسلام وتاريخ ميلاد الرسول وهجرته - صلى الله عليه وسلم-، للمرحوم محمود باشا الفلكي (مطبوعات مجمع البحوث الاسلامية بالقاهرة سنة١٩٦٩م):ان يوم دخول النبي المدينة هو يوم الاثنين الثامن من ربيع الاول الموافق يوم ٢٠ من سبتمبر سنه٦٢٢م.

كذلك من المشكلات التاريخية التي تتصل بهذا مشكلة بدء التاريخ الهجري فقد وردت روايات مختلفة حول هذه المسألة:

- فقد روى الحاكم في الاكليل عن الزهري ان النبي صلى الله عليه وسلم هو اول من امر بالتاريخ بالهجرة عند نزوله قباء.

-وجاء في كتاب تدريب الراوي شرح تقريب النواوي للسيوطي ان النبي صلى الله عليه وسلم أرّخ بالهجرة حين كتب الكتاب لنصارى نجران، وقال لعلي رضي الله عنه ان يكتب: انه كتب لخمس من الهجرة.

والمشهور ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه عرض هذه المسألة- مسألة بدء التاريخ. على جماعة من الصحابة فاقترحوا ان يبدأ التاريخ من وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم (١٢ربيع الاول سنه١١هجرية) ثم عدلوا عن ذلك واقترحوا ان يكون سنة مولده(١٢ربيع الاول الموافق للعشرين من ابريل سنه٥٧١م). ثم اقترح علي بن ابي طالب سنة الهجرة فأخذ بها ولعل هذه الرواية الاخيرة هي الصواب. اذ لوصح ماروا الحاكم من ان النبي صلى الله عليه وسلم أرّخ بالهجرة في بعض كتبه، لماجاز ان يختلف المسلمون بعده في التأريخ بها.

وعلى ذلك فإن من واجبات اعلامنا الاسلامي بصفة خاصة، ان يبذل مزيدا من الجهد حول تدعيم الدراسات التاريخية التي تجلي الحقائق وتكشف الالتباسات وتدفع عن عوام الناس كثيرا من الأوهام. ■

ملف الهجرة

من جوانب العظمة في هجرة رسول الله ﷺ من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة

بقلم: د. عادل محمد أحمد عبد ربه

كلما أقبل علينا عام هجري جديد، وأشرق هلال شهر المحرم ذكّرنا هلاله ببدء العام الهجري الجديد، هذا العام الذي ترتبط به العبادات الاسلامية والاحكام الشرعية، وفيه مواقيت الصوم والحج والعيدين، كما ان هلال شهر المحرّم يذكرنا بذكرى عزيزة ألا وهي ذكرى هجرة الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة المنورة، ومكة المكرمة البلد الحبيب الذي اختصه الله عزّ وجلّ بالبيت الحرام اول بيت وضع للناس في الارض لعبادة الله وحده لا شريك له هذا البيت الذي جعل مثابة للناس وأمنا، ومن دخله كان أمنا كما أخبر ربنا جل وعلا حيث قال﴿ومن دخله كان أمنا...﴾(١)

مكة المكرمة أحب البلاد الى الله عز وجل، وكانت احب البلاد الى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم.

روى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماأطيبك من بلد وأحبك إليّ ولولا ان قومي اخرجوني منك ماسكنت غيرك(٢).

هذا البلد الذي أمتن الله عز وجل على اهله فمنحهم الأمن والرخاء والاستقرار والناس من حولهم في خوف وضيق واضطراب.

قال تعالى:﴿أولم يروا أنا جعلنا حرماً أمنا ويتخطف الناس من حولهم﴾(٣).

وأما المدينة المنورة:-

طيبة وطابة والدار والإيمان اشارة إلى قول الله عز وجل ﴿والذين تبؤوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولايجدون في صدورهم حاجة مما أوتو ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾[٤].

ولقد كانت هجرته صلى الله عليه وسلم نقطة تحول بارزة في تاريخ الدعوة الاسلامية إيذانا ببدء مرحلة جديدة من مراحل الدعوة الاسلامية وذلك بإرساء دعائم دولة الاسلام.

قال الشيخ محمد صادق ابراهيم عرجون رحمه الله تعالى:-

«كانت هجرته صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة تحويلاً لمجرى الاحداث الى مصبها من محيط التاريخ الذي تغيرت مسيرته في الحياة بهذه الهجرة المباركة وقد كانت السطر الاول في تجديد تاريخ الانسانية وتوجيهها إلى حياة جديدة تقوم على توحيد الله عز وجل ونشر راية العدل بين الناس»(٥).

هذا:-

وإن الناظر والمتأمل لهجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة المكرمة الى المدينة المنورة يرى أنها كانت ومازالت وستزال ذات عطاء متجدد بما انطوت عليه من جوانب العظمة التي تعتبر دروساً نافعة ستظل البشرية جمعاء تنقلها وتتناقلها جيلا بعد جيل الى ان يرث الله الارض ومن عليها.

ومن هذه الجوانب:-

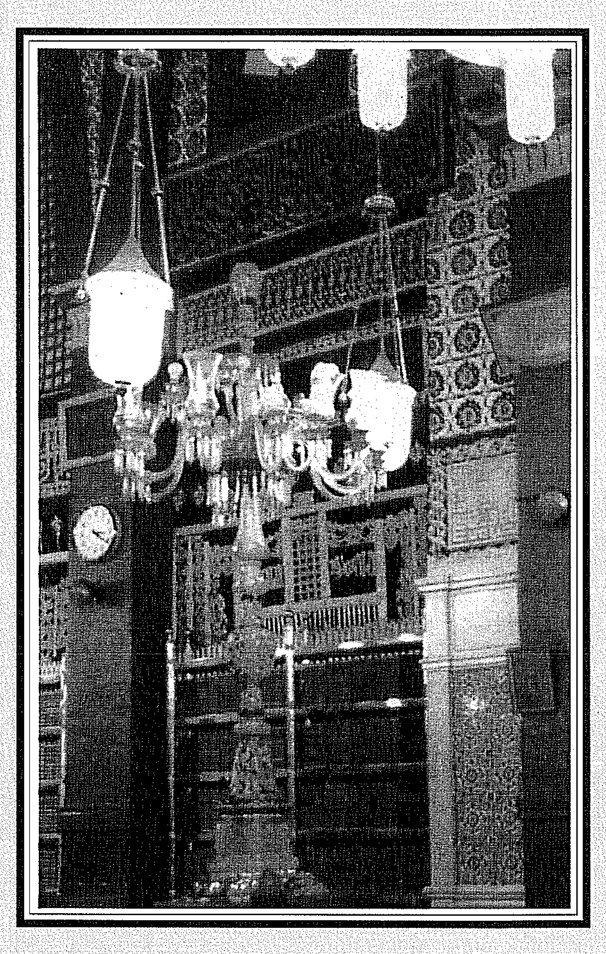
أولاً- عدم اليأس من نصر الله عز وجل

إن الهجرة النبوية من مكة إلى المدينة تعلمنا ان نمضي في طريق الدعوة الى الله عز وجل، وان نكافح ونجاهد في سبيله عز وجل، ولانيأس ولا نتخاذل، بل نثق في نصر الله عز وجل القائل﴿ولينصرن الله من ينصره﴾(٦).

وليكن لنا في صاحب الهجرة الأسوة الحسنة والقدوة الطيبة، منذ ان بعثه الله عز وجل تحداه قومه ووقفوا ضده وعانى صلى الله عليه وسلم منهم الكثير والكثير ولكنه صلى الله عليه وسلم لم ييأس بل كان صابرا ماضياً في طريقه الى الله عز وجل ولم يتوان لحظة واحدة عن القيام بأمر ربه وتبليغ رسالته، ونشر دعوته وهو يلقى من محن البلاء وفوادح الإيذاء، وسفاهة السفهاء وإقامة العقبات في سبيل سير الدعوة الى اهدافها والوصول بها إلى غايتها ومع هذا كله كان صلى الله عليه وسلم

صابراً محتسباً، عفواً صفوحاً كريماً حليماً واثقاً من نصر الله عز وجل له.
ويتجلى لنا ذلك واضحاً جلياً حينما قال صلى الله عليه وسلم لعمه أبي طالب «ياعم والله ولو وضعوا الشمس في يمني والقمر في يساري على ان أترك هذا الأمر ماتركته حتى يظهره الله أو أهلك فيه ماتركته»(٧).
ثانياً:- التخطيط للأمور المهمة والأخذ بالاسباب:-
إن من بين جوانب العظمة في هجرته من مكة المكرمة الى المدينة المنورة ما اظهره صلى الله عليه وسلم فيها من دقة في التخطيط الدقيق، والتقدير السليم لكل الاحتمالات، فلم يهاجر صلى الله عليه وسلم من مكة المكرمة الى المدينة المنورة اعتباطاً او عفواً او ارتجالاً، بل كانت هجرته صلى الله عليه وسلم طبقاً لتخطيط محكم وتدبير ملهم لايشوبه خلل، ولايعتوره اضطراب، فقد اقبل صلى الله عليه وسلم على امر الهجرة بعد ان قويت شوكة الاسلام في المدينة المنورة، وبعد ان بايعه اهلها بيعة العقبة الاولى والثانية على ألايشركوا بالله شيئاً ولايسرقوا ولايزنوا ولا يقتلوا اولادهم ولايأتوا ببهتان يفترونه بين ايديهم وأرجلهم ولايعصوه في معروف، كما بايعوه على السمع والطاعة في النشاط والنفقة في العسر واليسر، وعلى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، وان يمنعوه في المدينة عندما يصل إليهم مما يمنعون منه أنفسهم وأزواجهم وامهاتهم وأبناءهم ومن هنا يمكن القول: بان التخطيط الدقيق لأمر الهجرة بدأ مبكراً ولنتعلم في هذا الجانب ان الأمور المهمة لابد ان يسبقها تخطيط دقيق محكم وأخذ بالاسباب التي شرعها الله عز وجل.
ثالثاً:- الاستعانة بالكتمان لنجاح الخطط المحكمة:
إن الأمور المهمة كالهجرة من مكة إلى المدينة متوقف نجاحها على التخطيط المحكم والاستعانة بالكتمان.
وإن من جوانب العظمة في هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قد اخفى عزمه على الهجرة عن كل الناس حتى عن اقرب الصحابة اليه صلى الله عليه وسلم واصدقهم إيمانا به وهو أبو بكر الصديق رضي الله عنه الذي بلغ من تقدير النبي صلى الله عليه وسلم له وثقته به انه قال فيه لو وزن ايمان ابي بكر الصديق رضى الله عنه ...لم يعلم بعزم النبي صلى الله عليه وسلم على الهجرة إلا في اللحظة الاخيرة، وبعد ان بدأ صلى الله عليه وسلم في الخطوات الفعلية للهجرة تروى لنا كتب السيرة أن أبا بكر رضى الله عنه فوجيء بحضور رسول الله صلى الله عليه وسلم على غير معياد فقد كانت عادته ان تكون زيارته صلى الله عليه وسلم للصديق رضى الله عنه بكرة او عشيا بينما حضوره في هذه المرة كان في الظهيرة حتى انه رضي الله عنه ماكاد يرى صلى الله عليه وسلم حتى قال ما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الساعة إلا لأمر حدث(٩).
وفي هذا أروع درس للقادة والأمراء في كل زمان ومكان وإلى ان يرث الله الارض ومن عليها وهو كيفية الاستعانة بالكتمان على مقاومة الاعداء، ونجاح الخطط المحكمة لا ينضج إلا إذا لم تتسرب أنباؤها إلى الاعداء فيأخذون حذرهم وحيطتهم ويعدون العدة ويحكمون التدبير المضاد للخطط المحكمة الدقيقة.
رابعاً:التضحية بالنفس والمال في سبيل الله عز وجل:-
إن من جوانب العظمة في هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم التضحية بالنفس والمال في سبيل الله عز وجل ويتضح ذلك في سلوك بعض اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ونصرتهم له في كل المواقف وتضحيتهم بأنفسهم وأموالهم في سبيل الله عزّ وجلّ ومن هؤلاء
١- أبو بكر الصديق رضي الله عنه الذي ضرب أروع الامثلة في التضحية بالنفس والمال فقد كان يضحي رضي الله عنه بنفسه في سبيل الله عز وجل إذ كان في سيره مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي مرة من أمامه وأخرى من خلفه وحينما سئل عن السر في ذلك قال يارسول الله اخاف الطلب فأكون من أمامك، وأخاف الرصد فأكون من خلفك ثم قال يارسول الله إنني إن مت فإنما أنا فرد واحد وأما إن مت أنت يارسول الله فإنما في موتك موت أمة.
وأما تضحيته بالمال
فلقد سخر كل ماله، بل ابنه عبد الله فعل ذلك ايضا وكذلك ابنته ومولاه، وراعي اغنامه في سبيل الله وخدمة صاحب الهجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم.
٢-علي بن أبي طالب رضي الله عنه هذا الشاب الفدائي يقبل النوم مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الهجرة ويتسجى ببردته، وينام على سريره بعد ان طمأنه النبي صلى الله عليه وسلم ان المشركين لن يخلصوا اليه وهو يعلم ان أربعين شاباً من المشركين مسلحين بالسيوف يحاصرون بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي سينام فيه رضي الله عنه.
مالذي دفعه إلى ذلك إلاحبه الصادق لرسول الله صلى الله عليه وسلم «القائل لا يؤمن احدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وولده والناس اجمعين»(١٠).
فما أحوج الأمة الإسلامية جمعاء ان تتدبر ذكريات هذه الهجرة لتتعلم منها الدروس النافعة والعظات والعبر حتى تتعرف على بعض جوانب العظمة في حياة نبيها صلى الله عليه وسلم. ■

الهوامش
١- سورة آل عمران من الآية رقم٩٧
٢- سنن الترمزي
٣- سورة العنكبوت الآية رقم ٦٧
٤- سورة الحشر الآية رقم٩
٥- محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم منهج ورسالة محمد صادق ابراهيم عرجون.
٦-سورة الحج الآية رقم٤٠
٧-السيرة النبوية لابن هشام
٨- كشف الخفا ومزيل الالباس للعلجوني
٩-البداية والنهاية لابن كثير
١٠-الحديث متفق عليه.



ان الهجرة النبوية ستبقى معانيها متجددة وسراجا منيرا، وحدثا من الاحداث التي ستبقى معالمها البارزة في حياة الأمة الاسلامية، مؤكدة نصر الله تعالى للمؤمنين الصادقين.
ويظل المحللون للسيرة النبوية في كل العصور يستخلصون منها اسس النهضة الاجتماعية والاخلاقية وحسن التخطيط للمستقبل المزدهر واتباع القدوة الحسنة والمثل في حكمة الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته الأجلاء والمسلمين الأوائل في نشر حضارة الاسلام.
هذه المعاني الكبرى نستشعرها كلما حان موعد الهجرة النبوية ونحن نحتفل بها، اننا في هذه المناسبة في حاجة الى التركيز على بعض المعالم لتكون لنا سراجا منيرا نهتدي به كمسلمين في نهضة مجتمعاتنا وتقدمها، ومن اهمها:

ملف الهجرة

من المعاني الايمانية والنفسية للهجرة النبوية

بقلم د.محمد محمد عيسوي الفيومي

صدق العزيمة والصبر على المكاره

لقد تحمل الرسول صلى الله عليه وسلم من المشقات والصعاب في نشر الدعوة الاسلامية عبئا ثقيلا، وكان المسلمون الاوائل يعانون معه معاناة شديدة من أذى المشركين، حيث كانت مقاطعة المشركين للمؤمنين فلايبيعون لهم شيئا من طعام او غيره ولايشترون منهم ولايزوجونهم ولايتزوجون منهم حتى تسوء احوالهم المعيشية.

ولما كانت مكة بمن فيها قد اغلقوا الأبواب امام نشر الدعوة الاسلامية ثم وضعوا العقبات والعراقيل في طريقها مريدين ان يطفئوا نور الله، فقد خرج الرسول الكريم باحثا عن مكان جديد فذهب الى الطائف ليقابل بعض القبائل هناك ويعرض عليهم الاسلام فالتقى بالاعيان من قبيلة ثقيف، لكنهم سخروا منه وجابهوه بالعناد والمكابرة واغروا به سفهاءهم وصبيانهم حتى لجأ الى بستان لعتبة وشيبة ابني ربيعة ليحتمي به من الايذاء، ولما ضاق به الحال لم يجزع ولم ييأس بل صبر وتحمل مالم يتحمله غيره من المتاعب.

الهجرة معلم بارز للانتصار بالله وعجز البشر

ففي خضم هذه التيارات المعادية للدعوة توجه الرسول صلى الله عليه وسلم الى الله تعالى شاكيا له حاله طالبا نصرته ومعونته ليذلل له الصعاب.

وقال له..ان شئت أطبق عليهم الاخشبين «وهما جبلان» بمكة لم يرض ان يكون مصير قومه مصير غيرهم من الأقوام البائدة

الذين دعا عليهم أنبياؤهم فهلكوا كقوم نوح مثلا وقال الرسول صلى الله عليه وسلم: «لكل نبي دعوة مستجابة وأدخر دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة» هذا هو خلق النبي الرحمة والانسانية كما نص القرآن الكريم.

البحث عن بدائل اخرى

جاء الإذن للنبي صلى الله عليه وسلم ان يبحث عن هذه المواطن في أمكنة اخرى بعد ان جرب مكة وماحولها، وكان أبو بكر رضي الله عنه يريد الهجرة قبل المصطفى صلى الله عليه وسلم لكن النبي صلى الله عليه وسلم قال له كما يحكي رواة الحديث على رسلك فإنني ارجو ان يؤذن لي فانتظر ابو بكر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصحبه ويرافقه ثم جاء الإذن بالخروج فاصطحب ابا بكر.

نصر الله وقوة الايمان

ان الرسول الكريم وصحابته الأجلاء لجأوا الى ربهم ففتح امامهم باب النصر الإلهي على مصراعيه.
فكيف خرج الرسول صلى الله عليه وسلم من بيته يوم الهجرة وبابه مغلق وحوله المتجمعون من كفار مكة من كل قبيلة شاب ليضربوه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه بين القبائل.
لم يخرج من السقف ولم يعبر من فوق السور او الجدار وانما خرج من الباب بإذن الله تعالى. خرج من بين اظهر المتجمعين حول البيت دون ان يصاب بسوء او أذى وحثا التراب في وجوههم وعلى رءوسهم وخرج وهم لايحسون به وقرأ صدر سورة «يس» الى قوله تعالى: ﴿فاغشيناهم فهم لايبصرون﴾
وكذلك تأييد الله تعالى للمتقين يجعل لهم من كل ضيق فرجا ومن كل هم مخرجا كما قال سبحانه ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجا﴾ وكما قال عز وجل: ﴿واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾[الانفال/ ٣٠].
دخل صلى الله عليه وسلم الغار مع رفيقه الصديق وكان الكفار يغدون ويروحون فوق الغار وحوله بحثا عنهما، الا ان عناية الله اخفتهما عن عيون الاعداء ونجيا وتابعا مسيرة الهجرة وفي صحيح البخاري قال ابو بكر كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في الغار فرفعت رأسي فاذا أنا بأقدام القوم فقلت يانبي الله لو ان بعضهم طأطأ بصره رآنا، قال ياابا بكر ماظنك باثنين الله ثالثهما.
انتصر محمد صلى الله عليه وسلم، نصره ربه واعطاه من العزة مالا يحقق بقوة السلاح والعتاد والجيوش، كان محمد صلى الله عليه وسلم والصديق وحدهما لكن العناية الإلهية خصته بقوة اشد واقوى من القوة المادية مهما تكاثر عددها اوطبيعتها.
ان قوة الايمان كانت حصنا حصينا اعمت عيون المشركين فهي اقوى من الحصون التي تضعها الجيوش المقاتلة لان قوة الايمان مستمدة من قوة الله.

التعاون والقضاء على شح الأنفس

هذا الفريق الذي ناصر الرسول الكريم باسلامه ومد يد العون للمسلمين ولرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد التقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بفريقين من الانصار في مواسم الحج السابقة على الهجرة في بيعتي العقبة الاولى والثانية، وقد اسلم المبايعون وعملوا على نشر الاسلام في المدينة بين اقوامهم، ولما حدثت الهجرة كان الانصار خير عون للمهاجرين وامتدحهم المولى سبحانه وتعالى بقوله:
﴿والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولايجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾ [الحشر-٩].
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه البخاري في صحيحه عن عبد الله بن زيد بن عاصم «لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار ولو سلك الناس واديا او شعبا وسلك الأنصار شعبا لسلكت وادى الأنصار وشعبها..الأنصار شعار والناس دثار»
كما امتدح الله تعالى المهاجرين الى المدينة المنورة ايضا حين قال: ﴿والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم﴾[الانفال-٧٤].
فقد نبت الإسلام في اكثر بقاع الارض رفضا له فتعرض منذ البداية لمحن عديدة متواصلة، فاصطدم بمكة بقلوب اشد من الحجارة قسوة، وبنفس قاتمة كظلمة الليل، وبفطرة مشوهة بموروثات البيئة الكافرة قد ران عليها الانحراف، وغلب عليها الالتواء، وبالرغم من ذلك شقت الدعوة طريقها وحققت نجاحا كبيرا، لكن المواجهة بين القلة المؤمنة والكثرة الباغية تصاعدت، وتجمعت النذر تنبىء بقرب وقوع مواجهة فاصلة، لكن البيئة هناك والظروف آنذاك لم تكن في صالح الدعوة، فلم يعد من الهجرة بد بعد ان اتهم الرسول صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة بأنه كاذب وبأنه ساحر وبأن مايتلوه انما هو اساطير الأولين، وأثناء ذلك كله لقي صلوات الله وسلامه عليه والمسلمون معه مقاومة عنيفة وعنتا دائما بالغاً، وجحودا وانكارا الامر الذي وجد الرسول الكريم معه ان الهجرة هي الملاذ، وبالجلال الايمان وثباته وقوته. ان التاريخ هنا يحدثنا عن هجرة فريدة خالصة مخلصة لله ولرسوله. هجرة الى مكان مجهول، هجرة لايسأل المهاجر عما يخبئه له مهجره من جراحات الأيام وركامات الاحداث... انها هجرة بالايمان ومن اجل الايمان، فلما اشتد البلاء على المسلمين من المشركين وضاقوا بالأمر ذرعا، شكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واستأذنوه في الهجرة فمكث أياما لايأذن ثم خرج صلى الله عليه وسلم اليهم مسرورا فقال لهم: «وقد اخبرت بدار هجرتكم، وهي يثرب فأذن حينئذ وقال من اراد ان يخرج فليخرج اليها، وأخذ المسلمون يهاجرون سرا، بادية عليهم آثار تربية الرسول صلى الله عليه وسلم من الثقة بالله والصبر وتحمل المشاق في سبيل دينهم وتوطين النفس على ان يكونوا في جميع احوالهم من جنود الله مهاجرين اليه للعمل على إعلاء كلمته ونشر دينه ولوكره الكافرون.
وماكانت الهجرة قط في نظر الرسول صلى الله عليه وسلم ولا في نظر اصحابه ركونا الى الدعة والهدوء او ميلا الى الراحة والسكون، وانما كانت محاولة مصممة على قيادة

المعركة في سبيل الله. وأخذ المسلمون يهاجرون الى الله ورسوله، يهاجرون سرا او فرادى حتى لم يبق بمكة منهم إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعلي رضي الله عنهما ومن كان مستضعفا محبوسا عند قريش.

وعندئذ آن لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان يهاجر وكان ينتظر اذن الله تعالى له في ذلك.. هاهو ذا رسول الله صلى الله عليه وسلم على مشارف مكة، ينظر الى البيت فيقول:«والله انك لأحب أرض الله الي وانك لأحب ارض الله الى الله ولولا ان أهلك أخرجوني ما خرجت منك»

لقد دبروا قتل الرسول صلى الله عليه وسلم وماكانوا يبالون قط بقتل رجل يقول ربي الله وكانوا قد احكموا التدبير لقتله قبل ان يخرج ووضع مشروع المؤامرة ابو جهل على الشكل التالي:

أرى أن نأخذ من كل قبيلة من قريش فتى شابا جلداً ثم نعطيه سيفا صارما فيضربوه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه في القبائل، فلا يستطيع بنو عبد مناف الوقوف في وجه القبائل جميعها فيقبلون الدية فنعطيهم اياها.

﴿ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين»[آل عمران-٥٤] ﴿وكان حقا علينا نصر المؤمنين﴾[الروم-٤٧].

دخل رسول الله صلوات الله وسلامه عليه هو وابو بكر الغار مختفين، وكان سيدنا ابو بكر حزينا، خوفا على الرسول صلى الله عليه وسلم فجاء التثبيت من الرسول يملؤه ثقة وتفاؤلا بما اشار اليه القرآن الكريم ﴿لاتحزن ان الله معنا﴾[التوبة-٤٠] وذلك لما سمع سيدنا ابو بكر صوت نعال المشركين امام الغار واصو اتهم الصاخبة التي تعلن عن سخطهم وغيظهم المكبوت فقال:

لو نظر أحدهم الى موضع قدميه لأبصرنا، ويبتسم رسول الله ويقول:

«ماظنك باثنين الله ثالثهما» ولما انتهى الطلب عاد المشركون من حيث اتوا، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم هو ورفيقه، واستأنفا رحلتهما، وبينما هما في الطريق لحق بهما سراقة بن مالك مدججا بالسلاح على فرس تسابق الريح، ليأسرهما حتى يفوز بالجائزة التي وعد بها المشركون لمن يأتي بالرسول صلى الله عليه وسلم قتيلا او أسيرا.

وعندما دنا منهما دعا عليه الرسول فغاصت قوائم فرسه في الرمال فقال: يامحمد ادع الله ان يطلق فرسي وأرجع عنك وأرد من ورائي ففعل، فأطلق ورجع فوجد الناس يلتمسون رسول الله. فقال ارجعوا فقد استبرأت لكم ماهاهنا وقد عرفتم بصري بالأثر فرجعوا عنه وسار الركب تحفه رعاية الله وعنايته حتى وصل المدينة حيث استقبله اهلها بالتهليل والترحيب قائلين:

طلع البدر علينا
من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا
مادعا لله داع
ايها المبعوث فينا
جئت بالأمر المطاع

استقبال طيب

وكان لهذا الاستقبال اثر طيب على نفس الرسول صلى الله عليه وسلم وبدأ أعماله في المدينة ببناء المسجد الذي اسس على التقوى من أول يوم، كما آخى بين المهاجرين والانصار لتذهب عنهم وحشة الغربة ويؤنسهم من مفارقة الاهل والعشيرة ويشد ازر بعضهم ببعض.

واذا مانظرنا الى الهجرة لوجدنا انها تمخضت عن معان نفسية وروحية، فهي حقيقة تاريخية ورمز جميل يبرز الإرادة القوية على انجاح الدعوة والتضامن في نشر رسالة الحق والجهاد، وتعبر خير تعبير عما يجب ان يكون عليه المسلم الحق في كل فترات حياته.

ولا شك انه قد تخلفت عن حادث الهجرة آثار نفسية جسيمة من اظهرها قوة الإرادة- والتصميم على انجاح الدعوة في ذلك لان الهجرة كانت فرارا الى الله ، والفرار الى الله انتصار حتي ولو انتهى بالموت.

﴿والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا او ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا وان الله لهو خير الرازقين﴾[الحج-٥٨].

وبذلك فنحن مأمورون بالفرار الى الله لأنه من صفات المؤمنين الصادقين وها هو سيدنا ابراهيم عليه السلام يقول: ﴿إني مهاجر إلى ربي إنه هو العزيز الحكيم﴾[العنكبوت/٢٦].

الهجرة عن المعاصي

ولكن ماأحوجنا الى هجرة تختلف عن الهجرة المصطلح عليها هجرة الوطن، إنها هجرة المعاصي والتزام الطاعات، ان المؤمنين يفرون الى الله ويهاجرون اليه يوميا فهو هدفهم وغايتهم في جميع اعمالهم، ومن كان كذلك فإن الله ينزل عليه السكينة وتطمئن نفسه ويسعد بالرضا حيث يؤيده الله بجنود لاتراها الأعين وأول مرحلة في سبيل الهجرة الى الله سبحانه انما هي النية الخالصة لوجهه الكريم فإذا ماتوجهت النية بالاعمال الى الله تعالى كانت الأعمال هجرة اليه، فالعبادات الاسلامية على تعددها واختلافها انما هي تنسيق وتنظيم لأنواع وألوان من الهجرة الى الله تسمو بالمؤمن صعداً الى الصلة بالله والى النعيم في رضوانه والى السعادة في رحابه، فالصلاة فرار من البيئة والجو المادي الى الوقوف بين يدي الله ومناجاته لحظة من الزمن، فهي هجرة إلى الله.

والزكاة انفصال عن جزء معلوم مما آتاك الله وصرفه حيث امرك، في مصارفها فهي ذهاب اليه، والصوم ابتعاد عن المادة فترة من الزمن تزكية للنفس وقربى إلى الله فهو ذهاب اليه .

اما مناسك الحج فإنها صورة من التجرد لله بلغت الذورة والسنام وتبلورت في النداء الروحي الكريم لبيك اللهم لبيك ،بل منذ ان يعقد المؤمن النية فيترك الاهل والا حباب ويهاجر الى الله ليرى مهبط الوحي وارض الرسالات ويتذكر الاحداث الجسام التي غيرت مجرى التاريخ.

اما الهجرة الشاملة لكل شؤون المرء فإنما تتمثل في قوله تعالى: ﴿قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين. لاشريك له وبذلك امرت وأنا أول المسلمين﴾[الانعام-١٦٢و١٦٣].

ويقول الرسول الكريم«لاهجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم فانفروا» جهاد في كل ميادين الجهاد، ونية خالصة وطاهرة متمحضة لله ورسوله، تلك لمحات عما تمخضت عنه الهجرة النبوية المطهرة والتي ينبغي ان يلتزم بها المسلم في كل شؤون حياته حتى ينعكس أثرها الطيب على سلوكياته في المجتمع فتسود روح الألفة والمحبة بين المجتمع. ■

ملف
الهجرة

يا نازل الغار والأعداء تنتظر

للشاعر: محمد مصطفى البسيوني

يــا نــازل الغــار والأعــداء تنتظــرُ
لا تخش كيــــــدا فــإن الحق منتصرُ
ولن تقــــوم لحزب الشرك قــائمــة
مهما تجمـع أهـل الشرّ وائتمـــــروا
خــرجت تتلــو وبــاب الــدار مـزدحم
في حثيــة منك غــاب السمع والبصرُ(١)
فأصبحــوا وتــراب الخزي فـــوقهم
نجـــا الأمين فما أجــداهم السهـــرُ
للــــه ســـار وعين اللـــه تكلــؤه
إلى المدينـــة فيهـــا تلتقي الـــزمـــرُ

***

إن اجتمعنـــا نحيي ذكـــر هجرتـــه
فقـــد دعانـــا إلى تـــذكارهـــا «عمـرُ»
ذكـرى ارتضاهـا فــلا ذكـرى تضارعهـا
تبلى الحوادث لكن ذكـــرهـــا عطـــرُ
أضحت بـــدايـــة تــاريـخ يجددهـــا
مـــر السنين ومنهـــا تـــؤخـــذ العبرُ
مع الهلال ببـــدء العــام طلعتهـــا
يـــا غـرة النصر حيـــا ذكـرك القمــرُ
فـــابـزغ بها يـــا هـلال العــام مزدهـرا
كـــلاكما النـــور في الأجـــواء ينتشرُ
واقصص على الجيل أخبـــار الألى هجروا
ديـــارهـم وعلى التغـريـب قـــد صبروا
في «يثـــرب» استقبل الأنصـار إخـوتهم
في اللـــه، للـــه مـــا ملّــوا ولا ضجـــروا
وأسســـوا دولـــة مـــا مثلهـــا دول
في شأنها تنـــزل الآيـــات والســـورُ
عـــزت بـــطه وعـــز الحق منتصرا
ودولـــة الحق مكفـــولٌ لها الظفـــرُ

***

في هجـــرة المصطفى مغـــزى لمدّكـــر
لا تجهلـــوا مجدكم يـــا قـــوم وادّكـــروا
لـــو كـان للمال أو للجـــاه قـــد خـــرجـــوا
أو الـــريـــاســـة أو للفخـــر مـــا انتصروا
اللـــه يعلم أن القـــوم تـــدفعهم
عقيـــدة ولها الأرواح قـــد نـــذروا
فبـــالعقيـــدة قـــام القـــوم وائتلفـــوا
وبـــالعقيـــدة يُـرمى القـــوس والـــوتـــرُ
وبـــالعقيـــدة ذل الشرك وارتفعت
منـــارة بسنـــا التـــوحيـــد تفتخـــرُ
وبـــالعقيـــدة جـــاء الفتح وانـــدحـــرت
جيـــوش كسرى فـــلا ملك ولا أثـــر
وبـــالعقيـــدة قـــد ذلت قيـــاصرة
أيـن الملـــوك وأيـن التـــاج والسُّررُ؟
وبـــالعقيـــدة ســـاد العلم وازدهـــرت
ريـــاضُـــهُ فلـــه الأزهـــار والثمـــرُ

***

يـــا رب هيـــئ لنـــا من أمـرنـــا رشـــداً
غـــام السبيل وضل البـــدو والحضرُ

(١) الحثية: ما غُرف باليد من التراب، إشارة إلى التراب الذي يُروى أن النبي صلى الله عليه وسلم ألقاه على رؤوس المشركين ليلة الهجرة.

القتل الخطأ بين الشريعة والقانون

بقلم: محمد إمام

نشير من البداية إلى أن الهدف من المقارنة هو بيان سمو الشريعة الإسلامية، فهي شريعة الحياة الماضية والحاضرة والمستقبلة، لأنها من صنع الله تعالى وسنة نبيه الكريم صلوات الله وسلامه عليه...

فإن جريمة القتل الخطأ تتشابه مع جريمة القتل العمد من حيث أن محل كل منهما الإنسان، ويؤدي الاعتداء عليه إلى موته.... إلا أن هناك فارقاً بينهما، وهو أن في القتل العمد تنصرف إرادة ونية القاتل إلى موت أو إزهاق روح المجني عليه، أمّا في القتل الخطأ فلا يوجد قصد الموت لدى الجاني، وإنما يكون خطؤه هو السبب في موت المجني عليه، وعلى ذلك سُميت الجريمة جريمة القتل الخطأ. أي أن الجاني لم يكن يقصد موت المجني عليه منذ البداية، ولكن ارتكابه الخطأ هو الذي أدى إلى تلك النتيجة.

ونحن بصدد المقارنة بين القوانين الوضعية والشريعة الإسلامية، سنختار قانون العقوبات المصري أساساً للمقارنة.. حيث نصت المادة ٢٣٨ على الآتي: (من تسبب خطأ في موت شخص آخر بأن كان ذلك ناشئاً عن إهماله ورعونته أو عدم احترازه أو عدم مراعاته للقوانين والقرارات واللوائح والأنظمة، يعاقب بالحبس مدة لا تقل عن ستة أشهر وبغرامة لا تجاوز مائتي جنيه، أو بإحدى هاتين العقوبتين.

وتكون العقوبة ـ الحبس ـ مدة لا تقل عن سنة ولا تزيد على خمس سنوات وغرامة لا تقل عن مائة جنيه ولا تجاوز خمسمائة جنيه أو إحدى هاتين العقوبتين إذا وقعت الجريمة نتيجة إخلال الجاني إخلالاً جسيما بما تفرضه عليه أصول وظيفته أو مهنته أو حرفته، أو كان متعاطياً مسكراً أو مخدراً عند ارتكابه الخطأ الذي نجم عنه الحادث، أو نكل وقت الحادث عن مساعدة من وقعت عليه الجريمة أو عن طلب المساعدة له مع تمكنه من ذلك.

وتكون العقوبة ـ الحبس ـ مدة لا تقل عن سنة ولا تزيد على سبع سنوات، إذا نشأ عن الفعل وفاة أكثر من ثلاثة أشخاص، فإذا توافر ظرف آخر من الظروف الواردة في الفقرة السابقة، كانت العقوبة ـ الحبس ـ مدة لا تقل عن سنة ولا تزيد على عشر سنوات.

أركان جريمة القتل

يتضح لنا من مراجعة نص المادة ٢٣٨ سالفة الذكر، وما ورد من عقوبات(١) إذا توافرت ظروف معينة منها ما يدل على جسامة الخطأ الذي تردَّى فيه الجاني ومنها ما يدل على جسامة الضرر الذي أسفر عنه خطؤه، يتضح لنا أن أركان جريمة القتل الخطأ هي:

١ ـ قتل المجني عليه.

٢ ـ صدور خطأ غير عمدي من الجاني.

٣ ـ قيام رابطة السببية بين الخطأ والقتل

الركن الأول: قتل المجني عليه: فإن لم يحدث موت فلا مساءلة عن القتل، ولا يشترط أن يحدث القتل بآلة معينة، كما لا يشترط جسامة الإصابة، ولا يشترط أيضاً أن تحدث الإصابة أثراً مادياً في جسم المجني عليه، المهم هو وفاة المجني عليه بأية طريقة.

الركن الثاني: الخطأ غير العمدي من الجاني: يتحدد الخطأ غير العمدي وفقاً لمعيار موضوعي واقعي، وعلى هذا الأساس فإنه يتكون من عنصرين:

الأول: العنصر الموضوعي، وهو عدم مطابقة سلوك الجاني لمستوى الحيطة والحذر الذي يسلكه الشخص المعتاد، كقيادة السيارة ليلاً في مكان مليء بالضباب الكثيف أو زيادة السرعة في المدينة أو عند منحنيات الطرق على نحو يُعرّض المارة للخطر، وتناول الخمر إلى درجة السكر قبل قيادة السيارة، ووفقاً لهذا العنصر يتحدد الركن المادي في جريمة الخطأ غير العمدي.

الثاني: العنصر الواقعي أو الشخصي، ويتمثل في الظروف الشخصية التي تحيط بالجاني، سواء ما تعلقت بحالته الصحية وسنه ودرجة تعليمه وذكائه وخبرته في المهنة التي يقوم بها أو ظروف الزمان والمكان التي تحيط به، ووفقاً لهذا العنصر يتحدد الركن المعنوي في جريمة الخطأ غير العمدي.(٢)

أنواع الخطأ غير العمدي:

قسّم الفقه الخطأ غير العمدي إلى نوعين: الخطأ مع التوقع والخطأ بغير توقع، ويتحقق الخطأ مع التوقع إذا توقع الجاني النتائج غير المشروعة لسلوكه وحسب أنه في الإمكان تجنبها، دون أن يسلك سلوكاً يؤدي إلى تفادي وقوعها، ويحظر في هذه الحالة أن يتوافر لدى الجاني نوع من الإهمال، فمثلاً قد يتوقع الجراح الذي يجري العملية احتمال وفاة المريض، إلا أنه لا يمكن مساءلته عن الوفاة إذا استمر في مباشرته للعملية، متى كان هذا السلوك أمراً معتاداً.

أما الخطأ بغير توقع، فيتحقق إذا لم يتوقع الشخص أن سلوكه قد يؤدي إلى تحقيق هذه النتائج غير المشروعة، مع أنه كان يجب عليه وفي إمكانه أن يتوقعها.

صور الخطأ غير العمدي:

عبّر المشرع عن الخطأ غير العمدي بأوصاف مختلفة فسمّاه أحياناً بالإهمال «المواد ١٣٩ و ١٤٧ و٣٦٠»، وسماه أحياناً بالإهمال وعدم الاحتراس «المادة ١٦٣» أو بالإهمال وعدم الاحتياط (المادة ٨٣ مكررة).

وكما ذكرنا... فإن المادة (٢٣٨) من قانون العقوبات قد بينت «على سبيل المثال» عدة أوصاف للخطأ غير العمدي، وهي: الرعونة، وعدم الاحتياط والتحرز، والإهمال والتفريط

وعدم الانتباه والتوقي، وعدم مراعاة واتباع اللوائح.

وسوف نوجز فيما يلي معنى هذه الصور:

١ ـ الرعونة: يُراد بها أن يقوم الجاني بنشاط محفوف بالأخطار دون أن يتوقع أو يتنبه إلى النتائج الضارة التي سوف تنجم عنه، كمن يقطع فرع شجرة فيصيب أحد المارة، أو من يضع طفلاً على حافة سور فيسقط على الأرض، أو يقود سيارة وهو غير مُلم بالقيادة إلماماً كافياً(٣)، أو يغير اتجاهه فجأة دون أن ينبه المارة فيصيب شخصاً(٤)، وتندرج تحت هذه الحالة الأخطار المهنية التي تتم عن جهل الجاني بالمبادىء الأولية لمباشرة مهنته(٥).

فتتوافر الرعونة في مسلك الطبيب الذي يجري عملية جراحية خلافاً للأصول الثابتة في فن الطب، كإجراء عملية جراحية على قدر من الخطورة في عيادته الخاصة برغم ما تستلزمه هذه الجراحة من استعدادات يتطلبها الفن الطبي، ويخصص لإجرائها إحدى المستشفيات.(٦)

٢ ــ عدم الاحتياط والتحرز: ويتحقق عدم الاحتياط والتحرز إذا كان الجاني قد توقع الأخطار التي قد تترتب على عمله إلا أنه مضى في عمله دون أن يتخذ الوسائل الوقائية بالقدر اللازم لدرء هذه الأخطار، مثال ذلك من يقود سيارته بسرعة لا تتفق مع الزمان والمكان والظروف المحيطة بالحادث.... ومن يضع طفلاً بجوار موقد غاز مشتعل عليه ماء فيسقط عليه الماء وتحدث به حروق تودي بحياته، والحامل التي تنتبذ مكاناً قصياً لتضع فيه حملها مع جهلها بقواعد الولادة مما يؤدي إلى وفاة وليدها(٧)، والمرضع التي تنام بجوار رضيعها فتنقلب عليه أثناء نومها وتقتله(٨)، وقائد السيارة الذي ينحرف بها من جهة إلى أخرى دون احتياط (٩)، والمراكبي الذي يحمل عدداً من الركاب داخل القارب بشكل يفوق تحمل القارب فيغرق(١٠).

٣ ــ الإهمال والتفريط وعدم الانتباه: ويراد بالإهمال والتفريط وعدم الانتباه حالة ما إذا نكل الجاني عن اتخاذ ما يقتضيه واجب الحيطة والتبصر لتفادي حصول النتائج الضارة، وهي وإن تشابهت مع حالة «عدم الاحتياط والتحرز» في هذا المعنى إلا أنها تختلف عنها في أن الأولى تتمثل في عمل إيجابي يمضي فيه الجاني دون مراعاة ما يجب اتخاذه من أساليب الوقاية، بخلاف هذه الحالة فإنها تتمثل في صورة ما إذا اتخذ الجاني موقفاً سلبياً، فلم يقم بما من شأنه الحيلولة دون وقوع الضرر، مثال ذلك من يقيم أرجوحة في الطريق للعب الأطفال ولا يحيطها بسياج ليحمي المارة منها، فتؤدي إلى إصابة أحد المارة ثم وفاته(١١)، ومن يدير آلة بخارية ثم لا يتخذ طرق الوقاية المانعة من أخطارها عن الجمهور المعرض للاقتراب منها، فتؤدي إلى وفاة أحد أفراده(١٢)، والمالك الذي يترك منزله الآيل للسقوط بدون إصلاح، أو تنبيه السكان إلى ما به من خلل يستوجب إخلاءهم فيسقط، ويترتب على ذلك وفاة بعض الناس(١٣)، والخفير المعين من الهيئة العامة للسكك الحديدية على المجاز «المزلقان» إذ يبادر إلى تحذير المارة في الوقت المناسب، وتنبيههم إلى قرب مرور القطار، وتراخى في إغلاق المجاز من ضلفتيه، ولم يستعمل المصباح الأحمر في التحذير، مما أدى إلى وقوع الحادث(١٤)، ومن يترك حفرة دون أن يضع عليها مصباحاً ليلاً أو ينبه المارة مما أدى إلى سقوط أحدهم بها ووفاته.

٤ ــ عدم مراعاة اللوائح: أما عدم مراعاة اللوائح فهو سبب قائم بذاته يتحقق بمخالفة ما تنص عليه القوانين أو اللوائح أو التعليمات أو أوامر الرؤساء مثال ذلك عدم اتباع لائحة السكك الحديدية فيما توجبه من أسبقية المرور للقطارات(١٥)، وعدم اتباع مفتش الصحة منشور وزارة الداخلية رقم ٢٣ لسنة ١٩٢٧ والذي يقضي بإرسال المعقورين إلى مستشفى الكلب(١٦)، والتزام قائد السيارة «الأوتوبيس» طبقاً للمادة ٧٤ لسنة ١٩٥٥ بشأن السيارات في التحقق من تمام ركوب جميع الركاب قبل السير بسيارته(١٧).

وعادة ما ينطوي الخطأ بعدم مراعاة اللوائح على إحدى هذه الصور، مثال ذلك: إهمال خفير المجاز في القيام بما تفرضه عليه تعليمات السكة الحديد، إلا أن ذلك لا يحول دون تقرير أن مراعاة القوانين أو اللوائح وحده يُعد كافياً ـ في القانون المصري ـ لتوافر الخطأ اللازم لقيام جريمة القتل الخطأ، ولا محل للتحدي في هذه الحالة بأن سلوك الجاني كان في حدود واجب الحيطة والحذر الذي يلتزم به الشخص العادي، وذلك باعتبار أن الواجب الذي فرضته القوانين واللوائح يمثل حداً أدنى لواجب الحيطة والحذر الذي يجب أن يلتزمه الشخص المعتاد، إلا أن توافر الخطأ دائماً بمخالفة القوانين واللوائح لا يعني قيام الجريمة غير العمدية، بل لابد من توافر علاقة السببية بين الخطأ والنتيجة.... فمثلاً: إذا قاد شخص سيارة بدون رخصة وصدم آخر فقتله، ثم ثبت أن سبب الوفاة يرجع إلى خطأ المجني عليه وحده، فإن علاقة السببية لا تكون متوافرة ولا يسأل المتهم إلا عن جريمة قيادة السيارة بدون رخصة فقط.

وغني عن البيان أن القانون لا يتطلب أن يقع الخطأ الذي يتسبب عنه الوفاة بجميع صوره التي أوردها، بل يكفي لوقوع الجريمة أن تتوافر صورة واحدة منها.

الركن الثالث: قيام رابطة السببية بين القتل والخطأ:

يشترط قانون العقوبات المصري ضرورة توافر علاقة السببية بين القتل والخطأ.. فإذا لم توجد تلك الرابطة انتفت مسؤولية الجاني عن جريمة القتل الخطأ، ويكتفى لقيام هذه الرابطة أن يكون الضرر مسبباً عن خطأ، ولو كانت ثمة عوامل أخرى من شأنها أن تساعد على حدوثه مادام الضرر لا يمكن تصور حدوثه لولا وقوع الخطأ.(١٨)

انقطاع رابطة السببية:

تنتفى علاقة السببية إذا أمكن تصور حدوث القتل ولو لم يقع الخطأ، وقد حكم بأنه «إذا أهمل المتهم وهو عامل بمصلحة السكة الحديد في قفل «التحويلة» ودخل قطار البضاعة من هذه التحويلة، وصدم الصهريج بعربته الخلفية وتصادف وجود المجني عليه تحت الصهريج فقسم جسمه نصفين ومات لوقته، فإنه لا يكون مسؤولاً عن الوفاة، لأن الاستقرار تحت الصهريج والاختفاء عن الأنظار هو في ذاته من الشذوذ الذي لا يرد بالخاطر، وغير واجب على المتهم أن يتصوره.(١٩)

تطبيقات للخطأ في القانون المصري:

ونحن بصدد جريمة القتل الخطأ، نجد أنه من المناسب عرض بعض النماذج للخطأ، كما وردت في القانون المصري.. فإنه يثار في هذا الصدد:

١ ـ مسؤولية الأطباء.

٢ ـ مسؤولية ساقي السيارات.

٣ ـ المسؤولية عن أخطار الهدم والبناء.

أولا: مسؤولية الأطباء بالنسبة للخطأ:
يلاحظ أن الفقهاء مستقرون على أن الأطباء يسألون عن خطئهم المهني الجسيم، والمادة ٢٣٨ عقوبات تنطبق في حقهم، وعناصر الخطأ العمدي وصوره، وعلى ذلك لابد أن يتوافر في حقهم الآتي:
أ - وجود إصابة تؤدي إلى الوفاة.
ب - وجود خطأ يؤدي إلى الإصابة.
ج - علاقة السببية.
وعلى ذلك يسأل الطبيب إن أخطأ في التشخيص أو في العلاج، أو في الأشعة أو في التوليد، أو في التخدير، إذا ثبت أن الخطأ هو الذي أدى إلى الوفاة.
ثانياً: مسؤولية سائقي السيارات:
استقر القضاء في مصر على المسؤولية بالنسبة للسرعة، وكيفية وقوع الحادث، وموقف المجني عليه، ومقدار الخطأ المنسوب إلى الجاني «السائق» وتوافر رابطة السببية بين الخطأ والضرر، وحالة السيارة، وكل حكم ملزم بإيضاح الخطأ ونسبته والضرر وعلاقة السببية.
ثالثاً: المسؤولية عن أخطار الهدم والبناء:
لوحظ أن أخطاء الهدم والبناء قد كثرت وأدت إلى نتائج وخيمة، والقانون المصري يعاقب على أخطاء المقاول والمهندس والمالك، وأحكام المحاكم كثيرة في هذا الصدد، المهم أن يثبت خطأ من هؤلاء يؤدي إلى الوفاة.

عاقبت المادة (٢٣٨) عقوبات المعدلة

بالقانون رقم ١٢٠ لسنة ١٩٦٢ القتل الخطأ بالحبس مدة لا تقل عن ستة أشهر، وبغرامة لا تجاوز مائتي جنيه أو بإحدى هاتين العقوبتين، ويلاحظ أن التعديل قد وضع حداً أدنى لعقوبة الحبس هو مدة الستة شهور، دون أن يضع للغرامة مثل هذا الحد الأدنى، ونرى أن تقييد مدة الحبس بحد أدنى أمر لا مبرر له، وقد يشجع القاضي الذي يرى الحكم بالحبس لمدة أقل من ستة أشهر أن يقضي بعقوبة الغرامة أو أن يشمل عقوبة الحبس بإيقاف التنفيذ.(٢٠)

الظروف المشددة:

استحدث القانون رقم ١٢٠ لسنة ١٩٦٢، ظروفاً مشددة للعقاب على الجريمة، إما بسبب جسامة الخطأ أو بناء على جسامة الضرر، وقد ثار الخلاف حول الأساس الملائم لتقدير عقوبة الجريمة غير العمدية، فذهب رأي إلى الاستناد إلى معيار جسامة الضرر، وذلك باعتبار أن الضرر يمثل عنصراً جوهرياً لا غنى عنه للعقاب على الجريمة غير العمدية، فالخطأ غير العمدي بدون هذا الضرر لا يكفي وحده للعقاب.
وذهب رأي آخر إلى أن تدرّج العقاب وفقاً لجسامة الضرر لا يكفل تحقيق الزجر الخاص الذي يجب أن تكفله العقوبة، وأن هذا المعنى لا يتحقق إلا إذا احتسب العقاب وفقاً لجسامة خطأ الجاني.
وقد أخذ القانون رقم ١٢٠ لسنة ١٩٦٢ بكل من معياري جسامة الخطأ وجسامة الضرر لتدرّج العقاب، وذلك على الوجه التالي:

أولاً: جسامة الخطأ

نصت الفقرة الثانية من المادة (٢٣٨) عقوبات المعدلة على أن تكون العقوبة - الحبس - مدة لا تقل عن سنة ولا تزيد على خمس سنوات وغرامة لا تقل عن مائة جنيه ولا تجاوز خمسمائة جنيه أو بإحدى هاتين العقوبتين إذا توافرت إحدى الظروف الآتية:
١ - إخلال الجاني إخلالاً جسيماً بما تفرضه عليه وظيفته أو مهنته أو حرفته.
٢ - أن يتعاطى الجاني مسكراً أو مخدراً عند ارتكابه الخطأ الذي نجم عنه الحادث.
٣ - النكول وقت الحادث عن مساعدة من وقعت عليه الجريمة أو عن طلب المساعدة له مع تمكنه من ذلك.

ثانياً: جسامة الضرر:

عاقبت الفقرة الثالثة من المادة (٢٣٨) عقوبات المعدلة بالحبس مدة لا تقل عن سنة ولا تزيد على سبع سنوات إذا نشأ عن الفعل وفاة أكثر من ثلاثة أشخاص، ويعني ذلك أن مجرد تسبب الفعل المشوب بالخطأ غير العمدي في وفاة أكثر من ثلاثة أشخاص كاف وحده للتشديد دون تطلب شروط أخرى.(٢١)

جسامة الخطأ والضرر معاً:

نصت الفقرة الثالثة من المادة (٢٣٨) المذكورة على تشديد العقوبة إذا توافر الظرفان المشددان سالفا الذكر معاً، فإذا كان الخطأ جسيماً لأحد الأسباب الثلاثة سالفة الذكر وترتب عليه وفاة أكثر من ثلاثة أشخاص، كانت العقوبة مدة لا تقل عن سنة ولا تزيد عن عشر سنوات.

القتل الخطأ في الشريعة الإسلامية

ما هو الخطأ في الشريعة الإسلامية؟
الخطأ هو وقوع الشيء على غير إرادة فاعله، فالفاعل لا يريد الفعل الخطأ ولا يقصده، وإنما يقع الفعل منه على غير إرادته وبخلاف ما يقصده، والمخطىء كالعامد كلاهما مسؤول جنائياً إذا وقع منهما فعل محرم يحرمه الشارع، ولكن هناك فرق بين الاثنين من ناحية أساس مسؤولية كل منهما، فمسؤولية العامد سببها قصد عصيان أمر الشارع وتعمد إتيان ما حرمه أو ترك ما أوجبه، أما مسؤولية المخطىء فسببها أنه عصى الشارع لا عن قصد ولكن عن تقصير وعدم تثبت وعدم روية واحتياط.(٢)
والمخطىء يعاقب لقوله تعالى:
(وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأً ومن قتل مؤمناً خطأً فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله).(٢٣).

أركان جريمة القتل الخطأ: (٢٤)

يشترط لتحقيق جريمة القتل الخطأ في الشريعة الإسلامية توافر ثلاثة أركان هي على التوالي:
١ - أن يكون هناك فعل من جانب الجاني يؤدي إلى وفاة المجني عليه.
٢ - أن يرتكب الجاني خطأ ضد المجني عليه.
٣ - توافر رابطة السببية.
الركن: الأول: وجود فعل يؤدي إلى وفاة المجني عليه:
مؤدى هذا الركن أن يأتي الجاني فعلاً يصيب المجني عليه سواء أكان الجاني مريداً هذا الفعل وقاصده أم كان الفعل قد حدث نتيجة لعدم احتياطه وتقصيره وإهماله بشرط ألا يكون قاصده، ولا يشترط في الفعل الذي أتاه الجاني أن يكون من نوع معين، فأي فعل يؤدي إلى الموت يعاقب عليه الجاني ومن أمثلة ذلك:
- إذا اصطدم شخص بآخر فمات.
- إذا حفر بئراً دون أن يتخذ الاحتياطات من تسويرها ووضع علامات إرشادية، وسقط فيها إنسان فمات.
- من ألقى بشيء من نافذة منزله وسقط على أحد المارة فمات.

ـ من شيّد بناء على غير الأسس الفنية السليمة وسقط على أفراد فماتوا.
المهم أن يـؤدي الفعل الخطأ الـذي ارتكبـه الجاني إلى الوفـاة، ويستوي أن تحدث الـوفاة فور الحادث أو بعـد ذلك، ولكن يكون الجاني مسؤولاً عن فعله هـذا بشرط أن يكون المجني عليه معصوماً.

الركن الثاني: أن يرتكب الجاني خطأ:

مـؤدى هذا الـركن أن يـرتكب الجاني خطأ في حق المجني عليـه، فإذا لم يتـوافر الخطأ فـلا يعـاقب الجاني، ويتحقـق الخطأ في الشريعـة الإسـلامية إذا تـرتب الخطأ على فعل أو تـرك نتائج لم يردها الجاني، ويكون ذلك ناتجاً عن عدم احترازه أو لمخالفته أوامر السلطان العامة ونصوص الشريعة.
(٢٥).
ويشترط أن يكـون عـدم التحـرز أو مخالفـة الأوامر قد نتج عنهما ضرر للغير... فـإذا تولّد العذر فقـد بعدت المسـؤولية عن الخطأ، وإذا انعدم الضرر فلا مسؤولية.(٢٦)

والخطأ في الشريعة الإسلامية يندرج تحته: الإهمال، الرعـونة، عدم التبصر، عـدم الحيطة، وعدم الانتباه، ولا تشترط الشريعـة الإسلامية أن يكون الخطأ على درجة معينة من الجسامة فيكفي لكي يُسأل الجاني عن خطئـه أن يكون يسيراً أو حتى تافهاً..

الركن الثالث: علاقة السببية:

مـؤدى هذا الـركن أن يكون خطأ الجاني هـو الذي سبب موت المجني عليه، أي أن يكون هو علته، فإذا انعـدمت تلك الرابطة فلا مسـؤولية على الجاني باعتباره قاتلاً خطأ.
والجاني مسؤول عن خطئه، حتـى لو تداخلت عوامـل أخرى عجلت بالـوفاة.. أو تـوالت تلك الأسباب.
وتتحقق رابطـة السببية في حق الجاني سـواء كان الموت نتيجة مباشرة لفعل الجاني أو لفعل غيره من حيوان أو إنسان مـادام هو المتسبب، ومن أمثلة ذلك:
ـ من يعبث ببنـدقيته فينطلق منها الـرصاص ليصيب المجني عليه.
ــ ومن ركب دابـة فعقرت شخصـاً فمات من العقر.
ـ ومن يكلف آخر بحفر بئر، فيسقط فيها أحد المارة ويموت نتيجة لعـدم اتخاذ الاحتياطات الواجبة من تسوير وإرشادات.

عقوبات القتل الخطأ

هذه العقوبات هي:
١ ـ عقوبات أصلية، وهي الديّة والكفّارة.
٢ ـ عقوبات بدلية، وهي التعزير والصيام.
٣ ـ عقوبات تبعية، وهي الحرمان من الميراث والحرمان من الوصية.

أولاً: العقوبات الأصلية:

أ ــ الديّـة، ومقـدارهـا مائةمن الإبـل تؤخـذ أخماساً، عشرون بنات مخاض، وعشرون بنو مخاض، وعشرون بنـات لبـون، وعشرون حقة، وعشرون جذعة.
ويلاحظ أن الفقهاء الأربعـة متفقون على هذه الأوصاف، واستدلوا على ذلك بحديث رسول اللـه صلـوات اللـه وسلامـه عليـه: «في ديـة الخطأ: عشرون حقـة وعشرون جـذعـة وعشرون بنت مخاض وعشرون بنت لبـون وعشرون بني مخاض ذكر» (٢٧) أخرجه أبو داود وضعفه الدارقطني.
وتلزم العاقلـة بالدية، وهـذا أيضاً متفق عليه بين الفقهـاء، وذلك طبقاً لقضـاء رسول اللـه صلى الله عليه وسلم.
ويقصد بالعـاقلة أسرة الشخص الذي ينتمي إليهم عن طريق لا تتوسط قرابتهم فيه أنثى، والآبـاء والأبنـاء يدخلـون في العصبـات على أظهر الأحوال في الفقه الإسلامي، وهو مذهب الأئمـة الأربعـة خلافـاً لبعض الأقـوال عنـد الحنابلة والشافعية.
فـالعصبـات جميعاً هم الـذين يكـونـون في الميراث عصبات بأنفسهم يدخلـون في العاقلة التي تؤدي الديّات الواجبة.(٢٨)
والـدية مـؤجلة في ثـلاث سنين، وهذا أيضـاً متفق عليـه بين الفقهاء لقضـاء عمر وعلي في ذلك.
وتجدر الإشارة هنا إلى فتاوى سماحة رئيس القضاة بالمملكة العربيـة السعودية بالنسبة للدية: (٢٩)
١ ــ دية قتل الخطـأ يحكم بها على العاقلـة، «الفتوى رقم ٦٩٢ في ١٣٨٠/٧/٢٤هـ).
٢ ـ العـاقلة لا تتحمل الصلح. (الفتـوى رقم ٧٧٧ في ١٣٨٠/٨/١١هـ).
٣ ـ ديّـة الخطأ تجب على العـاقلة على ثـلاثة أقسـاط، قـال بعض العلماء إنها تجب على الجاني عند تعذر حصولها من العاقلة لفقرهم أو عـدمهم «الفتـوى رقـم ١٠٢٥ في ١٣٨٠/١١/٣هـ).
٤ ـ لا تحمل العـاقلة ما دون ثلث الـدية، وإلا كان الجاني مجنوناً، كما لا يقوم بها بيت المال، بل تكون من مـاله الخاص إن قدر على الـوفاء وإلا فنظـرة إلى ميسرة. (الفتـوى رقم ٨٢٩ في ١٣٨١/٨/٣هـ).
هذا وقد أجمع المسلمون على أن الإبل أصل من أصول الدية ولم يحصل إجماع على غير الإبل، كما أن تغليظ الديـة لا يتحقق إلا في الإبل، وقد صار العمل من عهد الخليفة الراشـد عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى يـومنا هذا أن مقدار الدية يزيـد تبعاً لغلاء الإبل، فإذا زادت قيمتها رفع المقدار..(٣٠).

ب ـ الكفارة:

الكفارة هي العقوبة الأصلية الثانية مع عقوبة الدية، والكفارة عبـارة عن عتق رقبة أو صيام شهرين متتابعين، فإذا امتنع تنفيذ الكفارة حل محلها الصوم.

دليل الكفارة:

قوله تعالى: (ومن قتل مؤمناً خطأً فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله إلا أن يصدقوا فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة وإن كـان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله وتحرير رقبة مؤمنة فمن لم يجد فصيـام شهـرين متتابعين تـوبـة من الله) (٣١)

ثانياً: العقوبات البدلية:

أ ـ التعزير.
ب ـ الصيام.
وقـد اتفق العلماء في القتل الخطأ على الصيـام فقط، وذلك اكتفاء بالعقـوبات الأصلية، ولكن بإمكان الشارع فرض عقوبـة تعزيرية بالقدر الذي يراه الحاكم صالحاً لتأديب القاتل وزجر غيره.

ثالثاً: العقوبات التبعية:

هي الحرمان من الميراث والوصية.
أ ـ الحرمان من الميراث:
فإذا قتل الوارث مورثـه فإنه يمنع من الميراث، وذلك لأنـه استعجل شيئاً قبـل أوانه فيعـاقب

بحرمانه. ثم إن الميراث نعمة، ولم يعهد في الشرع أن تنال النعمة بمعصية، والواقع أن ذلك من محاسن الشريعة حتى لا يكون القتل ذريعة لمن قست قلوبهم، فكانت أشد من الحجارة، حتى لا يتعجلوا موت مورثيهم طمعاً فيما في أيديهم من الأموال، وبذلك يسد الباب الذي يشيع الفوضى والفساد بين الناس.(٣٢)

هذا بالإضافة إلى دلائل الشرع القاضية بمنع القاتل من الميراث ومن ذلك ما رواه أحمد في مسنده وابن ماجة أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ليس لقاتل ميراث»، وما روي عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: «من قتل قتيلاً فإنه لا يرثه، وإن لم يكن وارث غيره، وإن كان والده أو ولده، فليس لقاتل ميراث»(٣٣)

وليس مع وضوح ذلك من بيان حول منع القاتل من الميراث، ولذلك فهو أمر متفق عليه بين الفقهاء، والمختلف فيه بينهم إنما هو نوع القتل المانع من الميراث.

فالأحناف يرون أن القتل المانع من الميراث هو العمد أو شبهه، أو الخطأ وما جرى مجراه، فأنواع القتل المانعة عندهم أربعة هي: العمد، وشبه العمد، والخطأ، وما جرى مجرى الخطأ، فإن كان القتل غير ذلك بأن كان بحق كما لو باشر الوارث القصاص من مورثه، أو كان المورث باغياً والوارث ضمن جنود إمام المسلمين، فذلك لا يمنع الميراث، لأنه لا يدخل تحت أي من الأنواع الأربعة المتقدمة، ومستند الأحناف في ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في الروايات المتعددة بالطرق المختلفة: «ليس للقاتل من الميراث شيء» رواه البيهقي، فيجب أن يكون القتل المانع من الإرث هو القتل بمعصية، أما إذا كان القتل لا معصية فيه، بل كان مباحاً لمباشره كما هي الحال في الصورة المتقدمة، فإنه لا يمنع من الميراث.

ويذهب الشافعيون إلى أن القتل مانع من الميراث على أي حال كان من عمد أو خطأ بحق أو بغير حق، وقع من مكلف أو من غيره، بمباشرة أو بتسبب حتى ولو كان مقصوداً به مصلحة المقتول كما إذا أعطى الوارث مورثه دواء بقصد شفائه فأدى ذلك إلى موته، فالقتل بجميع صوره وأشكاله مانع من الميراث لتحقق وصف القتل، لأن مناط الحرمان هو القتل من غير قيد أو وصف أخذاً من عموم النص في قوله صلى الله عليه وسلم: «ليس للقاتل من الميراث شيء» رواه البيهقي، فهو أي وصف القتل نكرة وقعت في سياق النفي فتعم كل قتل اتصف به قاتل على أي نحو كان، وذلك درءاً لما يشيع في المجتمعات من الفوضى وعدم الاستقرار.(٣٤)

ويذهب الحنابلة إلى أن القتل المانع من الإرث هو ما يوجب عقوبة مالية وذلك كالقتل العمد العدوان، فإنه يوجب القصاص فيوجب الحرمان من الإرث، والقتل الخطأ والقتل المتسبب كلاهما يوجب الدية فيمنعان الميراث، وأما القتل الذي لا يضمن بشيء من ذلك، فلا يكون مانعاً من الميراث كالقتل قصاصاً أو حداً، والقتل دفاعاً عن النفس، لأنه قتل بحق أي مأذون فيه شرعاً فكأن المناط عند الحنابلة كما يقول الشيخ أبوزهرة... هو تقرير الشارع العقاب على القتل، فكل ما أوجب الشارع فيه عقاباً سواء كان مباشراً أو غير مباشر منع من الإرث، وذلك لأن سبب المنع هو الاعتداء بالقتل وأمارة الاعتداء العقوبة فهي المقياس المادي لتبين عدم المشروعية الموجبة للحرمان، ولأن المنع من الميراث عقوبة وهي لا تكون على ما أسقط عنه الشارع التكليف.(٣٥).

وفي المذهب المالكي أن القتل يكون على نوعين: عمداً عدواناً أو خطأ، والقتل الذي يمنع الميراث عند المالكية هو العمد العدوان دون الخطأ، ومتى تحقق للقتل وصفا العمدية والعدوانية، فإنه يكون مانعاً، بغض النظر عن كون القاتل واحداً أو متعدداً، وعن الطريقة التي وقع بها القتل بالمباشرة أو بالتسبب، بقصد أو بغير قصد، بآلة قاتلة أو بغيرها.

وأما القتل الخطأ فلا يمنع من الميراث، ويعذر مرتكبه لانتفاء القصد عنه، وكذلك الحال إذا كان القتل عمداً، ولكنه بحق فإنه لا يمنع من الميراث كالقتل قصاصاً أو حداً أو دفاعاً عن النفس أو العرض أو المال، وكذلك القتل الصادر من غير المكلف، كل ذلك لا يمنع من الميراث، لأن ذلك هو مقتضى دفع التكليف عن القاتل، فإن معناه عدم المؤاخذة بالقتل.(٣٦)

وبالنظر المتفحص في مذاهب الفقهاء في هذا الموضوع يتبين لنا أن ما ذهب إليه المالكية هو الرأي السديد الواضح الحجة، حيث إنهم لا يفرقون في القتل بين ما يكون منه بالمباشرة أو بالتسبب، فكلاهما مانع من الإرث مادام قد توافر له وصف العمد العدوان، بعكس ما ذهب إليه الأحناف من تطلبهم في القتل المانع أن يكون بالمباشرة حتى ولو كان خطأ، أما القتل بالتسبب فلا يمنع عندهم ولو كان عمداً لعدم المباشرة فيه، وهو أمر لم تتضح حجته، ويصطدم مع العقل كما يظهر.(٣٧).

هذا وقد كان يقضى في الماضي وفقاً لأحكام المذهب الحنفي إلى أن صدر قانون المواريث المعمول به حالياً في مصر رقم ٧٧ لسنة ١٩٤٣ والذي نص في المادة الخامسة منه على أنه «من موانع الإرث قتل المورث عمداً سواء كان القاتل فاعلاً أصلياً أم شريكاً أم شاهد زور أدت شهادته إلى الحكم بالإعدام وتنفيذه، إذا كان القتل بلا حق ولا عذر، وكان القاتل عاقلاً بالغاً من العمر خمس عشرة سنة ويُعد من الأعذار تجاوز حق الدفاع الشرعي».

ونلاحظ أن واضعي القانون قد خالفوا مذهب الأحناف وأخذوا بمذهب مالك في خصوص القتل بالتسبب حيث اعتبروه مانعاً ليصير القتل العمد العدوان مانعاً من الميراث سواء أباشر القاتل الفعل أم تسبب في القتل وإن لم يباشر الفعل كحافر البئر، وواضع الحجر في الطريق العام...

وكذلك أخذ واضعو القانون برأي المالكية في عدم اعتبار القتل الخطأ مانعاً من الميراث ولو كان بالمباشرة بخلاف ما ذهب إليه الحنفية.

هذا وقد جاء في المذكرة الإيضاحية للقانون أنه يعتبر من قبيل القتل المباشر من أجهز على شخص بعد أن أنفذ فيه آخر مقتلاً من مقاتله، فإنهما يمنعان من إرثه، ويدخل في القتل بالتسبب: الآمر والدال والمحرض والمشارك، والربيئة «وهو من يراقب مسرح الجريمة أثناء مباشرة النشاط الإجرامي فيها» وواضع السم، وشاهد الزور الذي بُني على شهادته الحكم بالإعدام.

ويلاحظ هنا أن قانون المواريث ومذكرته الإيضاحية في خصوص اعتبار القتل مانعاً من الإرث قد استقوا أحكامهما من الفقهين المالكي والحنفي في فقه الشريعة الإسلامية بالإضافة إلى قانون العقوبات المصري.(٣٨)

ب ـ الحرمان من الوصية:

الحرمان من الوصية عقوبة تبعية أيضاً، وأصلها قوله صلى الله عليه وسلم: «ليس للقاتل من الميراث شيء» رواه البيهقي، وقد تعددت الآراء في هذا الصدد، وفيما يلي جملة ما قاله فقهاء الشريعة في الوصية:

يرى أبو حنيفة: حرمان القاتل من الوصية في القتل العمد العدوان وشبه العمد والخطأ وما جرى مجرى الخطأ بشرط أن يكون القتل

مباشراً، وأن يكون القاتل عاقلاً بالغاً، ويرى أبو حنيفة ومحمد أن الوصية تصح إذا أجازها الورثة..

رأي (أبو يوسف): يرى أن الوصية لا تصح للقاتل رغم إجازة الورثة لها..

ويرى البعض في مذهب مالك التفرقة بين القتل العمد والخطأ، فالقتل الخطأ لا يمنع من الوصية وهذا باتفاقهم، ولكنهم اختلفوا في القتل العمد.

ويرى البعض في مذهب الشافعي وأحمد أن الوصية لا تصح لقاتل، وينقسمون إلى قسمين: قسم يرى أن الوصية لا تصح ولو أجازها الورثة لأن المانع من الوصية هو القتل لا مصلحة الورثة، والقسم الآخر يرى صحة الوصية إن أجازها الورثة.

ويرى البعض الآخر من هذا المذهب أن الوصية صحيحة في كل حال للقاتل دون حاجة لإجازة الورثة.

هذا وقد أخذ القانون بمذهب الأحناف على الجملة، وإن كان قد عدل عن الأخذ به في موضعين:

الأول منهما: اشتراط التعمد في القتل بحيث لو تم القتل بطريق الخطأ، فإنه لا يمنع من استحقاق الوصية سواء كان بالمباشرة أم بالتسبب، والسند الفقهي للقانون في ذلك هو ما جاء في فقه المالكية وبعض الشافعية والحنابلة.

وأما الموضع الثاني: فهو اعتبار القتل بالتسبب مانعاً من استحقاق الوصية مادام قد توافر له وصف العمدية لأنه يترتب عليه إزهاق الروح كالقتل بالمباشرة تماماً بتمام، وقد أخذ القانون هذا الحكم من مذهب الحنابلة الذين صرحوا بأن القتل بالتسبب كالقتل مباشرة، حتى انهم أدخلوا في القتل المانع من صحة الوصية شهادة الزور التي يحكم بمقتضاها على الموصي بالقتل وينفذ الحكم.(٣٩).

وهكذا يتأكد لنا أن الشريعة الإسلامية الغراء صالحة لكل زمان ومكان، وأنها لاتقل شأناً عن القوانين الوضعية بالنسبة لمعالجة أحكام جريمة القتل الخطأ، بل إنها تفوقها، فقد تبين لنا من خلال المقارنة أن الشريعة الإسلامية هي أساس معظم القوانين الوضعية، إن لم تكن جميعها، ونقول إنه مهما طال الزمن فسيأتي اليوم القريب الذي تطبق فيه أسس ومبادىء الشريعة الإسلامية في جميع البلدان العربية والإسلامية، هذا وبالله التوفيق. ■

الهوامش والمراجع

(١) عزت حسنين: جرائم القتل بين الشريعة والقانون، دراسة مقارنة ص ١٧٥.

(٢) د. أحمد فتحي سرور: الوسيط في قانون العقوبات، القسم الخاص، ص ٦٠٨ ـ ٦١٠.

(٣) محمد مصطفى القللي: المسؤولية الجنائية، ص ٢١٩.

(٤) نقض ٤ ديسمبر سنة ١٩٤٤، مجموعة القواعد ج٦ رقم ٤١٧ ص ٥٥٠.

(٥) garcon, ort. 219 et 220, No, 34

(٦) مصر الابتدائية، ١٢ مايو ١٩١٧، المجموعة الرسمية، العدد ١٢ ص ٢٩.

(٧) حسن أبو السعود، القسم الخاص ص ٢٧٣.

(٨) محمد مصطفى القللي: المرجع السابق، ص ٢١٩.

(٩) نقض ١٢ مارس سنة ١٩٣٤، مجموعة القواعد، ج٣ رقم ٢٦٧ ص ٢٨٩.

(١٠) طنطا الكلية ٢٣ يناير ١٩٣١، المحاماة، السنة الرابعة، رقم ٥٧٦.

(١١) محكمة دمياط الجزئية ٣٠ سبتمبر سنة ١٩٣٠، المحاماة ١١ ص ٧٥٧.

(١٢) نقض ١٦ إبريل سنة ١٩٣١، مجموعة القواعد، س ١١ رقم٢٣٨ ص ٢٩٠.

(١٣) نقض ٢٢ مارس سنة ١٩٦٠، مجموعة الأحكام، س ١١ رقم ٦٩ ص ٢٩٦.

(١٤) نقض ٣٠ يناير سنة ١٩٦١، مجموعة الأحكام، س ١٢ رقم ٢٢ ص ١٣١.

(١٥) نقض ١٠ نوفمبر سنة ١٩٤٧، الموسوعة الذهبية، ج٧، ص ٤١٩.

(١٦) نقض ٣٠ يونيو سنة ١٩٥٣، الموسوعة الذهبية، ج٣، ص ٤٢٣.

(١٧) نقض ٢٣ مارس سنة ١٩٧٠، مجموعة الأحكام، ج٢١، ص ٤٤٣.

(١٨) محمود مصطفى، شرح قانون العقوبات، ص ٢١٦.

(١٩) نقض ٣٠ يناير سنة ١٩٣٠، مجموعة القواعد القانونية (١) رقم ٣٨٤ ص ٤٥٨.

(٢٠) د. أحمد فتحي سرور: المرجع السابق، ص ٦١٩.

(٢١) نقض ٢٨ مارس سنة ١٩٧١، مجموعة الأحكام، س٢٢، رقم ٦٩، ص ٢٩٤.

(٢٢) عزت حسنين: المرجع السابق، ص ١٨٣.

(٢٣) سورة النساء/ ٩٢.

(٢٤) عزت حسنين: المرجع السابق، ص ١٨٤ ـ ١٨٧.

(٢٥) عبدالقادر عودة: التشريع الجنائي الإسلامي ج٢ ص ١١٠.

(٢٦) علاء الدين الكاساني، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ج٧ ص ٢٧١ و ٢٧٢.

(٢٧) بنت مخاض: هي التي دخلت في الثانية، بنت لبون: هي التي أنهت الثانية ودخلت في الثالثة، حقة: هي التي أنهت الثالثة ودخلت الرابعة.

(٢٨) أبو زهرة: العقوبة، ص ٥٨٥.

(٢٩) قرار الهيئة الدائمة لمجلس القضاء الأعلى رقم ٦٥ في ٢٥/ ٤/ ١٣٩٧هـ.

(٣٠) قرار مجلس القضاء الأعلى بهيئته العامة رقم ١٣٣ في ٣/٩/١٤٠١هـ.

(٣١) النساء / ٩٢.

(٣٢) د. محمد فرحات:
أحكام التركات والمواريث والوصايا والأوقاف في الفقه الإسلامي والقانون ص ٣٥.

(٣٣) الشوكاني: نيل الأوطار، ج٧، ص ٢٢.

(٣٤) أبو إسحاق الشيرازي: المهذب، ج٢، ص ٢٤.

(٣٥) أبوزهرة: أحكام التركات والمواريث، ص ١٠٩، والدكتور زكريا البري: الوسيط في أحكام التركات والمواريث، ص ٥٩.

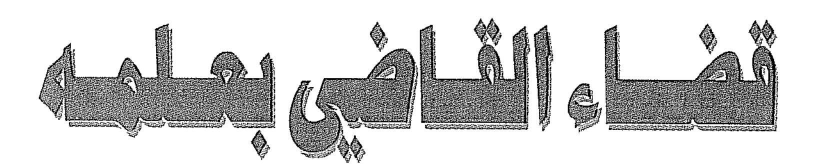
(٣٦) أحمد الدردير: الشرح الكبير، مع حاشية الدسوقي عليه، ج٤، ص ٤٨٦.

(٣٧) المرغيناني: الهداية، ج٤، ص ١٥٨.

(٣٨) د. زكريا البري: المرجع السابق، ص ٦٨.

(٣٩) ابن قدامة: المغني، ج٦، ص ٥٤١.

شريعة



قضاء القاضي بعلمه

بقلم الدكتور: أحمد محمود كريمه

اتفقت كلمة الفقهاء على أن القاضي يحكم في كل شيء من الحقوق سواء كان حقاً لله أو كان للآدميين وأنه نائب عن الإمام الأعظم في هذا المعنى وأنه يعقد الأنكحة ويقدم الأوصياء(١) واختلفت كلمتهم في أمر آخر هو: هل يجوز للقاضي أن يحكم بعلمه أو لا، وذلك على مذاهب:

المذهب الأول:

ذهب الحنابلة في ظاهر المذهب، وشريح، والشعبي، ومالك واسحق، وأبو عبيد، ومحمد بن الحسن، والشافعي في أحد أقواله(٢).

وأهل الحجاز: إلى أن الحاكم لا يحكم بعلمه في حد ولا غيره لا فيما علمه قبل الولاية ولا بعدها.

المذهب الثاني:

وذهب أحمد في الرواية الأخرى، وأبو يوسف، وأبو ثور والشافعي في قوله الثاني ــ وهو اختيار المزني ـ إلى أنه يجوز له ذلك(٣).

المذهب الثالث:

وقال أبو حنيفة ما كان من حقوق الله وهي الحدود الخالصة لا يحكم فيه بعلمه وأما حقوق الآدميين: فما علمه قبل ولايته لم يحكم به وما علمه في ولايته حكم به. (٤).

الأدلــــة

استدل المانعون من قضاء القاضي بعلمه بالسنة والمعقول:
أما السنة فأولاً «بما روي عن أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: إنما أنا بشر مثلكم وأنكم تختصمون إليّ ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي بنحو ما أسمع فمن قضيت له من حق أخيه شيئاً فلا يأخذه فإنما أقطع له قطعة من النار» متفق عليه.(٥)

وجه الدلالة:

أنه ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال «فاقضي بنحو ما أسمع» ولم يقل بما أعلم فدل على أنه إنما يقضي بما يسمع لا بما يعلم.

ويناقش هذا: بأن التنصيص على السماع لا ينفي كون غيره طريقاً للحكم أنه يمكن أن يقال إن الاحتجاج بهذا الحديث للمجوزين أظهر فإن العلم أقوى من السماع لأنه لا يمكن بطلان ما سمعه الإنسان ولا يمكن بطلان ما يعلمه ففحوى الخطاب تقضي جواز القضاء بالعلم.

وثانياً: بما روي عن أبي بكر الصديق ــ رضي الله عنه ـ أنه قال: لو رأيت حداً على رجل لم أحده حتى تقوم البينة.

ووجه الدلالة: أن تجويز القضاء يقضي إلى تهمته والحكم بما اشتهى ويحيله على عمله.

وثالثاً: يقول النبي ــ صلى الله عليه وسلم ـ في قضية الحضرمي والكندي «شاهداك أو يمينه» وفي لفظ «وليس إلا ذلك» (٦).

وجه الدلالة على المدعي ظاهر.

ويناقش بمثل ما تقدم من أن التنصيص على ما ذكر لا يبقى ما عداه أما قوله «وليس لك إلا ذلك» فلم يقله النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ كما صرح الشوكاني (٧) وقد علم بالمحق منهما من المبطل حتى يكون دليلاً على حكم الحاكم بعلمه بل المراد ليس للمدعي من المنكر إلا اليمين وإن كان فاجراً حيث لم يكن للمدعي برهان.

وأما المعقول فهو من وجهين:

أولاً: ما قاله الكرابيسي وهو [لا يقضي القاضي بما علم لوجود التهمة إذ لا يؤمن على التقي أن تتطرق إليه التهمة] (٨).

ثانياً: إن القاضي مأمور بالقضاء بالبينة ولو جاز له القضاء بعلمه لم يبق مأموراً بالقضاء بالبينة وهذا المعنى لا يفصل بين الحدود وغيرها.

واستدل من أجاز للقاضي القضاء بعلمه بالسنة والمعقول أيضاً.

أما السنة:

فأولاً: حديث هند زوجة أبي سفيان لما أذن لها النبي

صلى اللـه عليــه وسلم «أن تأخـذ مـن مـالــه مـــا يكفيهـا وولدها»(٩).
ووجه الدلالة: أنــه صلى الله عليه وسلم حكم لها من غير بينة ولا إقرار لعلمه بصدقها.
ويناقش بما قاله ابن المنير (١٠) بأنــه لا دليل فيه لأنه خرج مخرج الفتيـا وكلام المفتي يتنـزل على تقـديـر صحة كـلام المستفتي، وأيضاً فإن النبي صلى الله عليه وسلم أفتى في حق أبي سفيان من غير حضوره ولـو كان حكماً عليه لم يحكم في غيبته.(١١)
وثانياً: روى ابن عبدالبر في كتـابه أن عروة ومجاهد رويا أن رجـلاً من بني مخزوم استعـدى عمـر بن الخطـاب على أبي سفيان بن حرب أنه ظلمه حداً في مـوضع كذا وكذا، وقال عمر إني لأعلم الناس بذلك وربما لعبـت أنا وأنت فيه ونحن غلمان فإتني بأبي سفيان فأتاه به فقال له عمر يا أبا سفيان انهض بنا إلى موضع كذا وكذا فنهضوا ونظر عمر فقال يا أبا سفيان: خذ هـذا الحجر من هنا فضعــه هنا فقال واللـه لا أفعل، فقال والله لتفعلن، فقال: والله لا أفعل، فعــلاه بالدرة وقال: خذه لا أم لك فضعه هنا فإنك ما علمت قديم الظلم فأخذ أبو سفيان الحجـر ووضعه حيث قـال عمـر، ثم إن عمر استقبل القبلـة فقال: اللهم لـك الحمد حيث لم تمتني حتى غلبت أبـا سفيان على رأيه وأذللته لي بالإسلام، قـال فاستقبل القبلة أبو سفيان وقـال يـا رب لك الحمـد إذ لم تمتني حتى جعلت في قلبي من الإسلام ما أذل به لعمر».

وجه الدلالة:

أن عمر ـ رضي الله عنه ـــ حكم بعلمه ولأن الحكم بالشاهدين لأنهما يغلبان على الظن فما تحققـه وقطع به كـان أولى، ولأنه يحكم بعلمه في تعديل الشـهود وجرحهم فكذلك في ثبوت الحق قياساً عليه.
وأما المعقول فقد قالوا فيه: إنه جاز له القضاء بالبينة فيجوز القضاء بعلمــه بطريق الأولى، وهـذا لأن المقصود مـن البينة ليس عينها بل حصول العلم بحكم الحادثة.
وعلمه الحاصل بالمعاينة أقـوى من علمه الحاصل بالشهادةد لأن الحاصل بـــالشهـــادة علم غــــالب الـــرأي وأكبر الظن والحاصل بـالحس والمشاهـدة علم القطع واليقين فكان هـذا أقوى فكان القضاء به أولى.
ويناقـش هذا المذهب: بأنــه يلزم من إجـازة القاضي أن يقضي بعلمه مطلقاً: أنه لو عمـد إلى رجل مستور لم يعهد منه فجور قط أن يرجمه ويدعي أنه رآه يزني أو يفرق بينه وبين زوجته ويزعم أنه سمعــه يطلقها أو بينه وبين أمته ويـزعم أنه سمعه يعتقها.
فإن هذا الباب لو فتح لـوجد كل قاضٍ السبيل إلى قتل عدوه،نه وتفسيقه والتفريق بينه وبين من يحب ومن ثم قال الشافعي رحمه الله «لولا قضاء السوء لقلت أن للحاكم أن يحكم بعلمه» ا.هـ(١٢).
واستدل أبو حنيفة عى ما ذهب إليه وهو:
ما كان من حقوق الله وهي الحدود الخالصة لا يحكم فيها، بعلمــه لأن الحدود يحتـاط في درئها وليس الاحتيـاط فيهـا الاكتفـاء بعلم نفســه بخـلاف القصـاص فإنــه حق العبـد وحقوق العباد لا يحتاط في إسقاطها وكذا حد القذف لأن فيه حق العبد. وكلاهما لا يسقطان بشبهة.(١٣)
وأما حقـوق الآدميين: فما علمه قبل ولايتـه لايحكم بـه وما علمه في ولايتـه حكم به لأن مـا علمه قبل ولايتـه بمنزلـة ما سمعه من الشهود قبل ولايته، وما علمــه في ولايته بمنزلة ما سمعه من الشهود في ولايته.
والحق الذي يجب المصير إليه أن يقال: إن كانت الأمور التي جعلها اللـه أسباباً للحكـم كالبينة واليمين ونحـوهما أموراً تعـبدنا الـله بها لا يســوغ لنـا الحكم إلا بهـا وإن حصـل لنا مـا هو أقـوى منها بيقين فـــالواجــب علينا الوقـــوف عنـدها والتقيد بها وعـدم العمل بغيرها في القضاء كـائناً ما كان.
وإن كانت أسبـاباً يتوصل بها الحاكم إلى معـرفة المحق من المبطل والمصيب من المخطىء وأنها غير مقصــودة لذاتها بل لأمر آخر وهو حصول ما يحصل للحاكم بها من علم أو ظن فـلا شك أنــه يجوز للحـــاكم أن يحكم بعلمــه لأن شهـادة الشـاهـدين والشهـود لا تبلغ مـــرتبـة العلم الحاصل عن المشاهدة أو ما يجري مجراها فإن الحاكم بعلمه غير الحاكم الذي يستند إلى شاهدين أو يمين.
فإذا جاز الحكم مع كونه صواباً وكونه خطأ فكيف لا يجوز مع القطع بأنه صواب لاستناده إلى العلم اليقيني، ولا يخفى رجحان هذا لأن الحاكم به قـد حكم بالعدل والقسط والحق كما أمر الله تعالى. ■

الهوامش:

(١) بداية المجتهد ٢/٢٧٨.
(٢) المغني والشرح الكبير ١١/ ٤٠٠ ما بعدها.
(٣) المغني والشرح الكبير ١١/ ٤٠٠.
(٤) بدائع الصنائع ٧/٧.
(٥) صحيح مسلم ٣/٢٠٣ كتاب الأقضية رقم ٤.
(٦) المرجع السابق ص ٢١٦ ـ حديث ١.
(٧) المرجع السابق.
(٨) نيل الأوطار ٩/١٩٦.
(١٠) صحيح مسلم ٣/٣٠٤ ـ كتاب الأقضية.
(١١) نيل الأوطار ٩/١٩٧ وما بعدها.
(١٢) المغني والشرح الكبير ١١/٤٠٣.
(١٣) المرجع السابق ١١/٤٠١.
(١٤) بدائع الصنائع ٧/٧.

دراسات قرآنية



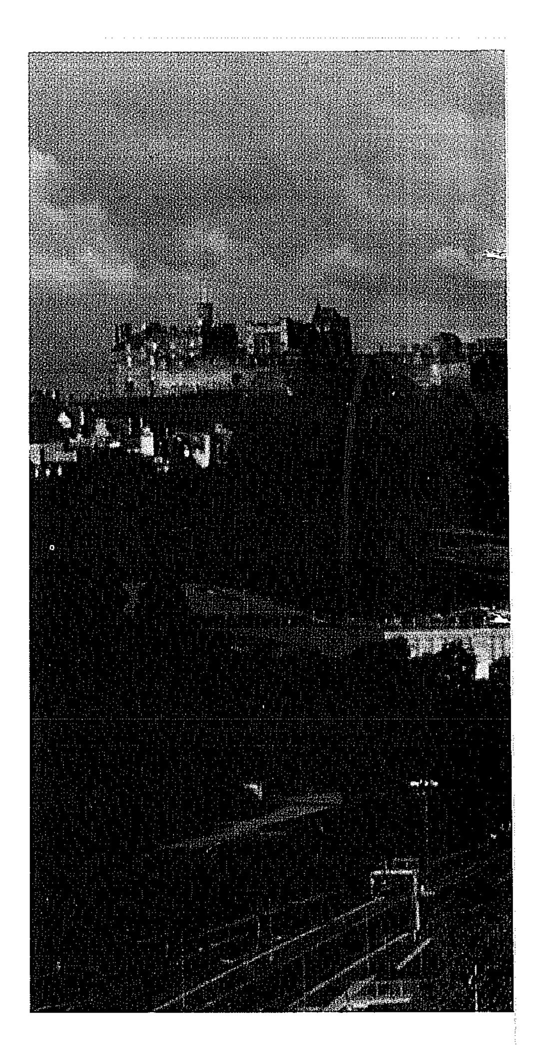
إعجاز القرآن في تكوّن السحب

إن القرآن الكريم معجزة الله الخالدة.. وهو معجزة متجددة ويمكن تحسسها من خلال الآيات العلمية الكونية التي تكشف للناس عن الجديد في كل العصور وهذا تبيان متجدد للناس على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم ومصداقا لقوله تعالى﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق﴾[فصلت/٥٣].

وإذا اراد الإنسان ان يستدل على عظمة الخالق جلّ وعلا.. عليه ان ينظر الى آثاره في الكون فالعلم الصحيح لابد ان يؤدي الى الايمان بالله وقوة التمسك بالدين ولن يحدث تعارض بين القرآن والعلم إلا اذا ضل العلم طريقه او أخطأ المفسرون في فهم الآيات الكونية لقصور علمهم بهذه الآيات.

دعنا نتوقف قليلا لنتأمل المشهد الكوني الذي يعرضه الخالق سبحانه وتعالى في الآية رقم ٤٣ من سورة النور. هذا المشهد الذي يمر عليه الناس غافلين، فيه متعة للنظر، وعبرة للقلب، ومجال للتأمل في صنع الله وآياته.. تقول الآية ﴿ألم تر أن الله يزجي سحاباً ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاماً فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار﴾.

إن الله القادر على كل شيء يسوق السحاب بقدرته من مكان الى مكان. ثم يؤلف بينه ويجمعه بعد تفرقة، فإذا هو ركام بعضه فوق بعض. فترى الودق «أي المطر» يخرج من خلاله إذا ثقل. وهذه السحب الركامية تكون على هيئة جبال ضخمة كثيفة، فيها قطع البرد الثلجية الصغيرة. ومشهد السحب التي كالجبال يكون جلياً لراكب الطائرة وهي تعلو فوق السحب وتسير



بقلم:د. يوسف عبد الغفار عبدالله
عميد كلية الهندسة ـ جامعة البحرين

بينها. فهي جبال حقاً ضخمة بارتفاعاتها وانخفاضاتها انه لتعبير مصور للحقيقة التي لم يرها الانسان إلا بعد أن يعلو في السماء بالطائرة وغيرها. وهذه الجبال مسخّرة بأمر الله، وفق ناموسه الذي يحكم الكون، ووفق هذا الناموس يصيب الله بالمطر والبرد من يشاء سواء كان رحمة لهم او نقمة عليهم، ويصرفه عمن يشاء رحمة بهم او ليؤخر عنهم الغيث.

وإذا أنعمنا النظر في كلمات هذه الآية العظيمة لرأينا تفصيلاً دقيقاً لظاهرة تكوّن السحب الركامية فتوضح بأن السحب تتكون ضعيفة في بدايتها.. عبر عنها الحق تبارك وتعالى بكلمة «الإزجاء» ثم يؤلف بينها ويجمعها ثم يجعلها متراكبة. ومن المعروف علمياً أن السحب تتكون بداية من قطيرات صغيرة من الماء. وهذه السحب تكوّن الغالبية العظمى من انصاف اقطارها المائية في بداية تكوينها بين ٥ الى ١٠ ميكرون. ويتراوح مدى عدد قطيرات الماء في السنتيمتر المكعب الواحد من السحابة فيما بين ٣٠ و٣٠٠ قطيرة. ثم يتم تجميع هذه القطيرات لتكوين السحب والتي تكون فيما بعد ركاماً اي سحباً ركامية.

فالسحب الركامية تشبه الجبال وتتكون رأسياً من قرب سطح الارض إلى أعالي طبقة التروبوسفير والتي يصل ارتفاعها الى اكثر من١٥ كيلو متراً وتنخفض درجة الحرارة هناك إلى أقل من٤٠ْ سيلزيه تحت الصفر والسحب الركامية تتكون عادة من ثلاث طبقات: السفلى والوسطى والعليا، وتكون الطبقة السفلى هي منطقة قطيرات الماء النامية، في حين أن الطبقة العليا تمثل منطقة بلورات الثلج او البرد.

وفي السحب الركامية تتكون ظاهرتا البرق والرعد، اضافة الى انها تهطل علينا المطر وتنزل علينا البرد. ويختم الله سبحانه وتعالى هذه الآية بظاهرة البرق..﴿يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار﴾ وتشير هذه النهاية الى الحقيقة الكهربية التي اكتشفها العلم الحديث قريبا ودور البرد في توليد الشحنات الكهربائية والتي ذكرها الدكتور منصور محمد حسب النبي في كتابه «الكون والاعجاز العلمي للقرآن» يقول «فلقد ثبت ان جسيمات الغبار الخفية والمرئية ليست هي كل مايتكاثف عليه بخار الماء في الهواء بل ان الأيونات هي ايضا انوية تكاثف هامة»

وتتولد الايونات في الهواء الجوي بتأثير الاشعة فوق البنفسجية القادمة من الشمس واشعة جاما المنطلقة من العناصر المشعة في القشرة الارضية او بتأثير

من علّم محمداً- النبي الأمي قبل اكثر من اربعة عشر قرناً ـ التفاصيل الدقيقة لحقائق علمية اكتشفت حديثاً في القرن الحالي

في السحب الركامية تتكون ظاهرتا البرق والرعد، اضافة الى انها تهطل علينا المطر وتنزل علينا البرد.

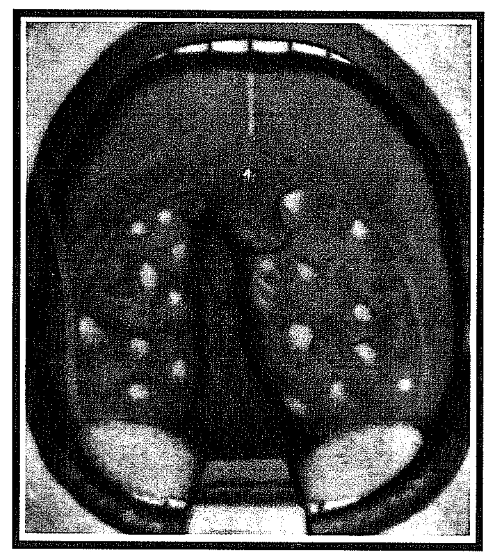
الاحتكاك بين الرياح والجسيمات المحمولة مما يؤدي إلى تأين بعضها، وهكذا بحيث ان السحب تكون عادة مشحونة كهربياً. فالتأليف الذي ذكر في الآية يتم بفضل الشحنات الكهربائية المختلفة التي تتولد في طبقات هذه السحب فتعمل على تجاذبها ويتراكم بعضها فوق بعض وتصبح كالجبال بفعل القوة الكهربائية الشديدة.

اما بالنسبة لدور البرد في توليد الشحنات الكهربائية على طبقات السحب اثناء تذبذبه بين طبقتين مشحونتين او اثناء نزوله فقد ثبت علمياً أن حركة البرد ترفع من كمية الكهرباء المتولدة على السحب المتراكمة الى درجة تؤدي الى حدوث تفريغ كهربي هائل قد تصل شرارته الى ثلاثة اميال في طولها.. محدثة برقاً تصل فيه درجة الحرارة إلى الابيضاض ﴿يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار﴾ وينتج عن هذا التفريغ تمدد فجائي للهواء يحدث صوتا مدويا يسمى الرعد.. ويؤدي التفريغ الكهربائي والتمدد الهوائي الى تبريد شديد لتلك المنطقة فيتكاثف مافيها من بخار الماء في السحب فينزل مطراً او برداً حسب مقدار البرودة الحادثة في تلك المنطقة.

من علّم محمداً- النبي الأمي قبل اكثر من اربعة عشر قرناً ـ التفاصيل الدقيقة لحقائق علمية اكتشفت حديثاً في القرن الحالي. أليس هذا دليل قاطع على ان القرآن كلام الله.. وان هذه الحقائق الكونية التي يكتشفها العلماء على فترات متباعدة هي في علم الله. ولايحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء.. وهو علاّم الغيوب. ■

طب

اللوزتان غدتان ليمفاويتان تقعان على جانبي الحلق في بداية المريء والقصبة الهوائية، وهما بحكم هذا الموقع المهم معرضتان للعدوى بشتى الميكروبات، ولذا تعدان خط الدفاع الأول ضد الميكروبات التي قد تدخل الجسم عن طريق «الأنف» أو الفم مع الهواء أو الطعام. والتهاب اللوزتين المزمن، مرض شائع جداً، خصوصاً بين الأطفال، ويحدث ـ في معظم الحالات ـ وينكرر ويكون حاداً أحياناً، كما قد يحدث ثانوياً نتيجة لالتهاب الجيوب الأنفية أو عن طريق التنفس في بيئة ملوثة. ويساعد على حدوث التهاب اللوزتين المزمن عدم العناية بتنظيم حياة الطفل طبقاً للمبادىء الصحية العامة.



● يؤدي التهاب اللوزتين الحاد في معظم الحالات الى التهاب اللوزتين المزمن

التهاب اللوزتين المزمن عند الأطفال: أعراضه... وعلاجه

مصطفى السمري

● موقع اللوزتين على جانبي الحلق وفي بداية المريء والقصبة الهوائية

والجدير بالذكر أن التهاب اللوزتين الحاد يحدث نتيجة الإصابة بالميكروب السبحي أو بعض الميكروبات والفيروسات الأخرى مثل ميكروب الدفتيريا وفيروس الانفلونزا وغيرها، وتنتقل العدوى بوساطة الرذاذ المتطاير من فم أو أنف المريض أو استخدام أدوات المريض الشخصية وبخاصة المناشف والمناديل، ويلعب اللبن «الحليب» دوراً مهماً في نقل العدوى، وتتلخص أعراضه في ارتفاع درجة حرارة الطفل ـ فجأة ـ إلى نحو ٣٩ درجة مئوية أو ٤٠ درجة مئوية أحياناً، ثم يصاحب هذه الحال وعك عام وآلام بالظهر والأطراف، مع صعوبة في البلع وآلام في



● العلاج ـ الوحيد ـ في حالة التهاب اللوزتين المزمن هو : استئصال اللوزتين جراحيا (Tonsillectomy) ويبدو في الصورة الى اليسار اللوزتين بعد استئصالهما

الحلق، ومن علامات المرض: تضخم اللوزتين واحتقانهما، ووجود حبيبات صديدية بيضاء أو صفراء اللون على اللوزتين، ويبدو اللسان متسخاً، ورائحة الفم تصبح كريهة، ويبدو الوجه شاحباً إلى حد ما، كما يحدث تضخم مؤلم في الغدد الليمفاوية الموجودة في رقبة الطفل، وفي العادة يشفى الطفل بعد مضي ثلاثة أو أربعة أيام من بدء الإصابة.

أعراض وعلامات المرض

١ ـ أعراضه الموضعية: تتمثل في شكوى الطفل من التهاب حاد متكرر، وإحساس بضيق في التنفس وألم في الحلق، وإحساس بطعم غير مقبول وانبعاث رائحة كريهة من الفم، مع التهاب الغدد الليمفاوية بالرقبة.

٢ ـ أعراضه العامة: رفض الطفل الطعام مع ميله للقيء، وتأخر في صحته العامة، ويكون التأخر واضحاً في حالة التهاب اللوزتين المزمن إذا كان مصحوبا بالتهاب في الزوائد الأنفية، وتتحول اللوزتان إلى بؤرة صديدية وتنخفض مناعة الطفل فتسهل إصابته بكثير من الأمراض مثل: الالتهاب الكلوي الحاد، الحمى الروماتيزمية، الالتهاب الصديدي في الأذن الوسطى، والتهاب الحنجرة والقصبة الهوائية والشعبتين.

علامات المرض

١ ـ تصبح اللوزتان غير متساويتين في الحجم.

٢ ـ يظهر احتقان في الجزء الأمامي من اللوزتين، كما قد يلاحظ وجود خرّاج مزمن.

٣ ـ يتسرب الصديد من اللوزة عند الضغط عليها.

٤ ـ تضخم في الغدد اللمفاوية الموجودة بالرقبة وربما يستمر هذا لمدة أسبوع بعد زوال أعراض المرض.

التهاب اللوزتين عند الأطفال تضعف جهاز المناعة وتسهل الإصابة بكثير من الأمراض

العلاج

العلاج في هذه الحال يكون باستئصال اللوزتين بعمل جراحي، والمضادات الحيوية على اختلاف أنواعها لا تجدي في هذه الحال، خصوصاً في حال ظهور مضاعفات المرض لذا ينصح باستعمال «البنسلين طويل المفعول» بعد عملية استئصال اللوزتين كما يجب ملاحظة الطفل ملاحظة دقيقة لمدة قد تطول حتى تصل إلى سن الخامسة والعشرين، وذلك للقضاء على الميكروب السبحي، وهو الميكروب الذي يؤدي إلى الإصابة بالتهاب الكلى الحاد أو الحمى الروماتيزمية. ■

لايتحرك التاريخ بعامل واحد، كما أنه لايتحرك بعوامل مرئية منظورة وحسب.
كما ان المدى الذي يجب ان يبصره مفسر التاريخ او فيلسوفه يجب ان يمتد إلى اكبر مساحة زمانية ومكانية تتشابك مع الواقعة موضوع التحليل... ولئن كان تاريخ الانسان الفرد محدود التشابك منظورا، يمكن قياسه بقياسات نفسية واجتماعية محدودة، فإن دراسة الحضارات في تشابكها وتفاعلها واتساع آماد اشعاعاتها واصداء ابداعاتها، ومراقبة عوامل التأثير الإيجابية والسلبية فيها... كل ذلك لايمكن ان يتحقق بوسائل محسوسة تجريبية، بل لابد معه من وسائل فحص عقلية تجريدية، ومن هذه الناحية يصبح التاريخ- كما يقول العلامة الجزائري مالك بن نبي- ضربا من الميتافيزيقا.
إذ ان مجاله يمتد الى ماوراء السببية التاريخية، لكي يلمّ بالظواهر في غايتها(١)

تاريخ

الرؤية الإسلامية لحركة التاريخ في فكر بديع الزمان النورسيّ

بقلم:د. عبدا لحليم عويس

ومادام الماديون ينكرون (الغائية) ابتداء ويؤمنون بأن الحضارات تمضي منطلقة من قواعد «عفوية صدفية» وتسير الى لانهائية غير واعية، فإنه من الصعب ان يؤمنوا بوجود عوامل ميتافيزيقية وراء حركة التاريخ، بل انهم يربطون الوقائع بعوامل اقتصادية آنية محدودة، وبتطور آلي صناعي تجريبي.. ولا أدري كيف يعلل هؤلاء سقوط الحضارات، وهي في قمة ازدهارها الاقتصادي الذي تواطأ ذووه على الترف والتقدم المادي ولاكيف يعللون سقوط الامبراطورية الرومانية خلال خمسة قرون كاملة حسب تحليل جيبون بحيث اعتبر المؤرخون المسلمون بالرؤية العميقة للتاريخ ان تدفق القبائل الجرمانية خلال القرنين الرابع والخامس الميلادي كان الضربة الاخيرة المباشرة التي تحللت على أثرها امبراطورية روما، بينما كان لسقوط اسرة الهان في الصين ولسلسلة الصراعات القبلية السابقة بين الشعوب المغولية والهونية، ثم الهونية الجرمانية في المحيط الروسي ثم الجرمانية القوطية(٢) وما أفرزته المسيرة الداخلية للامبراطورية الرومانية من فساد اخلاقي وصراعات طبقية واجتماعية، وطغيان كنسي كان لكل ذلك تأثيره البعيد والعميق في سقوط الامبراطورية الرومانية.. فهناك إذن خلف الاسباب القريبة اسباب بعيدة تخلع على تفسير التاريخ طابعا ميتافيزيقيا أو كونيا(٣).

إن هذا الجانب الميتافيزيقي او الكوني الذي يربط اشلاء التاريخ بطريقة عضوية ويعطي لمسيرة التاريخ معنى وعقلانية وغاية.. انما هو في الحقيقة جوهر عميق واضح يبصره ﴿الذين يؤمنون بالغيب﴾(٤) ويؤمنون بان تقدير الناس للزمان غير تقدير الله له ﴿وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾ (٥) وبأن الله يحرك هذا التاريخ البشري وفق سنن ثابتة وغايات واضحة:

﴿وماخلقنا السماء والارض ومابينهما لاعبين. لو اردنا ان نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين. بل نقذف بالحق على الباطل فدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون﴾(٦).

وماوقع للامبراطورية الرومانية في رحلة سقوطها التي امتدت خمسة قرون يقع لكل الامبراطوريات التي مثلت ظواهر حضارية كبرى، ولم تكن مجرد دول ينزو عليها النازون، ثم يرحلون، كما يرحل المحتلون الطارئون..

ووفق هذه الرؤية البعيدة العميقة في التحليل يرى مالك بن نبي ان موقعة «صفين» كانت بداية السقوط من المثال إلى الواقع — بكل معطياته السلبية والإيجابية — في رحلة الحضارة الإسلامية.

ويرى ان مركب الحضارة الإسلامية قد تحلل بسقوط دولة الموحدين الذي كان في حقيقته سقوط حضارة لفظت آخر انفاسها(٧)

ومهما يكن الاختلاف في الرؤية بيننا وبين بعض النتائج في تحليلات العلامة «مالك بن نبي» الحاسمة، فإن تحليله جدير بالتقدير، وهو في محتواه الأخير يمثل الرؤية الاسلامية الموضوعية التي لاتحصر الاشياء في اللحظة والمادة والمرئي، ولاتعمي عن الحقائق الكبرى، وبعبارة أوجز، تلك التي تبصر البعد الغيبي، وتكاد تلمس عناية الله المهيمنة

على كل شيء ،والتي لايعقلها إلا العالمون..!!
وفي يقيني ان هذه الرؤية الحضارية التي أبصرها المهندس الكهربائي الجزائري المتوفى سنة ١٩٧٥م «مالك بن نبي» كانت ستجد اعماقا رحيبة وآفاقا فسيحة لو انها تفاعلت مع رؤية عالم طبيعي آخر كان يعيش في مركز الخلافة الاسلامية الاخيرة، ويرى بعينيه «صفين» جديدة، وسقوط خلافة موحدية أخيرة عاشت خمسة اضعاف خلافة الموحدين المغربية، وامتدت اضعاف امتدادها(٨)..
كان يرى كل ذلك، ويعيشه، ويعانيه، ويحترق وجدانه به، وكان يبحث بوعيه وعقله عن اسباب ذلك الانحسار، ولاتهمه المادة ولا الارض، فليس عنها يبحث وانما يبحث عن اشجار الايمان التي توشك امام لهيب المادية وحرائق الإلحاد ان تذوي وتتحول إلى رماد.. ولعل بديع الزمان سعيد النورسي كان يسأل نفسه:
–هل يمكن حقا ان تموت بذور الايمان؟
–هل ينتهي تاريخ الانبياء على الارض؟
–هل سيضيع الإسلام، وهو الدين الحق، والحجة البالغة، وتسود المادية والانحلال؟
–وهل يترك الله الحضارة الانسانية تنحدر إلى هذا القاع دون شهداء على الناس يسعون لعودة الميزان القسط في قلوب الناس وعقولهم؟
....أجل: كان كل ذلك يدور في خلده خلال عقدي العشرينات والثلاثينات من قرننا الميلادي العشرين، وهو يرى الامتداد اليهودي الصليبي، والهيمنة الغربية والانحلالية تنشر سمومها دون مقاومة ذات شأن على هذه الارض؟
ولم يكن امامه– وهو لايملك إلا إيمانه وعقله– إلا ان يحاول التعرف على «حكمة الله» فلعله يبصر بعض الومضات التي تطمئن نفسه الملتاعة، بل لعله يكتشف بعض الاشعة الزاحفة من حيث يرى اكثر الناس المستقبل مظلما الظلمة كلها، وان المادية أو اللادينية قد ورثت الارض ومن عليها..
–ومن حيث اراد او لم يرد اصبح «بديع الزمان سعيد النورسي» من اكبر فلاسفة تاريخ المسلمين، الذين يحللون بالمبضع الإسلامي الوقائع والاحداث ويبصرون عناصر الحكمة والعناية والرحمة وراء كل حدث.. ولايتطرق اليأس إلى نفوسهم مهما ادلهمت الخطوب وتكاثرت السحب... فلاشيء يقع في ملك الله إلا مايريد، ولايندّعن الله شيء،والله لايظلم الناس شيئا، ولايجري شيء عبثا في هذا الكون..
–وهذه كلها «معالم» تمنح قلب المسلم الثبات والاستقرار وتعطيه أملا متجددا واستعلاء على كل الآلام والنكبات، وصمودا في وجه كل العواصف وثقة مطلقة في الله.
وعلى سعة تراث «بديع الزمان النورسي» وتشعبه، فإنني أرى ان هذه البصيرة النافذة التي يحلل بها النورسي افعال الله في حركة التاريخ، ويفلسف بها الأحداث والوقائع كانت من اكبر المفاتيح التي منحها الله إياه.
ومن خلال هذه الرؤية الاسلامية للوقائع، وبعمق التي لم تتوافر لغيره أبصر النورسي ﴿صنع الله الذي أتقن كل شيء﴾(٩) وعرف عن يقين علمي ان الله سبحانه وتعالى ﴿احسن كل شيء خلقه﴾ (١٠) وانه سبحانه ﴿اعطى كل شيء خلقه ثم هدي﴾(١١).. نعم.. فكل شيء في الوجود– هكذا يقول لنا النورسي– فيه جهة حسن حقيقية حتى مايبدو أقبح شيء، فما من شيء في الكون، وما من حادث يقع فيه إلا وهو جميل بذاته، او جميل بغيره، اي جميل بنتائجه التي يفضي اليها..
فهناك من الحوادث التي يبدو ظاهر امرها قبيحا مضطربا ومشوشا، إلا ان تحت ذلك الستار الظاهري انواعا من جمال رائق وأنماطا من نظم دقيقة.
فتحت حجاب الطين والغبار والعواصف والامطار الغزيرة في الربيع تختبئ ابتسامات الأزهار الزاهية بروعتها، وتحتجب رشاقة النباتات الهيفاء الساحرة الجميلة.
وفي ثنايا العواصف الخريفية المدمرة المكتسحة للاشجار والنباتات، والهازة للاوراق الخضراء من فوق الأفنان، حاملة نذر البين، وعازفة لحن الشجن والموت والاندثار، هناك بشارة الانطلاق من اسر العمل لملايين الحشرات الرقيقة الضعيفة التي تتفتح للحياة في أوان تفتح الازهار، فتحافظ عليها من قرّ الشتاء وضغوط طقسه، فضلا عن أن انواء الشتاء القاسية الحزينة تهيء الارض استعدادا لمقدم الربيع بمواكبه الجميلة الرائعة(١٢).
بيد ان الإنسان المفتون بالمظاهر والمتشبث بها والذي لاينظر إلى الأمور والأحداث إلا من خلال أنانيته ومصلحته، بالذات تراه تتوجه أنظاره إلى ظاهرة الامور وتنحصر فيها، فيحكم عليها بالقبح(١٣).
هذا مع ان القرآن الكريم الذي هو منبع الأدب الخالص يضم بين صوره تعابير تشير اشارات في غاية اللطف والجمال الى هذه الوجوه الحكيمة والستائر اللطيفة، فما نراه قبحا في بعض المخلوقات، والآلام والاحزان التي تخلفها بعض الاحداث والوقائع اليومية لاتخلو اعماقها قطعا من اوجه جميلة واهداف خيرة وغايات سامية وحكم خبيئة تتوجه بكل ذلك إلى خالقها الكريم كما قدر وهدى وأراد(١٤).
والفرد مهما كانت طاقاته وقدراته على استيعاب الحدث ونظراته الشمولية والتركيبية– فإنه في النهاية بشر تحكمه أنانيته وفرديته، وهو عاجز– إلا من عصم ربك– عن رؤية ماوراء الاشياء، والبصر بالعواقب البعيدة والتجرد عن ربط الاحداث ربطا مباشراً بشخصه، فهي خير مادامت خيرا لشخصه وهي شر مادامت شراً لشخصه.
ويضاف الى عجزه هذا عجز آخر عن التركيب الكلي للأجزاء المتناثرة والوقائع المتضادة والامور اللامعقولة التي يعايشها في كل يوم، ولايعرف لها عللا جامعة، ولاحكما قاطعة.. لكن بديع الزمان سعيد النورسي– وهو فيما نعتقد ممن عصمهم الله من الزلل، واصطفاهم لرؤية الاشياء على حقيقتها في إطارها الكلي– يرتفع إلى المستوى السامق الذي يجمع الجزئيات ويبصر ماوراء الوقائع ويضع يده على المعاني الحقيقية لأفعال الله.
فالسجن والاعتقال «لطمة حنان» واما المرض، فياله من نعمة عظيمة– بل هو نوع من «الدواء» وهو يكسب المريض «أرباحا طائلة» وليس لك أيها المريض حق في الشكوى.. بل عليك الشكر، وعليك الصبر، لان وجودك، وأعضاءك واجهزتك ليست ملكك أنت، بل هي ملك لآخر يتصرف في

ملكه كيف يشاء(١٥).
وأما إبصار الجزئيات، وماوراءها فهو معلم مهم من معالم الرؤية الاسلامية للتاريخ، ولعل الجزئية الشديدة، والتمزيقية الشائعة في تدوين الأحداث التاريخية وفق النمط التاريخي التقليدي- كانت من ابرز الاسباب في تخلف المسلمين في التنظير الاجتماعي والفلسفي للتاريخ... اللهم إلا في ذلك الاستثناء المعروف المتمثل في شخصية عبد الرحمن بن خلدون المتوفى سنة٨٠٨هـ.
لكن «النورسي» الذي تمتزج في ثقافته الجوانب العلمية والشرعية والحضارية استطاع ان يمسك بهذه الخيوط، وان يرتفع فوق الجزئيات، ويدعو إلى وضعها في إطارها الصحيح.. يقول النورسي: لندع الجزئيات ياصاحبي، ولنتأمل في هذا العالم العجيب، ولنشاهد أوضاع اجزائه المتقابلة بعضها مع البعض الآخر ففي هذا العالم البديع من النظام الشامل والانتظام الكامل كان كل شيء فاعلا مختارا حيا، يشرف على نظام المملكة كلها، ويتحرك منسجما مع ذلك النظام العام. حتى ترى الاشياء المتباعدة جدا يسعى الواحد منها نحو الآخر للتعاون والتآزر.
انظر: إن قافلة مهيبة تنطلق من الغيب «قافلة النباتات» مقبلة علينا تحمل صحون ارزاق الاحياء.. ثم انظر الى ذلك المصباح الوضيء« الشمس» المعلق في قبلة المملكة فهي تنير الجميع، وتنضج المأكولات المعلقة بخيط رقيق «اغصان الشجر» والمعروضة امامه بيد غيبية. ألا تلتفت معي إلى هذه الحيوانات النحيفة الضعيفة العاجزة كيف يسيل إلى أفواهها غذاء لطيف خالص يتدفق من مضخات متدلية فوق رؤوسها، وحسبها ان تلصق افواها بها»(١٦).
إن هذه الرؤية الشاملة التي تتعامل مع لوحة الكون واضعة يدها على كل مافيها من إبداع، مبصرة ماوراء كل خط أو لون أو ظل او بعد من معنى، ومبصرة كذلك المعطيات الكلية الجمالية النفعية والخيرية للوحة كلها.. هذه الرؤية هي منحة ربانية تميز بها بديع الزمان سعيد النورسي، وهي من صميم الرؤية الاسلامية للتاريخ.
إن الماديين الذين لايبصرون لوحة الكون بكل معطياتها، ولا يبصرون القوانين المعنوية الرحيمة التي تربط شتى الجوانب، وتقود السنن إلى غاية محددة، إنما هم قطيع من العميان الذين فقدوا البصيرة والملكة العقلية.
يقول بديع الزمان:
«يأتي ملحد إلى هذا العالم الذي هو معسكر مهيب رائع لجنود السلطان الجليل، وهو مسجد عظيم بارع يعظم فيه ذلك المعبود الأزلي ويقدس، يأتيه وهو يحمل فكرة الطبيعة الجامدة ذلك هو الجهل المطبق.
فيتصور القوانين المعنوية التي يشاهد آثارها في ربط انظمة الكون البديع، والنابعة من الحكمة البالغة للبارىء المصور سبحانه، يتصورها كأنها قوانين مادية، فيتعامل معها في ابحاثه كما يتعامل مع المواد، والأشياء الجامدة..» (١٧).
وفي مواجهة الرؤية التاريخية المادية التي تقيم نظرتها للكون والحياة والإنسان على أساس الصراع والتضاد والتنافر يقدم النورسي الرؤية الإسلامية الموضوعية التي ترى أن (التعاون والتكامل والتآلف) هي من الأسس التي تنبني عليها علاقات الاجزاء الكونية الاجتماعية وهي ايضا الطريق للتقدم والابداع وتسخير عناصر الكون الكثيرة لخدمة الحياة والانسان.. والجدلية القائمة بين موجودات الكون جدلية استثارة وأنس وتلاقح وسعي لإنجاز المهام الضرورية لاستمرار الحياة وازدهارها.. يقول النورسي.
إن جلوة الفردية وضعت على وجه الكائنات سكة من سكك الوحدة بحيث جعلت الكائنات في حكم كل لايقبل تَجزُؤاً.
فمن لايتصرف في جميع الكائنات لايكون مالكا حقيقيا لجزء منها اصلا وتلك السكة هي ان موجودات الكائنات وانواعها تتعاون مع بعضها بعضاً، ويعمل بعضها لتكميل عمل الآخر كدواليب مصنع منتظم فتشكل وحدة وجود بصورة تداخلها وتعانقها وسبق بعضها إلى امداد البعض الآخر وإجابة بعضها على سؤال البعض الآخر وبتعاونها وتساندها بحيث لايمكن تفريق بعضها عن البعض كالعناصر الموجودة في جسد إنسان.
فمن امسك بزمام عنصر، إذا لم يستطع ان يمسك ازمة الكل، لايضبط زمام ذلك العنصر الوحيد.. فهذا التعاون والتساند والتجاوب والتعاون، سكة كبرى مشرقة جدا في سكك الوحدة..(١٩)
ولكي نعطي لهذه النظرة النورسية قيمتها الحقيقية يجب ان نتذكر انها كتبت في فترة زمانية كانت المادية الماركسية تعيش ايام وهجها وزخرفها، وكان الوقوف ضد مقولاتها يبدو وقوفا ضد تيار عالمي مدعم بالغطرسة والقوة، ولكن النورسي الذي كان ينطلق من تلمذة مباشرة للقرآن، وإيمان مطلق بأستاذية القرآن للحياة والتاريخ، لم تبهره الضغوط الطارئة، فاستمد من ثوابت الرؤية القرآنية وخلودها واستعلائها على الامراض الطارئة... استمد منها آراءه التي اثبت التاريخ اصالتها.. وليته عاش ليبصر معنا سقوط الماركسية والمقولات المادية، وبطلان الصراع، وبروز حتمية التعاون!! ■

الهوامش

١- مالك بن نبي وجهة العالم الاسلامي: ترجمة د/ عبد الصبور شاهين ص٢١ طبع دار الفكر دمشق ١٤٠٢.
٢- مالك بن نبي المرجع السابق ص٢٢
٣-مالك بن نبي: المرجع السابق ص٢٣
٤-البقرة/ ٣
٥-الحج/ ٤٧
٦-الانبياء ١٦-١٨
٧- وجهة العالم الاسلامي ص٣١
٨- عاشت دولة الموحدين محصورة في المغرب والاندلس بين منتصف القرن السادس ومنتصف القرن السابع الهجري تقريبا.
٩-النمل/ ٨٨
١٠- السجدة/ ٧
١١- طه/ ٥٠
١٢-بديع الزمان سعيد النورسي- كليات رسائل النور-١- الكلمات ص.٢٥ ط دار سوزلر للنشر والتوزيع بالقاهرة.
١٣- السابق نفسه: ص ٢٥٠
١٤- السابق نفسه:ص٢٥١
١٥-سعيد النورسي- رسالة الى كل مريض ومبتلي ص ٧ نشر القاهرة
١٦- النورسي- الكلمات ص٣١٦ و ٣١٧
١٧- اللمعات ٢٨٢
١٨- مجموعة اللمعات للنورسي/ ترجمة الملا محمد زاهد ص ٥٤٠ منشورات دار الآفاق بيروت ط ١/ ١٤٠٥.

أدب

صور إيمانية

بقلم: د. أحمد عبدالمنعم عربود

حادث سيارة.. محطم الجسد.. طفل في السابعة... محاولة إسعافه تبوء بالفشل... ليس فيه أثر لحياة.. تدليك لعضلة القلب.. زرق وريدي.. تنفس اصطناعي.. دون جدوى!

التفت حولي.. شيخ في الستين أبصرته يتابعني وأنا أسعف الجثمان، غطاه المشيب، كما ابيضت لحيته وشاربه.. طلبت إخراجه من حجرة الإسعاف، امتنع وهو يتوسل.. انشغلت في إسعاف الطفل المحطم الرأس.. لا طائل من المحاولة.. إنه ميت.. تركت الجثمان!

ـ من أنت ولماذا تصر على البقاء هنا؟!

وهو ثابت الجأش يرد: هذا ابني.. أنا والده.. ودون أن تبدو عليه علامة تأثر أكمل: لقد فقدت ـ في الموعد نفسه من العام الماضي ـ أخاً له كان يكبره... حادث سيارة أيضاً وأذكر يومها كيف كانت أمه ملازمة فراش المرض في المستشفى وكنت أداوم الاتصال بها، فلما افتقدتني أياماً سألتني: أين كنت؟ ولماذا لم تحضر تلك الأيام الفائتة؟ كنت أداريها متذرعاً بالحجج والأعذار، سألتني عن ولدها لِمَ لم يحضر؟!

ـ وكان متعلقاً بها ـ هل أصابه مكروه؟.. توقفت برهة عن الإجابة، ثم بادرتها: كان وديعة عندنا.. واستردها صاحبها.. ألنا أن نعترض؟! جاءني صوتها على الهاتف تبكي وتنتحب..

وكان اليوم الرابع لدفنه! ثم أكمل: وها هو اليوم يلحق بأخيه.. توقف.. تعجبت لثباته ورباطة جأشه ولم أتمالك نفسي وترقرقت من عيني العبرات وأنا أستعيد مشاهد محاولة إنقاذ الابن أمام والده.. كشفتني دموعي أمامه وجدته يلتفت إليّ .. مقرباً وجهه الذي يشع منه نور عجيب.. وقد أمسك كتفي بيده وبالأخرى يربت على الآخر وهو يقرر في ثبات:

يا دكتور... أين نحن من قوله تعالى ﴿إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾ [الزمر ـ ١٠] يكررها... وأنا أبكي. في طريقي إلى مسجد المستشفى لصلاة الفجر.. خارجاً من سكن الأطباء مررت أمام حجرة الحارس.. قطع من الليل البهيم ويردد صوتاً يتلو كتاب الله بلكنة غير عربية.. بجهد يُهجّي الكلمات.. يخرج صوته يهز النفس ويمس شغاف القلوب، ليملأها روعة وإيماناً.

تعجبت كيف كان يعيش ذلك الحارس بعيداً في بلد كالفلبين في أسرة غير مسلمة، لا يدري شيئاً عن العربية أو الإسلام! وكيف جهد نفسه في تعلم اللغة، وكيف جاهد في مخالفة دين آبائه ـ إن كان لهم دين ـ ثم كيف اعتنق الإسلام.. وكيف جاء به القدر من آلاف الأميال ليكون بين ظهرانينا هنا؟

وتذكرت كيف يعيش الكثيرون تحوطهم المساجد ودور العبادة وصوت المؤذن لا ينقطع من حولهم... وقد نشأوا نشأة إسلامية ثم يُعرضون ويتولون يهملون عقولهم ويذهبون لاعتناق مذاهب هدامة كالشيوعية والماسونية والعلمانية وغيرها تاركين النور إلى الظلمة، تاركين طريق الله إلى غيره من الطرق والسبل.

تفكرت في أمري.. رجل ترك الظلام ولاذ بالنور، وآخر يترك النور ـ عن عمد وكِبر ـ ليتخبط راضياً بالظلام!!

عَلامَ يدل ذلك؟! ألا يدل على أن هناك جنة وناراً، وأن الله تعالى يختار لكل حزب أصحابه مهما بعدت بهم المسافات ليؤلف بينهم؟ حقاً: ﴿إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء﴾ [القصص ـ ٥٦] ■

الأدب الفطري أو العضوي: كل ما صدر من أدب قبل الإسلام ويتفق في مضامينه مع التصورات والطوابع الإسلامية.

سير الأدب الإسلامي ـ والحمد لله ـ بخطى واثقة من حسن إلى أحسن، حتى أصبح ـ في وقتنا الحاضر ـ شغلاً شاغلاً للأنصار والمؤيدين، وللأعداء والمعارضين على حد سواء. وقد تعددت القضايا والمسائل التي تتعلق ـ من بعيد أو قريب ـ بهذا الأدب، منها ما يثيره أو يعالجه الدعاة والأنصار، ومنها ما يثيره الأعداء والحاقدون.

ويلعب حسن النية دوراً كبيراً في توليد بعض الأخطاء التي يقع فيها بعض الأدباء الإسلاميين في التنظير والإبداع، ومن ثمَّ كان من الضروري أن تواجه هذه القضايا وتحسم بحوار هادىء منتج، مع الالتزام بآداب الإسلام في الجدل والحوار. ومن النتائج التي يجب أن نحرص عليها «تقريب المفاهيم» بقدر المستطاع، وقد يتحقق ذلك بإزالة اللبس والغموض الذي قد يحيط ببعض القضايا والمسائل والرؤى والطروح، وقد يكون بتطوير بعض المفاهيم على أسس موضوعية بعيداً عن الانفعالات.

ومن ناحية أخرى ـ يجب أن ندرك تماماً أن «تقريب المفاهيم» لا يعني ذوبان الفرد في المجموع كما لا يعني إلغاء «الاستقلالية الأدبية»، كما لا يعني غض النظر عما قد نلمسه من نقائص وعيوب في المناهج والمسالك والمضامين والتنظيرات، بل علينا أن نواجه كل أولئك في صراحة تامة وبقلوب وعقول مفتوحة.

وأرى أن تعدد الآراء ووجهات النظر قد يكون ظاهرة صحيحة، ولكن بشرط التمسك والانطلاق من قاعدة ثابتة راسخة هي «التصور الإسلامي»، وبشرط ثان هو الجنوح «للرأي الآخر» إذا تبين أنه الأصح والأقوى، وبشرط أخير مهم هو ألا يفسد هذا الخلاف للود قضية.

وهذه الورقات تقدم بحثاً ـ أو بحيثاً ـ متواضعاً آمل أن يمثل مساهمة في كشف بعض الزوايا القائمة، وإنصاف بعض المسائل والوجهات التي نرى أنها جديرة بالإنصاف.

وهذه الورقات تواجه ما يثيره مصطلح «الأدب الإسلامي» عند البعض من إشكاليات أغلبها في غير محله.

كما يواجه إشكالية المعيار الذي نأخذ به للحكم «بإسلامية الأدب».

ادب اسلامي

الأدب الإسلامي بين إشكالية المصطلح ومعيارية التطبيق

٢/٢

بقلم الدكتور: جابر قميحة

ثانياً: إشكالية المعيارية والتطبيق

عرضنا ـ في العدد السابق ـ التعريفات المتعددة لمصطلح الأدب الإسلامي، وطوابعها الخاصة والعامة، ووقفنا وقفة نقدية مع الإشكال أو الإشكالات التي تثيرها أو يمكن أن تثيرها.

وفي هذه الصفحات سنعرض للمعايير التي يحتكم إليها مصطلح الأدب الإسلامي من الناحية التطبيقية العملية وما تثيره هذه المعايير من إشكالات في الواقع، أو على سبيل الظن والاحتمال، وكذلك لما يمكن عمله لتفادي هذه الإشكالات أو الخروج منها.

معايير متعددة:

الفرض أن هناك إبداعاً معيناً، وليكن في شكل قصيدة شعرية، فما المعيار الذي نحتكم إليه، ونأخذ به لتحديد هوية هذه القصيدة، وبيان إلى أي مدى تستحق أن تنتسب لمصطلح الأدب الإسلامي؟

باستعراض المعروض الموظف في الساحة الأدبية من المعايير المحكمة نجدها لا تتعدى ثلاثة ـ على اختلاف بينها في القوة والترجيح ـ وهي بالترتيب:

١ ـ معيار الدين (أو المعيار العقدي).

٢ ـ المعيار السلوكي.

٣ ـ المعيار الذاتي للنص.

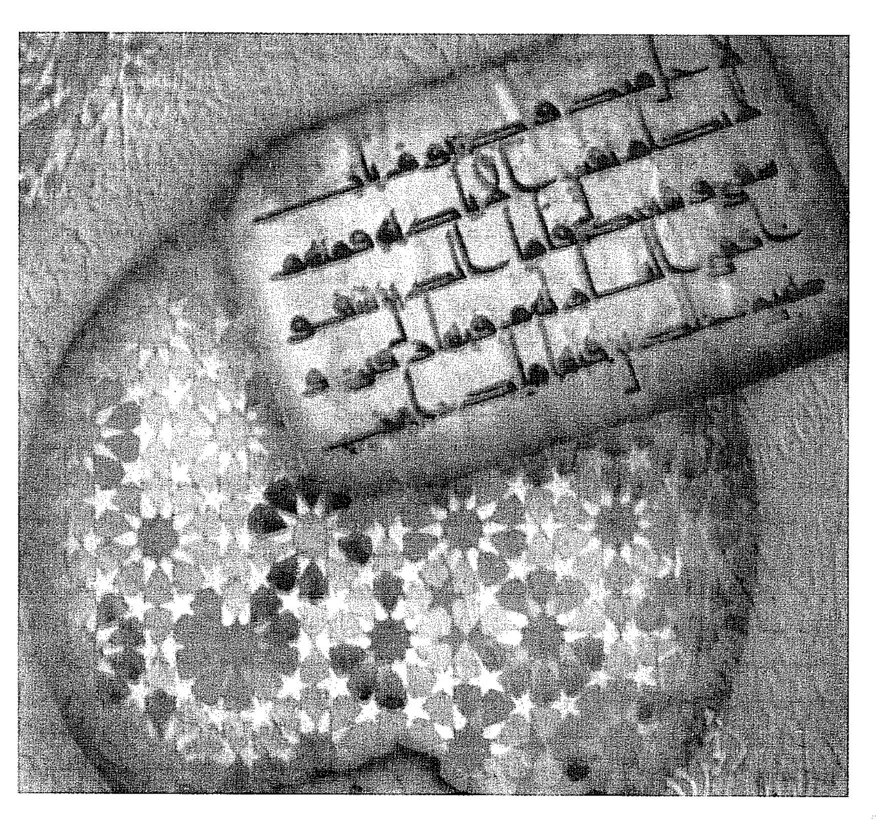
وسنحاول أن نقف وقفة متأنية مع كل معيار من هذه المعايير، وما قد يثيره كل معيار منها من إشكالات أو تساؤلات.

(١) معيار الدين أو المعيار العقدي:

ومؤداه أن القصيدة - حتى لو كانت إسلامية المضمون لحمة وسداة، وجاءت بأسلوب عربي مبين، وحتى لو كانت البصمات القرآنية والدينية واضحة في أدائها التعبيري، لا تنسب إلى الأدب الإسلامي إلا إذا كان مبدعها مسلماً، لأن الأدب الإسلامي «هو أدب العقيدة، أدب الإيمان، ينطلق من عقيدة، ويصدر عن إيمان، عقيدة تحكم الفرد والأمة، وإيمان يضبط الشعور والكلمة»(١).

والأديب إذا لم يكن رجل إيمان وعقيدة وعمل صالح، وذكر لله، ونصرة للحق، ورفع للظلم عنه وعن غيره.... فإن المعاني تختلط لديه وتضطرب، والتصورات تتعارض وتتناقض، حيث لا علم في منهاج الله يضبط، ولا تربية دين تكبح»(٢).

إن الأدب الإسلامي لا ينطلق نهجه من «مسلم هوية»، فلابد من مسلم عقيدة، ليدفع نهجاً، ويسعى لهدف، ويحرك أدباً.(٣)



(٢) معيار السلوك أو الالتزام الخلقي:

مع اعتبار المعيار الديني، لا يمكن الحكم بإسلامية القصيدة إلا إذا كان المبدع - زيادة على انتسابه الحقيقي للإسلام - مشهوداً له بحسن السيرة، واطراد السلوك الحسن في تفاعله مع المجتمع قولاً وفعلاً.

ومراعاة الشاعر - بصفة خاصة - للجانب السلوكي الأخلاقي نجد أصله في آيات سورة الشعراء:

(والشعراء يتبعهم الغاوون. ألم تر أنهم في كل وادٍ يهيمون. وأنهم يقولون ما لا يفعلون. إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا، وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون)(٤).

فالمستثنون في الآية هم الملتزمون إسلامياً، وقد حددت الآية صفاتهم بجلاء ووضوح في:

١ - الإيمان

٢ - العمل الصالح.

٣ - ذكر الله كثيرا.

٤ - الانتصار من الظلم، وليس مطلق الانتصار.

هذه هي صفات الشاعر الملتزم، فإذا فقدت صفة من هذه الصفات، لم يكن الشاعر ملتزماً، أو على الأقل تقل درجة التزامه، بمقدار ما نقص من صفاته.(٥)

(٣) معيار القيمة الذاتية للنص:

فلا يكتفي - في النظر إلى المبدع - بدينه وسلوكياته الطيبة، بل يجب أن يكون النص صادراً عن تصور إسلامي بما فيه من قيم إنسانية وأخلاقية ونفسية وتربوية صالحة.

إشكاليات: ...ومخارج:

إن كل معيار من المعايير السابقة له وجاهته وبريقه وحيثياته، ولكن كلا منها - من الناحية الظاهرية على الأقل - يثير بعض الإشكاليات، ويتعرض لغير قليل من الاعتراضات. والمسألة تحتاج إلى شيء من التفصيل:

لا يمكن الحكم بإسلامية القصيدة إلا إذا كان المبدع مشهوداً له بحسن السيرة.

وفي حوار مع أحد الإخوة الصحافيين في صحيفة المسلمون، وجه إليّ سؤالاً نصّه:

- ما الأدب الذي يمكن أن يطلق عليه أدب إسلامي؟

وجاء جوابي كما نشرته الصحيفة:

ألخص لك الإجابة على هذا السؤال فيما يلي:

أولاً: ليس من اللازم أن تكون كلمة الإسلام مذكورة في عنوان الإبداع، أو في مضمونه. فقد يكون الأدب إسلامياً، وليس فيه هذه الكلمة.

ثانياً: يقودنا هذا إلى أن هذا الاصطلاح يصدق في إيجاز شديد على كل إبداع شعري أو نثري ذي أبعاد إنسانية أخلاقية اجتماعية أو نفسية تربوية.

ثالثاً: إذا آمنا بالمفهوم السابق للأدب الإسلامي فهذا يجعلنا نغفل هوية المبدع اسماً وجنسية وديناً.

رابعاً: قد يجد دعاة الأدب الإسلامي فيما ذكرته آنفاً نوعاً من الحرج في هذه التوسعة بالذات، وخصوصاً إذا كان المبدع غير مسلم أو غربيا، ولكني أحاول أن أزيل هذا الحرج بأفعال الرسول - صلى الله عليه وسلم - إذ

جعل العقلية الإسلامية والسلوك الإسلامي يتسعان لحلف الفضول. وهو حلف جاهلي، حيث قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعد أن بعث نبياً ورسولاً ـ «لقد شهدت في دار عبدالله بن جدعان حلفاً ما أحب أن يكون لي به حمر النعم، ولو دعيت إليه في الإسلام لأجبت».

وذلك لأن حلف الفضول كان حلفاً إنسانياً نص على مناصرة المظلوم، والأخذ بيد الضعيف، واعانته على القوي. فالنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أجاز هذا الحلف لمضمونه الإنساني.

من هنا أرى أن يتسع مفهوم الأدب الإسلامي لكل الأعمال الأدبية التي تتفق في مضمونها مع قيم الإسلام، أو الأعمال ذات المضامين الإنسانية.

ولا يعني هذا دعوة مني إلى أن يقوم القائمون على أمر الأدب الإسلامي بتبني هذه الأعمال أو طبعها، إذ المفروض هو تبني أعمال الأدباء المسلمين شعراً أو نثراً في المقام الأول.

كان هذا جزءاً مما نشر على لساني في صحيفة «المسلمون»، وقد نشر مضغوطاً جداً بصورة نتج عنها إيجاز ترتب عليه بعض اللبس، مما دفع بعض القراء المتابعين إلى الرد معارضاً في قوة وحماسة شكرته عليهما.(٧)

وما نشر على لساني، وما جاء رداً عليه يؤكد أن ثمة إشكاليات تثور ـ أو يمكن أن تثور حول التطبيقات، أي جانب «المصدق» كما يقول المناطقة، وذلك في محاولة تصنيف وتوصيف الرصيد الأدبي الجاهز، والتعامل معه، وتحديد انتمائه ونسبته.

١ ـ ففي الشعر الجاهلي إبداعات شعرية انطلقت ولا شك من الفطرة الإنسانية السليمة، وتقترب جداً في مضامينها من القيم والمعاني الإسلامية، ولا عجب في ذلك، فالإسلام دين الفطرة ـ كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء»(٨).

ومن ذلك كثير من أمثال شعر أمية بن أبي الصلت الذي كان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يحب الاستماع لشعره، وبعض شعر زهير. وبعض ما جاء في معلقة عبيد بن الأبرص ومنها قوله:

والله ليس له شريك
علام ما أخفت القلوب

وهذا الشعر النقي الصافي الصادق نظمه جاهليون وثنيون، ولكنه لم ينبع من دافع وثني، ولا باعث قومي عصبي، بل جاء انعكاساً لصوت الفطرة الإنسانية التي فطر الله الناس عليها ـ في ساعة من ساعات يقظتها وجيشانها.

فلو أخذنا بالمعيارين الأول والثاني لأخرجنا هذا الشعر من حظيرة الأدب الإسلامي، لأنه صدر من مبدع غير مسلم، وغير ملتزم بالسلوك الإسلامي.

وإذا احتكمنا إلى المعيار الثالث فقط «معيار القيمة الذاتية للنص» لاعتبرنا هذا الشعر من الأدب الإسلامي.

إنه إشكال: لكن لنتركه معلقاً إلى حين.

٢ ـ شعر صدر الإسلام الذي نظمه أمثال حسان بن ثابت وعبدالله بن رواحة في الإسلام وهجاء الكفار ومدح الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو (أدب إسلامي) بلا ريب. إذا حكّمنا المعايير الثلاثة التي سبق ذكرها.

٣ ـ لأبي نواس: الحسن بن هانيء قليل من الشعر الرائع يحمل قيما إسلامية عليا، فهو يدعو إلى الآخرة والزهد في الدنيا مثل قوله:

إذا خلوتَ الدهر يوماً فلا تقلْ
خلوت ولكن قُلْ عليّ رقيبُ
ولا تحسبنَّ الله يغفلُ ساعة
ولا أنّ ما يخفي عليك يغيبُ
لهونا بعمر طال حتى ترادفت
ذنوب على آثارهن ذنوبُ(٩)

ويقول:

أية نار قدح القادح
وأي جد بلغ المازح
لله در الشيب من واعظ
وناصح لو سمع الناصح

في الشعر الجاهلي ابداعات شعرية انطلقت من الفطرة الإنسانية السلمية

يأبى الفتى إلا اتباع الهوى
ومنهج الحق له واضح
فاسْمُ بعينيك إلى نسوة
مهورهن العمل الصالح
لا يجتلي الحوراء من خدرها
إلا امرؤ ميزانه راجح
من اتقى الله فذاك الذي
سيق إليه المتجر الرابح
شمِّر فما في الدين أغلوطة
ورح لما أنت له رائح(١٠)

فالحسن بن هانيء شاعر مسلم، ولكن ما تواتر من أخباره يقال إنه كان متهتكاً عربيداً، غير ملتزم بأمور الإسلام وقيمه، فقد غلب على شعره المجون والخمريات والغلاميات، ولكن له من الزهديات قرابة ثلاثين قصيدة ومقطوعة من مجموع شعره الذي بلغ قرابة تسعمئة قطعة ما بين قصيدة كاملة، ومقطوعة من عدة أبيات.

وزهديات أبي نواس التي قدّمْناها تعدّ من الشعر الإسلامي بالمعيارين الأول والثالث، ولكن لا يمكن نسبتها للأدب الإسلامي إذا احتكمنا إلى المعيار الثاني: معيار الالتزام السلوكي.

ونعود فنقول إنها إشكالية أخرى، لكن لنتركها أيضاً معلقة إلى حين.

٤ ـ فإذا ما نظرنا إلى دافعنا الشعري الحديث مستصحبين المعايير الثلاثة السابقة واجهتنا على الساحة الأدبية النوعيات الآتية:

أ ـ الشاعر المسلم الملتزم بالروح الإسلامي والقيم الإسلامية في سلوكه وإبداعاته مثل عمر بهاء الدين الأميري.

ب ـ الشاعر المسلم «هوية»، ولكنه يتجه بشعره وجهة علمانية مادية حادة تجافي طبيعة الإسلام: مثل حسن طلب، وأحمد عبدالمعطي حجازي، وعبدالوهاب البياتي.

ج ـ الشاعر المسلم الذي اتسع شعره لهذا وذاك مثل أحمد شوقي: فله الأرجوزة الملحمية الرائعة «دول العرب وعظماء الإسلام»، وله مطولاته في الخلافة العثمانية، وله الأماديح الطيبة في النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ مثل همزيته المشهورة التي مطلعها:

ولد الهدى فالكائنات ضياء
وفم الزمان تبسم وثناء(١١)

مما جعل مقدّم ديوانه يطلق عليه «شاعر الإسلام والمسلمين»(١٢).

وفي مقابل ذلك نجد لشوقي كثيراً من الشعر

المنافي والمخالف للإسلام وأخلاقياته كخمريته التي يقول في مطلعها:

حفّ كأسهـا الحبيبُ
فهي فضـة ذهب(١٣)

وتلك التي مطلعها:

رمضان ولى هاتِها يا ساقي
مشتاقة تسعى إلى مشتاق(١٤).

د ـ الشاعر غير المسلم (النصراني مثلاً). وله إبداعات إسلامية المضمون كبعض قصائد الشاعر القروي وإيليا أبي ماضي وخليل مطران في بعض المناسبات الإسلامية، كمطولة مطران في ذكرى الهجرة النبوية ومطلع العام الجديد.(١٥) وفيها يقول:

عانى محمد ما عانى بهجرته
لمأرب في سبيل الله محمود
وكم غزاة وكم حرب تجشمها
حتى يعود بتمكين وتأييد
كذا الحياة جهاد والجهاد على
قدر الحياة ومن فادى بها فُودي
أدنى الكفاح كفاح المرء عن سفه
للاحتفاظ بعمر رهن تحديد
ليغنم العيش طلقاً كل مقتحم
وليبغ في الأرض شقاً كل عربيد
ومن عدا الأجل المحتوم مطلبه
عدا الفناء بذكر غير ملحود

وبعرض «النوعيات» السابقة على المعايير الثلاثة (الديني ـ السلوكي ـ القيمة الذاتية) نستطيع أن نخلص إلى النتائج الآتية:

١ ـ ما يبدعه شاعر كالأميري يصدق عليه وصف الأدب الإسلامي بلا جدال.

٢ ـ ما يبدعه النوع الثاني من الشعراء لا يحمل هذا الوصف لمجافاته الصريحة لروح الإسلام وقيمه.

٣ ـ لو حكمنا المعيار الأول على شاعر كشوقي لكان النوع الأول من شعره «أدبا إسلامياً»، والنوع الثاني غير إسلامي، لأنه ضد الإسلام صراحة.

ويبقى الحكم كما هو لو احتكمنا إلى المعيار الثالث.

ولكن إذا احتكمنا إلى المعيار الثاني ـ معيار السلوك الإسلامي ـ لخرج النوعان «الطيب والخبيث» من مفهوم الأدب الإسلامي، لأن شوقي كان يعاقر الخمر، كما ينقل عنه معاصروه.

٤ ـ وشعر غير المسلمين ذو المضامين الإسلامية لا يمكن اعتباره إسلامياً إذا أخذنا بالمعيار الثالث فقط.

ولكن المسألة عملياً لا تبدو بهذه السهولة لأننا ونحن نواجه الواقع الأدبي سنصطدم بعقبات وإشكاليات غير هينة.

ولنفرض مثلاً أن شوقي المسلم كان ذا سلوك طيب صالح عند إنشاء قصيدته «الهمزية» في مدح الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ففي هذه الحال ـ وبإجماع المعايير الثلاثة ـ (الدين والسلوك والمضمون) علينا أن نحكم لهذه المطولة بأنها واحدة من قصائد الأدب الإسلامي.

وبعد مدة ـ وهذا مجرد فرض ـ ظهر على وجه يقيني أن شوقي كان أيام نظم هذه القصيدة يسكر ويعربد، ويغفل أداء الصلة.

إذا ثبت ذلك كان على الناقد المسلم أن يطرد هذه القصيدة من حظيرة الأدب الإسلامي. ومن ثم تدخل القصيدة التاريخ الأدبي بوصفين متناقضين أو مختلفين ـ على الأقل.

وإذا نظرنا إلى شاعر مثل «نزار قباني» وجدنا له قصائد طيبة المضمون مستقيمة على الجادة كقصيدته عن «فتح» وقصيدته «هوامش على دفتر النكسة». وأخذا بالمعيار الثاني لا يمكن أن ننسب هذه القصائد إلى الأدب الإسلامي لأن سلوك هذا الشاعر «المسلم هوية» لا يشجع على ذلك.

لكن لو فرضنا أن الشاعر تاب إلى الله توبة نصوحا، وشهد له بذلك شهود عدول، هل تؤتي هذه التوبة أكلها بأثر فوري؟ أم بأثر رجعي؟ أي هل نحكم بإسلامية أدبه الذي يبدعه ابتداء من التوبة (في حالة إسلامية مضامين هذه الإبداعات)؟ أم ينسحب تأثير توبته إلى إبداعاته السابقة؟

فلو أخذنا بالحل الأول لكان في ذلك ظلم للشاعر لأن النص ذا المضمون الإسلامي منسوب إليه ـ بصرف النظر عن زمن إبداعه، ولو أخذنا بالحل الثاني لكنا أمام إشكال كالذي عرضناه بالنسبة لشوقي، وهو وصف النص بوصفين متناقضين أو مختلفين.

يجب أن يتسع مفهوم الأدب الإسلامي لكل الأعمال الأدبية التي تتفق في مضمونها مع قيم الإسلام

والأخذ بمعيار السلوك للحكم بإسلامية النص ـ على وجاهته ومثاليته ـ قد يوقعنا في إشكالية أخرى تتمثل في «نسبية الأخلاق» بالنظر إلى المتغيرات السلوكية على الأقل: فالتدخين مثلاً ومصافحة الأجنبية وسفور الوجه والكفين من المرأة، والاشتراك في مهرجانات شعرية يقيمها ناد أدبي مسيحي... إلخ، هل تعتبر هذه السلوكيات مما يخدش حق الأديب في إكساب إبداعه وصف «الإسلامية» مع أن المظاهر السابقة أو بعضها يعتبر مسائل خلافية أو «من قبيل اللمم».

ونحن مأمورون ألا نأخذ إلا بالظاهر، وعلى الله السرائر، ولكن: هل كل السلوك ظاهر؟ ثم أليس من الجائز أن يكون صاحب السلوك السيء الظاهر أقل ضراوة من صاحب سلوك طيب ظاهر، وهو في الخفاء شيطان مريد؟

ثم ما مصادر الحكم على السلوك؟ هل هي أقوال الناس؟ وهل بنيت هذه الأقوال على رؤية؟ أم بنيت على مجرد ظنون؟ وهل توافرت في هؤلاء صفة العدل المطلوبة في الشهود؟

ثم ما الحكم إذا كانت شخصية الأديب مختلفاً عليها بين الناس: ففيهم من يعدّله، وفيهم من يجرحه؟

ثم ألم ينهنا ديننا عن تتبع أخبار الآخرين وعوراتهم؟

ثم هل ستسجل هذه الشهادات عن سلوكيات الأدباء لينتفع بها نقاد المستقبل؟

وأخيراً أليس في هذا العمل إهدار لجزء هائل من طاقة الناقد المسلم في التحسس والتجسس حتى يتعرف على سلوك المبدع المسلم، علما بأن بحثه هذا قد يقوده إلى معلومات غالطة، لا تتفق مع الواقع في شيء.

وأمام هذه الإشكاليات العملية، يبدو أمامنا المعيار الثالث (معيار القيمة الذاتية للنص) وكأنه أقوى المعايير وأقربها إلى العدل، وأيسرها إلى الفهم، وهو ـ كما عرفنا يقودنا مباشرة إلى التعامل مع الإبداع وحده، بصرف النظر عن دين المبدع وسلوكه.

وبذلك يطلق وصف الأدب الإسلامي على:

ـ شعر العصر الجاهلي: إذا ما حمل من القيم ما يتفق مع روح الإسلام وسماته

وأخلاقياته.

أ ـ الإبداعات الأخلاقية أو الدينية التي نظمها أمثال أبي نواس ونزار قباني ـ على الرغم مما قيل في سلوكهما.

أ ـ إبداعات أصحاب الديانات الأخرى من غير المسلمين التي تدور في هذا الفلك.

ويبدو من النظرة العجلى أن تحكيم هذا المعيار يقضي قضاء مبرماً على الإشكاليات التي تثار حول مصطلح الأدب الإسلامي من ناحية التطبيق.

ولكنه ـ في الواقع قد يجرنا إلى إشكاليات أشد وأعتى، على الرغم من البريق الأخاذ الذي يعكسه:

١ ـ لأن الأخذ به بهذه الصورة الفسيحة المطلقة يلغي التميز والتفرد الذي يتسم به (الأدب الإسلامي) وهو تفرد نابع من شخصية المسلم، وتصوره الإسلامي.

٢ ـ والأخذ به بهذا الإطلاق ـ دون قيود ـ يلغي مواصفات الشاعر المسلم عقديا وروحيا وخلقيا وسلوكيا كما وضعتها آية الشعراء، فالشاعر الحق يجب أن يكون من الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وذكروا الله كثيرا، وانتصروا من بعد ما ظلموا».

٣ ـ وقد يفهم من إفراد هذا المعيار بالحكم أنه دعوة ـ ولو ضمنية ـ للتخلي عن سمة الالتزام الإسلامي التي تلزم المسلم بصفة عامة، وحامل الكلمة بصفة خاصة أن يراعي في قوله وفعله القيم الإسلامية العليا النابعة من العقيدة والأخلاق.(١٦)

٤ ـ وأخيرا نجد أن إفراز هذا المعيار بالتحكيم ينطوي على ظلم فادح: إذ يسوي ـ في الحكم ـ بين حسان بن ثابت لسان الدين وشاعر الرسول، وأبي نواس الذي عاش طيلة حياته أو أغلبها سكيراً عربيداً مستهتراً في شعره، وكذلك بين شاعر كعمر بهاء الدين الأميري شاعر الإنسانية المؤمنة، وشاعر كنزار قباني اشتهر بأنه شاعر المرأة والنبيذ والحلمات.

وعملاً على تفادي كل هذه الإشكاليات أرى أن يكون تعاملنا مع رصيدنا الأدبي تعاملاً وسطياً هادئاً: بعيدا عن الإسراف في الترخص لأنه يحمل لونا من الجور على قيمنا الدينية وتراثنا الأخلاقي، وبعيدا كذلك عن التشدد الذي يقترب من التراث.

يقول الإمام محمد عبده «الوسط هو العدل والخيار، وذلك أن الزيادة على المطلوب في الأمر إفراط، والنقص عنه تفريط وتقصير، وكل من الإفراط والتفريط ميل عن الجادة القويمة، فهو شر ومذموم..»(١٧).

وفي نطاق هذه الوسطية يجب أن يكون حكمنا على الشعر والشعراء في العصور المختلفة: ابتداء من العصر الجاهلي، وصولاً إلى عصرنا هذا، وكذلك يجب أن يتسع «المضمون» أو «التصور الإسلامي» للقيم الدينية والإنسانية العليا، حتى لو لم يذكر فيها اسم الإسلام صراحة، فيتسع هذا المضمون لشعر الدعوة الإسلامية والموضوعات التي تنتصر للعدل والشرف والحرية، وتعالج المشكلات الاجتماعية المختلفة.

أما التصنيف فأرى ـ تفادياً للإشكاليات التي عرضناها أن يكون على النحو التالي:

(١) الأدب الجاهلي: كل ما صدر قبل الإسلام أيا كان مضمونه.

(٢) الأدب الفطري أو العضوي: كل ما صدر من أدب قبل الإسلام ويتفق في مضامينه مع التصورات والطوابع الإسلامية.

(٣) أدب الأمة الإسلامية: وهو كل التراث الأدبي للأمة الإسلامية على امتداد العصور ابتداء من بعث النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بصرف النظر عن مضامينه، ومدى اتفاقه أو مجافاته للتصورات الإسلامية.

ويمكن تقييد هذا الوصف فنقول أدب الأمة الإسلامية العربية ـ أدب الأمم الإسلامية غير العربية...إلخ.(١٨)

(٤) الأدب الإسلامي: وهو كل ما صدر عن أديب مسلم متفقاً مع التصور الإسلامي للكون والإنسان والحياة، بصرف النظر عن عصر الأدب.

(٥) الأدب المساير أو الموافق أو الموائم: وهو كل ما صدر عن أديب غير مسلم «ابتداء من عصر النبي ـ صلى الله عليه وسلم» ويتفق مع التصور الإسلامي.

الأدب الفطري أو العضوي: كل ما صدر من أدب قبل الإسلام ويتفق في مضامينه مع التصورات والطوابع الإسلامية.

(٦) الأدب المباح(١٩): وهو أي أدب لا يخالف التصور الإسلامي ـ وإن لم يلتزم به، وذلك يتسع للأدب الجمالي المحض أو أدب التسلية والترويح عن النفس، كالغزل العذري، وبعض المدح والرثاء، ويسميه الأستاذ محمد قطب الأدب المحايد(٢٠)، ويعرفه بأنه الأدب الذي لا يحمل سمات معينة تقربه من المنهج الإسلامي، ولا يحمل كذلك سمات تصطدم بهذا المنهج، وتسير منه في اتجاه مضاد.

(٧) الأدب المجافي أو الساقط أو الخارج أو المارق: وهو كل أدب يخالف صراحة التصور الإسلامي والقيم الإسلامية والطوابع الإنسانية، ويسميه البعض بالأدب المكشوف، وإن غلبت التسمية الأخيرة على الأدب الجنسي، والعقاد يسمى هذا اللون من الأدب الأدب الواقع، أي الساقط.

(٨) صفة الأديب الإسلامي: لا يطلق هذا الوصف، على أي أديب مسلم نظم قصيدة أو قصيدتين أو كتب قصة أو قصتين انطلاقاً من التصور الإسلامي، ولكن يقتصر الوصف على من غلبت «الإسلامية» على إبداعه مثل عمر بهاء الدين الأميري ونجيب الكيلاني.

وتفاديا لإثارة الحساسيات التي نحن في غنى عنها، لا داعي لأن نطلق صفة «أديب غير إسلامي» على مبدع يسير في الخط المناقض مادام مسلما ولو «هوية» فقط، بل نصرف الوصف إلى شعره، فنصف شعره أو بعضه بأنه «خارج» أو ساقط أو مجاف للإسلام... إلخ.وأرى في هذه المرحلة من مراحل بزوغ الأدب الإسلامي ورابطته أن تتسم مواقفنا النقدية ـ نحن الإسلاميين بشيء من السماحة والمرونة، بحيث لا ينال من الثوابت والأطاريح الجوهرية المتفق عليها، ومن ثم لا نمانع في أن يصدق مصطلح الأدب الإسلامي على كل قصيدة نظمها أبو نواس في الزهديات، لأن الشاعر مسلم الهوية، ولأن مضمونها يتفق بل يعبر عن التصور الإسلامي.

لكن الشاعر لم يكن إسلامي السلوك!!

قد يكون هذا صحيحاً، ولكني أحيل القارىء إلى ما قلته في السلوكيات، وتتبعها وتقييمها، وأقول زيادة على ذلك إنني أحكم على قصيدة واحدة أو عدة قصائد للشاعر، لا على أعماله الكاملة، ولا على شخصيته بالمفهوم الشمولي، فلم أزعم أنه «شاعر إسلامي» كحسان بن ثابت، وعمر بهاء الدين الأميري.

ثم لأن الشاعر نظمها ـ على الأرجح، لا في

وقت يقظة فطرية فحسب، ولكن في لحظات إشراق نفسي إيماني انتصرت فيه النفس اللوامة على النفس الأمارة بالسوء، ولو إلى حين.

هذا ما يبدو من ظاهر النص، وما يعكسه هذا الظاهر على الأقل، وهذا الحكم لا يحجر طبعاً على حق الناقد المسلم في استبطان النص وتعمق جُوَّانياته، وبيان ما فيه من صدق فني وحرارة في الشعور، وأمانة في التجربة، ومكان هذا النص بين إبداعات الشاعر... إلخ مما يدخل في نطاق الدراسة المتخصصة. أما في مثل حالتنا هذه فنحن في مقام توصيف نص محدد أبدعه مسلم، وانطلق من تصور إسلامي، واحتضن مضامين إسلامية، والشاعر بعد ذلك حسابه على الله.

ولعل هذا الاتجاه يعفينا من الإشكاليات التي يثيرها المعارضون للأدب الإسلامي مصطلحاً ومضموناً.

المراجع والتعليقات

(١) د. عدنان النحوي: مرجع سبق ٣٤، وانظر بريغش: مرجع سبق ١١٢ ـ ١١٣.
(٢) النحوي: السابق ١٢٠.
(٣) النحوي: السابق: ١٢١.
وانظر كذلك مصطفى عليان: مقدمة في دراسة الأدب الإسلامي ١٢ ـ ١٣.
(٤) الشعراء: ٢٢٤ ـ ٢٢٧.
(٥) د. أحمد محمد علي: الأدب الإسلامي ضرورة ٨٦، وانظر الدكتور الباشا ١٢٥ ـ ١٢٦.
(٦) نشر الحوار في مجلة المسلمون: العدد ٣٩٤ (٢٣/٢/١٤١٣ ـ ٢١/٨/١٩٩٢).
(٧) هو الأستاذ سعيد الكرواني (المغرب) إذ نشر رده في صحيفة المسلمون في العدد الصادر في ٢٧/٤/١٤١٣، أي كان ذلك من قرابة عام، وسيرى القارىء من خلال قراءة الصفحات المقبلة من البحث أن رؤيتي الحالية تخالف ما نشر على لساني.
(٨) رواه مسلم.
(٩) ديوان أبي نواس ٦١٥.
(١٠) السابق ٦١٨، واقرأ مفاجأته لله عندما حج ص ٦٢٣.
(١١) الشوقيات ١/٣٤ ـ وانظر كذلك ميمنة: نهج البردة ١/١٩٠.
(١٢) د. محمد حسين هيكل في تقديمه للشوقيات ١/١٢.
(١٣) الشوقيات ٢/٩.
(١٤) الشوقيات ٢/٧٧.
(١٥) ديوان الخليل ٢/٣٩ ـ ٤٤.
(١٦) انظر د. رأفت الباشا (مرجع سبق) ٣٦.
وكذلك د. صالح بيلو: من قضايا الأدب الإسلامي، وكذلك «الالتزام في الأدب الإسلامي «للدكتور هدارة ١٩ ـ ٣٥ من مجلد بحوث ندوة الأدب الإسلامي.
(١٧) تفسير المنار ٢/٤.
(١٨) انظر: نحو أدب إسلامي: محاضرات للدكتور محمد بن مريس الحارثي ١١.
(١٩) استعرت هذه التسمية من الدكتور عبدالقدوس أبو صالح، انظر مجلة «الدعوة» السعودية ٢٣/٦/١٤١٣.
(٢٠) منهج الفن الإسلامي ٨٣.

المراجع

(١) الأدب الإسلامي: أصوله وسماته: محمد حسن بريغش ـ دار البشير ـ عمان ـ ١٤١٢ ـ ١٩٩٢.
(٢) الأدب الإسلامي: إنسانيته وعالميته، د. عدنان النحوي دار النحوي ـ الرياض: ١٤٠٧ ـ ١٩٨٧.
(٣) الأدب الإسلامي ضرورة، د. أحمد محمد علي دار الصحوة ـ القاهرة ١٤١١ ـ ١٩٩١.
(٤) الأساطير: د. أحمد كمال زكي سلسلة المكتبة الثقافية رقم ١٧٠ ـ القاهرة.
(٥) الإسلامية والمذاهب الأدبية: د. نجيب الكيلاني مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٠١ ـ ١٩٨١.
(٦) تفسير المنار «تفسير القرآن الحكيم»، محمد عبده ط(٣) ـ دار المنار القاهرة ـ ١٩٦٧.
(٧) ديوان أبي نواس: تحقيق أحمد عبدالمجيد الغزالي دار الكتاب العربي ـ بيروت د.ت.
(٨) ديوان الخليل: خليل مطران: دار الكتاب العربي ـ بيروت ١٩٦٧.
(٩) رحلتي مع الأدب الإسلامي: د. نجيب الكيلاني ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ١٤٠٦ ـ ١٩٨٥.
(١٠) الشوقيات: أحمد شوقي: دار الكتاب العربي ـ بيروت. د.ت
(١١) الظاهرة الجمالية في الإسلام: صالح أحمد الشامي ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت ١٤٠٧ ـ ١٩٨٦.
(١٢) في الأدب الإسلامي: تجارب وقضايا: د. محمد الهاشمي ـ دار القلم: دمشق ١٤٠٧ ـ ١٩٨٧.
(١٣) في الأدب الإسلامي المعاصر: دراسة وتطبيق: محمد بريغش مكتبة المنار ـ الأردن: ١٤٠٥ ـ ١٩٨٥.
(١٤) في الأدب والأدب الإسلامي: محمد الحسناوي ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت ١٤٠٦ ـ ١٩٨٦.
(١٥) في التاريخ فكرة ومنهاج: سيد قطب ـ دار الشروق. القاهرة ـ ١٩٨٩.
(١٦) قضية الأدب الإسلامي: د. عبدالقدوس أبو صالح ـ بحث مخطوط.
(١٧) لسان العرب: ابن منظور المصري.
(١٨) مدخل إلى الأدب الإسلامي: د. نجيب الكيلاني الدوحة. قطر ١٤٠٧.
(١٩) مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي: د. عماد الدين خليل ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ١٤٠٧ ـ ١٩٨٧.
(٢٠) معجم مصطلحات الأدب: د. مجدي وهبة ـ بيروت ـ لبنان ١٩٨٦.
(٢١) مفهوم الأدب الإسلامي وخصائصه: د. حسن الأمراني ـ بحث مخطوط.
(٢٢) مقدمة في دراسة الأدب الإسلامي: د. مصطفى عليان ـ دار المنارة ـ جدة ـ ١٤٠٥ ـ ١٩٨٥.
(٢٣) من قضايا الأدب الإسلامي: د. صالح بيلو ـ دار المنارة ـ جدة ـ ١٤٠٥ ـ ١٩٨٥.
(٢٤) منهج الفن الإسلامي: محمد قطب ـ دار الشروق ـ القاهرة ـ ط (٧): ١٤٠٨ ـ ١٩٨٧.
(٢٥) نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد: د. عبدالرحمن الباشا ـ الرياض ١٤٠٥ ـ ١٩٨٥.
(٢٦) الواقعية الإسلامية في الأدب والنقد: د. أحمد بسام الساعي ـ دار المنارة ـ جدة ١٤٠٥.

الدوريات:

١ ـ مجلة البعث الإسلامي: الهند
٢ ـ مجلة «المجتمع» الكويت.
(٣) مجلة «الفيصل» السعودية.
٤ ـ المسلمون: السعودية

الأدب الساقط المارق هو كل أدب يخالف صراحة التصور الإسلامي والقيم الإسلامية

العد والترقيم عند العرب ٥/٤

لم يكن للعرب نظام للأرقام قبل الإسلام
كان للخوارزمي دور كبير في شيوع الحساب الهندي

للدكتور :عبد الستار محمد فيض

الدلالة على الأعداد بالأرقام

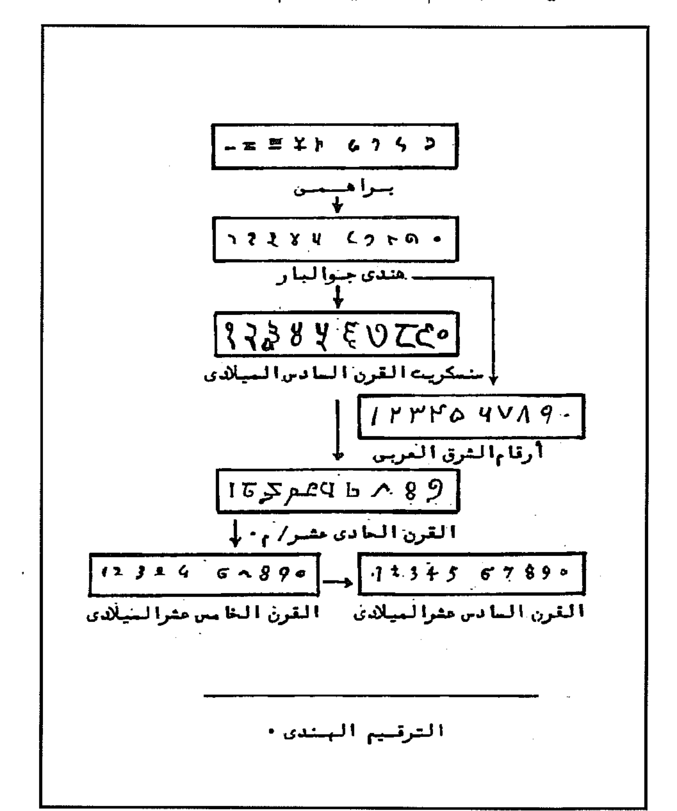
من الثابت تـاريخيا ولا خلاف فيه، أن العـرب لم يكن عندهم نظام لـلأرقام في الفترة السابقـة على ظهور الإسلام، وكـانوا يستخدمـون الحروف الأبجدية للـدلالة على القيمة العـددية، وفي أغلب الأحيان كانوا يعبرون عن الأعداد بالكلمات كما بينا ذلك في الحلقة السابقة.

واستمـر الحال كـذلك إلى مـا بعـد ظهـور الإسـلام، وحتى منتصف القرن الثاني الهجري، فقد كـان للتطور الذي مر به العرب في ظل الإسلام سبب في جعلهم يفكرون بإيجاد طريقة أخرى أيسر وأسهل من طريقـة حساب الجمل أو حساب اليد، وكان لاتصـالهم بالحضـارات القديمـة أثر كبير في اكتشـاف نظـام جديـد لـدى الهنود(١) عنـدمـا تخلصـوا من الرمـوز والحروف، ووضعوا لكل عدد شكلاً يـدل عليه، ويكتسب قيمة من المرتبـة التي يوضع فيهـا، كمـرتبة الآحـاد أو العشرات أو المئات أو الألوف.

وقد تمكن الفلكي محمـد الفزاري(٢) من ترجمة كتـاب هندي في الفلك، واستطـاع نقل فكرة الأعـداد عن الهنـود، ووضـع لها الأشكال التي عليها.

فقد ذكر حسين بن حميد في كتابـه الكبير «نظم العقد» أنه قدم على الخليفـة أبي جعفر المنصـور ببغداد سنـة ست وخمسين ومائة هجرية(٣) أحد المنجمين الهنود واسمـه «كانكا» حاملا معه كتاباً هنديا في علم الفلك، وهو كتاب «سندهانتا» من وضع الفلكي «برامغوبتا»(٤)، ويحتوي هذا الكتاب على أبواب في علم الفلك، ومطـالع البروج وغير ذلك، فأمر المنصـور بترجمة ذلك الكتاب إلى اللغـة العربية، وأن يُـؤلف منه كتاب تتخـذه العرب أصـلا في علم حركـات الكواكب، فتـولى ذلك محمد الفـزاري، وعمل منه كتابا سماه المنجمـون «السندهند الكبير» فكان ذلك بداية دخول النظام الهندي إلى الوطن العربي.

غير أن الـواقع الحقيقي للنظـام الهنـدي لم ينضج إلا على يـد العلامـة محمد بن مـوسى الخوارزمـي الـذي قام بـاختصار كتاب «السندهند الكبير» وإعادة كتابته عام ٢٠٤هـ ـ ٨٢٠م، وذلك بناء على تكليف من الخليفـة المأمون، بيد أن الخوارزمي لم يقف عند هذا الحد، بل أضاف إليه الشيء الكثير، وكشف عن عبقرية النظـام الحسابي الهندي، وتفوقـه الكبير على الأنظمة الحسابيـة الأخرى، ومن أهم صفـاته البارزة، أنـه يعتمد على تسعـة أرقـام فقط يضاف إليهـا الصفـر، وأن قيمـة كل رقم تتوقف على مكانه، فالـرقم ٤ تصبح قيمته ٤٠ إذا كان في خانة العشرات، أو ٤٠٠ إذا كان في خانة المئات، أو ٤٠٠٠ إذا كان في خانة الآلاف، وهكذا إلى ما لا نهاية.



الترقيم الهندي.

وكــان لكتب الخوارزمي أعمق الأثر في شيــوع النظام الهنـدي عند العرب وانتقل بعد ذلك عن طريق عرب الأندلس إلى أوروبا، ويقول صاعد الأندلسي.(٥).

«ولبعد الهنـد عن بلادنــا، واعتراض الممالك بيننا وبينهم، قلت عندنا تآليفهم ولم يصل إلينا إلا طرف من علومهم، ومما وصل إلينا من علومهم في العدد حساب الغبار الذي بسطه أبو جعفر محمد بن موسى الخوارزمي(٦)، وهـو أوجز حساب وأخصره وأقربه تناولا.

ويستنتج من هذا أنـه في عهد المنصـور بدأ اطـلاع العرب على العلم الفلكي الهنـدي، ونقلـه إلى العـربية وبـداية معـرفتهم لأشكال الأرقام الهندية وهي التي استخدمها عرب المشرق.

وفي عهد المأمون أخذوا عن الهند حساب الغبار، وعرفوا أشكال أرقامه وهي التي استخدمها عرب المغرب.

ومن المعـروف تــاريخيــا أن الخوارزمي استخـدم الصـورة المشرقية للأرقام، وأشار في مقدمـة كتابه في الحساب إلى وجود طـريقتين لكتـابـة الأرقـام، وأن هنـاك فـروقـا واضحـة بين الطـريقتين في كتــابـة الأرقــام (٥ و ٦ و ٧ و ٨)، وانتهى إلى استخـدام الصـورة المشرقية التي ســادت دون منـازع معظم بلدان العالم الإسلامي منذ عام ٨٢٠م إلى وقتنا هذا.

ويذكر الإقليديسي في كتابه(٧) أن صور الأرقام المشرقية هي: ١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦، ٧، ٨، ٩، ٠.

أما صور الأرقام المغربية فتتخذ الأشكال التالية:

1 و 2 و 3 و 4 و 5 و6 و7و 8 و 9و 0، أمـا الصفـر فهـو عنـدهما جميعـاً دائرة صغيرة، وقـد صـارت نقطـة في عهد متأخر.(٨)

إن الأرقام التي يستخـدمهـا العـرب الآن جـاءت على شكل الصورة الهنـدية، فبعد أن كـانوا يكتبون الأعـداد بالحروف، وجدوا في طـريقة الهنود سهولـة ويسرا فاستخدمـوا نظامهم، وطوروا أشكال أرقـامهم، ويقال: إن الأرقام (٤ و ٥ و ٦ و ٧ و ٨ و ٩) في أشكـالها الهنـديــة، اشتقت من الحروف الأولى للكلمات المقابلـة لهذه الأرقام في الأبجديـة الهنديـة «البكترية» المستعملة في شمال الهنـد، أما الأرقام الثـلاثة الأولى (١ و ٢ و ٣) فيعتقد أنها جاءت من سحبـة قلم واحدة وسحبتين وثلاث سحبات متوازية.(٩)

غير أن أبــا الـريحان البيروني يقــول: «وليس يجرون على حسابهم شيئـا من الحساب، وكما أن صـور الحروف تختلف في بقاعهم كذلك أرقام حســابهم، والذي نستعمله نحن مأخوذ من أحسن ما عندهم.(١٠) ويعني البيروني بذلك أن الحروف الأبجدية الهنـدية، وكذلك الأرقام اختلفت لـدى الهنود أنفسهم في إقليم ما، عنه في إقليم آخر، وقد تمكن خلال رحلاته المتعددة في الهند أن يتعرف على علومهم ولغتهـم وأن يشرح طريقة أخذ العرب لأرقامهم الهندية.

والمتأمل في الأرقام التي يستخدمها العـرب، يجدها تكاد تكون أقرب شبهاً ومطابقة للأرقام الهندية إلا من تطوير خفيف طرأ عليهـا لتهـذيبهـا وتحسينها، تمامـاً مثلما حـدث في تطـويـر

رقم 1 — زاوية واحدة •
رقم 2 — زاويتان •
رقم 3 — ثلاث زوايا •
رقم 4 — أربع زوايا •
رقم 5 — خمس زوايا •
رقم 6 — ست زوايا •
رقم 7 — سبع زوايا •
رقم 8 — ثماني زوايا •
رقم 9 — تسع زوايا •

الأشكال الهندسية للأرقام كما يراها " كرادي فو".

الحروف العربية.

يقول الأستـاذ قدري طـوفان: «كان لـدى الهنود العـديد من أشكال الأرقام هذب العرب بعضها وكونوا من ذلك سلسلتين، عرفـت إحداهما بالأرقـام الهنديـة وهي التي تستعمل الآن في معظم البلاد الإسلامية، وعرفت الثانية باسم الأرقام الغبارية، وانتشر استعمالها في بــلاد الأنـدلس والمغــرب، وعن طـريق الأندلس وبواسطة المعاملات التجارية والرحلات التي قام بها بعض علماء المسلمين وعن طـريق السفـارات التي كـانت بين الخلفـاء وملـوك بعض البلاد الأوروبيـة دخلت هـذه الأرقـام أوربا وعرفت فيها باسم الأرقام العربية.(١١)

ويقول الأستــاذ بسام الجابي: «يستعمل العرب اليـوم نوعين من الأرقام، الأرقام التي تسمى بالأرقام الهندية، والأرقام التي تسمى بالأرقام الغبارية أمـا الأرقام الهندية فاسمها يشير إلى أصلها، فهي رمـوز استعملها الهنـود وأخذهـا عنهم العرب في المشرق بحكم المجاورة، وقد اعتمدت وراجـت لسهولة تداولها ويسر استعمالها، ومناسبتها لطريقة الكتابة العربية، ولمخالفة أشكالها أشكال الحروف العربيـة حيث يؤمن اللبس بين الرقم والحرف، وأمـا أشكالها فلم تكن على مـا استقرت عليـه الآن، وإنما أخذ العـرب الشكل الهندي وقـاموا بتطـويره وتعـديله ليناسب الحرف العــربي وطـريقـة كتـابتـه، وأصبح الشكل النهائي لهذه الأرقام.

أما الأرقام الأخرى «الغربية» التي تسمى بالأرقام الغبارية، فكانت عادة تستخدم في إجراء العمليات الحسابية بواسطة التخت والرمل، ومن هنا أطلق عليها لفظ «الغبار» فكان الحاسب ينثر الرمل أو التراب على التخت ثم يخط الأرقام على الرمل بأصبعه أو بعصا صغيرة أو بوصة، ويجري كل عملياته الحسابية القابلة للمحو والكتابة والتعديل حتى يصل إلى النتيجة المطلوبة.

وكان انتشار هذه الأشكال في المغرب أكثر منه في المشرق، ويرجح أن الطريقة الغبارية وجدت إلى جانب الطريقة المشرقية خلال المدة من ٣٧٣م، حين دخل النظام الهندي إلى بغداد عام ٨٢٠م عندما وضع الخوارزمي كتبه في الحساب ويرجح كذلك أنها انتقلت خلال هذه المدة غرباً إلى بلاد الأندلس بواسطة التجار واستقرت في بلاد المغرب، وسارت في طريقها مستقلة عن الطريقة المشرقية.

أصل الترقيم العربي والاختلاف فيه

لا شك أن الأرقام المستعملة في المشرق باسم الأرقام الهندية، أو المستعملة في المغرب باسم الأرقام العربية، هي هندية الأصل، لكن هناك عدد من الباحثين يشك في هذا الأصل، ولا يأخذ به.

يقول الأستاذ محمد سراج: «إن الأرقام الحسابية الجاري العمل بها في البلاد المغربية هي من وضع عربي مغربي، لأن عرب المغرب لم يتصلوا بالهنود أما الأرقام المشرقية فهي أرقام هندية».(١٢)

كذلك تناول الأستاذ سالم محمد الحميدة نفس الموضوع(١٣)، وهو يتفق مع الأستاذ سراج في أن الطريقة المغربية أو الغبارية ابتكار عربي بحت لا يمت إلى الهنود بصلة، ولكنه يختلف معه في أصل الطريقة المشرقية، فهو لا يذهب مذهب الأستاذ سراج في أنها منقولة عن الهنود، ويرى أنها هي الأخرى ابتكار عربي منقول عن الطريقة المغربية، وقد أطلق عليه العرب اسم الأرقام الهندية إكراماً منهم للهنود الذين كان لهم الفضل في وضع النظام العشري للأرقام.(١٤)

إن الأستاذ حميدة وغيره ممن يرون أن هذه الأرقام عربية بحتة، ومن وضع عربي خالص، وأن ما جاءهم من الهند إنما هو النظام الحسابي العشري فقط، أما شكل الأرقام وهيئتها فهي عربية محضة، ويبنون رأيهم هذا على أن كثيراً من الرسائل اللاتينية المنسوبة للخوارزمي أو المقتبسة منه يتبين منها أنه: لا الأرقام التي نقلتها تلك الرسائل اللاتينية المنسوبة للخوارزمي هندية، ولا الحساب الذي تصفه هو الحساب الهندي الذي نجده في المخطوطات العربية الكثيرة، وينقض هذا الرأي وجود كتب عربية توالت بعد الخوارزمي وكلها تجمع على أن الأرقام المستخدمة هي نفسها أرقام الحساب الهندي، ومن هذه الكتب كتاب «الفصول في الحساب الهندي» للأقليديسي(١٥) وقد وضعه في دمشق عام ٣٤١هـ، أي في القرن العاشر الميلادي، وكتاب «أصول حساب الهند للجيلي»(١٦)، وكتاب «التكملة في الحساب للبغدادي»(١٧)، وغيرها كثير.

والأدلة التاريخية تؤكد أن البيروني والخوارزمي هما أول من نقل هذه الأرقام بصورتها الأولى من الترقيم الهندي، ولو كان هناك ابتكار أو اختراع منسوب لعالم عربي لأشار إلى ذلك أي من هذين العالمين الرياضيين.

ولم يعلل أحد من أنصار نظرية أن « أصل الأرقام عربية» سبباً واحداً لتسمية أرقامهم بالأرقام الهندية إلا ما ذكره الأستاذ سراج من باب عرفان الجميل للهند، وأكثر هؤلاء المحدثين يستخدمون ألفاظ: «تطوير العرب للأرقام، نشرهم لها، تهذيبهم)... إلى غير ذلك، ولا يستخدمون لفظ «ابتكار أو اختراع» وان أطلق بعضهم لفظ الابتكار أو الاختراع فإنه لا يستطيع أن ينسب ذلك إلى شخص بعينه أو عصر معين أو حتى الإشارة إلى تاريخ قريب من زمن ظهور هذا الاختراع.

كما أن لفظ «الأرقام العربية» الذي تسمت به الأرقام الغبارية ليس بسبب اختراعها العربي، وإنما هو وصف أوروبي، أطلقه الأوروبيون عليها لأنهم أخذوها من العرب، تقول المستشرقة الألمانية في كتابها «شمس العرب تسطع على الغرب» ص ٦٨: «كل الأمم المتحضرة تستخدم اليوم الأرقام التي تعلمها الجميع عن العرب ولولا تلك الأرقام لما وجد هذا الصرح الشامخ من علوم الرياضة والطبيعة والفلك ولقد كرمنا هذا الشعب الذي منّ علينا بذلك الفضل الذي لا يقدر حين أطلقنا على أرقام الأعداد عندنا اسم «الأرقام العربية».

ويقول «ديورانت»: إن أهم ما ورثناه عن الشرق الأعداد العربية، أو النظام العشري، وقد جاءنا كلاهما من الهند على أيدي العرب، فإن ما يسمى خطأ بالأعداد العربية نراها منقوشة على صخرة المراسيم التي خلفها «أشوكا» عام ٢٥٦ قبل الميلاد أي قبل استخدامها في الكتابات العربية بما يقرب من ألف عام.(١٨).

وجاء في الموسوعة البريطانية شرحاً لآثار «أشوكا»، بأنها تعود إلى القرن الثالث قبل الميلاد، وهي تحمل شيئا قريب الشبه من الأرقام الثلاثة (١و ٤ و ٦) وأما الأرقام (٢و ٤ و٧ و٩) فقد ظهر أيضاً ما يشبهها في «نانا تشات»، وفي كهوف «ناسيكا» وردت أشكال لأرقام من ٢ ـ ٩، تعود إلى القرن الأول الميلادي.(١٩)

وكان البارون «كرادي فو» صاحب كتاب «مفكرو الإسلام» من أبرز من دعا إلى تجريد الهنود من كل فضل لهم في ابتكار الأرقام الهندية والحساب الهندي، وكان يذهب إلى أن هذه الأرقام ابتكارات عربية، وقد اتخذ رأيه هذا بعد عثوره على نص عربي يسمى «الحساب الهندي بالطريق الهندسي»، فظن أن الهندسي نسبة إلى الهندسة،

ومن ثم دعا إلى أن كل ما يرد في المخطوطات العربية باسم حساب هندي أوحروف هندية أو أرقام هندية ينبغي أن يفهم على اعتبار أنه حساب هندسي وحروف أو أرقام هندسية، ثم وضع نظرية في هذا الإطار الذي ذهب إليه، ومؤداها أن ما نسميه بالأرقام الهندية أو العربية إنما هي في الأصل أشكال هندسية ابتكرها محمد بن موسى الخوارزمي ثم حورت لتلائم الكتابة باليد، وجمح الخيال وراء تب[illegible]كن، أن تكون هذه الأشكال الهندسية، وكان ما استقر عيـ[illegible]حظي بالانتشار لبساطته وطرافته المجموعة الغبارية «الأوروبية حاليا» والتي تكتب من اليسار إلى اليمين، فعدد الزوايا في كل شكل منها يدل على رقمه، ففي الواحد زاوية واحدة، وفي الاثنين زاويتان، وفي الثلاثة ثلاث زوايا وهكذا إلى الرقم تسعة ففيه تسع زوايا، ورغم طرافة هذا الافتراض لم يقبله الباحثون إذ لم يعثروا على أشكال مكتوبة على هذا النحو الهندسي الرتيب،ولم يلبث أن تبين أن ديفو كان واهماً إذ إن عبارة «الطريق الهندسي» التي وردت في عنوان النص إنما هي «الطريق الهندسي» أي هندوسي نسبة إلى الهندوس، لا إلى الهندسة، وهكذا بادت نظرية «دي فو» وإن كانت لا تزال تتردد على ألسنة بعض من لا يعرفون.

ويفترض «فيكي» في نظريته أن اتصالا تم من قديم قبل الميلاد بين الهنود والفيثاغوريين عن طريق التجارة كان من جرائه أن أخذ الفيثاغوريون من الهنود هذه الأشكال وأكملوها بوضع رمز للصفر، ثم ظلت هذه الطريقة تستعمل على نطاق ضيق إلى أن اكتشفها العرب ونشروها، ثم جاءت الدراسات العلمية لتثبت أن كل هذا الذي ذكره فيكي إنما هو إضافات متأخرة، وأن المدرسين الكنسيين نسبوها إلى الفيثاغوريين ليكتموا عن طلابهم أنها أخذت من المسلمين.

ويقول الدكتور أحمد سليم سعيدان: «نحن لدينا من النصوص ما يؤكد الأصل الهندي لهذه الأرقام، إلا أن الأجيال السابقة من المؤرخين لم يطلعوا على كتابات اليعقوبي والبيروني والإقليديسي وغيرهم، فشكوا في صحة هذه التسمية.(٢٠)

إن هذا النوع من الدراسات يفتقر بصورة واضحة إلى المنهج العلمي في البحث التاريخي لأصول الأرقام، فإنه مما يلفت النظر في هذه الدراسات أن أصحابها لا يكلفون أنفسهم مشقة الرجوع إلى المراجع العلمية المعتمدة في تاريخ الرياضيات، واعتمدوا على بعض المراجع العربية وخصوصا المغربية منها، وكلها جاءت متأخرة في القرن الثالث عشر الميلادي وما بعده.(٢١)

وكذلك مما يلفت النظر أن أصحاب هذه الدراسات لا يرجعون إلى الأصول الهندية في كتابة الأرقام للتحقق من مدى صواب النظرية التي ينادون بها ولو أنهم فعلوا ذلك لاستبانوا بسهولة خطأ الاستنتاجات التي انتهوا إليها.

إن الأدلة التاريخية تبرهن بأن كلا من النظامين الشرقي والغربي يرتكز على تطوير فكرة الأعداد الهندية، ويعود الفضل للعرب في انتشار استخدام النموذجين واستعمالهما في عدهم وأعمالهم الحسابية.

إن أشكال الأرقام المستعملة الآن سواء الشرقية منها أم الغربية قد تطورت كما تطورت الحروف الأبجدية للغة العربية، ومن هذا يتضح ويظهر أن هذين الشكلين جاءا من أصل واحد هو الأرقام الهندية القديمة، وليس كما يعتقد البعض أنها من وضع عربي، أو ابتكار عربي. ■

الهوامش

(١) سوف يتم شرح هذا النظام في الحلقة القادمة إن شاء الله.

(٢) هو محمد بن إبراهيم الفزاري الكوفي، مخترع الاسطرلاب وكان عالماً بالنجوم توفي عام ١٨٠هـ/ ٧٩٦م (الفهرست لابن النديم/ ص ٣٣٩).

(٣) أحمد مطلوب/ الأرقام العربية / ص١٢.

(٤) سعيد النجار/ أرقام الحساب / مجلة العربي/ عدد ٣٤٥/ ١٩٨٧/ ص١١٦.

(٥) صاعد الأندلسي / طبقات الأمم/ ص٥٧.

(٦) توفي عام ٢٣٢هـ/ ٨٤٧م.

(٧) الأقليديسي/ الفصول في الحساب الهندي.

(٨) أحمد سليم سعيدان/ علم الحساب عند العرب/ مجلة عالم الفكر/ م٢ع١ ص ١٧٧.

(٩) أحمد فهمي أبو الخير/ علوم العرب الرياضية / ص١٧و ١٨.

(١٠) البيروني/ تحقيق ما للهند من مقولة / ج١ ص ١٣٦.

(١١) قدري حافظ طوقان / تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك / ص٢١ ـ ٢٤.

(١٢) محمد سراج/ الطابع العربي في الأرقام الرياضية / مجلة اللسان العربي / يناير ٦٥.

(١٣) سالم محمد الحميدة/ الأرقام العربية ورحلة الأرقام عبر التاريخ / ص ٧٨ ـ ٨٢.

(١٤) سعيد التجار/ أرقام الحساب / مجلة العربي / العدد ٣٤٥ أغسطس ٨٧ ص ١١٧.

(١٥) هو أبو الحسن أحمد بن إبراهيم الأقليديسي سمى بالأقليديسي بسبب نسخه لكتاب إقليدس.

(١٦) هوكوشياربن لبان الجيلي، وكتابه مخطوطة برقم ٤٨٥٧ في مكتبة جامع آيا صوفيا.

(١٧) هو أبو منصور عبدالقاهر بن طاهر بن محمد بن عبدالله البغدادي، ٤٢٩هـ/ ١٠٣٥م.

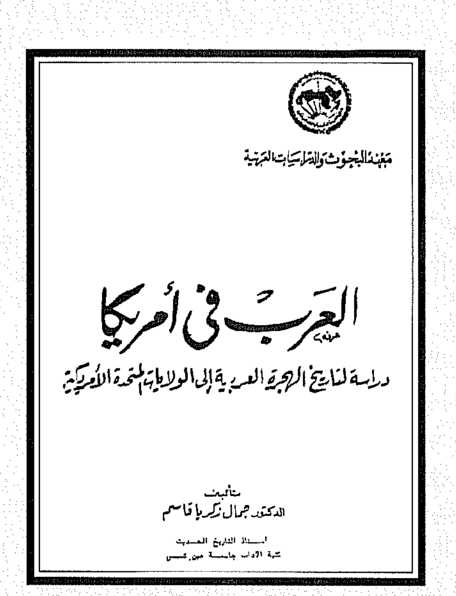
(١٨) ويل ديورانت/ قصة الحضارة/ ج٣ ص ٢٣٦ و ٢٣٧.

(١٩) الموسوعة البريطانية / مجلد ١٩ و ٧٥٩.

(٢٠) أحمد سليم سعيدان / قصة الأرقام والترقيم / ص ٧٢.

(٢١) سعيد النجار/ أرقام الحساب/ ع٣٤٥ أغسطس ٨٧ ص ١١٨.





تأليف:أ.د/ جمال زكريا قاسم

عرض وتقديم : أحمد أبو الدهب محمود

عن معهد البحوث والدراسات العربية التابع لجامعة الدول العربية صدر أخيراً هذا الكتاب القيّم من تأليف الاستاذ الدكتور جمال زكريا قاسم استاذ التاريخ الحديث في جامعة عين شمس وهو واحد من قلائل اساتذة التاريخ الحديث الذين تتميز كتاباتهم بالرصانة والعمق والموضوعية والاستقصاء الرائع.

يقع الكتاب في «ثلاثمئة وتسعة عشر صفحة» من القطع المتوسط ومذيل بقائمة تربو على مئة وخمسين مرجعاً ومصدراً عربياً واجنبياً مابين كتب ومذكرات ورسائل جامعية ودوريات وقد قدم للكتاب المفكر المصري الوزير السابق المعروف الدكتور محمد صفي الدين أبو العز.

ويتكون الكتاب من تسعة فصول خصص المؤلف الفصل الاول منها لعرض مصادر دراسته مبتدئاً بعرض الرسائل الجامعية العديدة التي قدمت الى الجامعات حول الهجرات العربية الأولى الى الولايات المتحدة الامريكية.

واشار المؤلف الى صعوبة تتعلق في هذا النوع من المصادر وهي عدم نشر الكثير من تلك الرسائل كما ان الكتب والصحف التي اصدرها المهاجرون الاوائل الى الامريكيين لم يقدر لها ان تحفظ حفظاً جيداً مما عرّض كثيراً منها للضياع ثم بدأ المؤلف استعراض مابين يديه من مصادر استعراضاً تفصيلياً نقدياً موضوعياً.

أما الفصل الثاني وعنوانه (الرواد العرب الأوائل) فقد تناول فيه المؤلف اسباب تأخر معرفة العرب بالعالم الامريكي والارساليات التبشرية وما قدمته للسوريين من معارف، وأثر قدوم السياح والحجاج الامريكيين الى بيت المقدس في تشجيع الهجرة العربية والرواد العرب في العالم الجديد والعلاقات العربية الامريكية والوفود العربية الى امريكا وانطونيوس البشعلاني والحاج علي رائدا الهجرة العربية الى امريكا وتجارة الأيقونات والمعارض الاميركية واثرها في دفع ارهاصات الهجرة واسرة عربيلي.. الرائدة في مجال الهجرة العربية الى الولايات المتحدة الامريكية، وفي الفصل الثالث وعنوانه(الهجرات العربية الاولى ودوافعها) انتقل المؤلف الى دراسة الاوضاع الاقتصادية في بلاد الشام في النصف الثاني من القرن التاسع عشر والتعسف في جمع الضرائب وفقر الانتاج الزراعي وانهيار الصناعة والتأثير الاقتصادي لافتتاح قناة السويس على التجارة السورية والدوافع الدينية والمذهبية والصراعات بين الطوائف ونشأة نظام المتصرفية ومساوئه والضغوط السياسية والفكرية والوعي الثقافي والاجتماعي كعامل محرك للهجرة وأثر المؤسسات التبشرية والسياح الامريكيين في تشجيع الهجرة وقانون « همستد» وتوسع الاقتصاد الامريكي وجذبه للهجرات الجديدة وتأثير المهاجرين على اقربائهم وذويهم.

اما في الفصل الرابع وعنوانه (الاوضاع الاجتماعية للمهاجرين العرب الاول) فقد تناول المؤلف بالبحث والتحليل عدة موضوعات منها الصدمة الحضارية للمهاجرين العرب للمجتمع الامريكي وتكوين التجمعات العربية الخاصة واهم سماتها والجالية السورية في نيويورك والتأثيرات الاقتصادية والاجتماعية للهجرة العربية على بلاد الشام والهجرة بين مؤيديها ومعارضيها وتطور قوانين الهجرة الامريكية وهجرة المرأة السورية ودورها الاقتصادي والاجتماعي والتجارة السورية وتطورها والمجالات الصناعية والزراعية والمهنية للمهاجرين العرب الأول وقد خصص المؤلف الفصل الخامس وعنوانه(الصحافة والأدب والثقافة) لدراسة اثر

هذه العوامل الثلاثة في واقع الحياة الثقافية داخل المجتمع الامريكي وركز المؤلف بصفة خاصة على نشأة صحافة المهجر وتنوع اتجاهاتها الطائفية والمذهبية واهتماماتها والقضايا التي اثارتها وتطورها وتأسيس الرابطة الاقليمية في نيويورك ١٩٢٠ والحركة الادبية في المهجر واهم سماتها الرواد من الأدباء والمفكرين والاكاديميين العرب.

وخصص المؤلف الفصل السادس وعنوانه (النشاط السياسي) لدراسة دور المهاجرين العرب في الحركات القومية والاصلاحية في المشرق العربي للتصدي للحملات المعادية للعرب في المجتمع الامريكي وقضية الجنسية والاصول العرقية ومشاركة المهاجرين العرب في المؤتمر العربي في باريس سنة ١٩١٣ وموقف المهاجرين العرب من القضايا العربية المطروحة في مؤتمر الصلح في باريس سنة ١٩١٩ ودعاة الوحدة السورية والكيان اللبناني والبحث عن الهوية اللبنانية والقضية الفلسطينية ومحاوله تخطي النزاعات الاقليمية والطائفية ومقارنة بين النشاط السياسي العربي واليهودي على الساحة الامريكية.

اما في الفصل السابع وعنوانه (المسلمون العرب والمؤسسات الاسلامية) فقد استعرض المؤلف الهجرات العربية الاسلامية ودوافعها واسباب تأخرها والمراحل المختلفة التي مرت بها والمؤسسات الاسلامية الاولى والمجموعة العربية الامريكية بين التفكك ومحاولات التماسك ونمو المؤسسات الاسلامية والحركة الاسلامية في الولايات المتحدة الامريكية واهدافها الدينية والسياسية.

وفي الفصل الثامن وعنوانه (هجرة الكفاءات العربية) يستعرض موضوعات في غاية الأهمية وهي البدايات الاولى لهجرة الكفاءات العربية وقيود الهجرة الامريكية وآثارها في تحديد نوعية الهجرات العربية وهجرة العقول العربية واسبابها ومساهمة مصر في هجرة الكفاءات العلمية والمهنية ومراحل الهجرة المصرية ودوافعها والجالية القبطية في المهجر الامريكي والروابط المؤسسية بين مصر وأبنائها في الولايات المتحدة والدول العربية الاخرى واسهاماتها في هجرة الكفاءات العلمية والمهنية وروابط المهاجرين العرب بأوطانهم الأولى.

أما في الفصل التاسع والأخير من الكتاب وعنوانه(التنظيمات العربية الامريكية) فقد خصصه المؤلف ليتناول فيه المجموعة العربية الامريكية بين عوامل التنافر والتماسك والتنظيمات العربية الامريكية ودوافع قيامها واتحاد خريجي الجامعات الامريكية العرب ودور الاتحاد على الساحتين العربية والامريكية والرابطة القومية للأمريكيين العرب واللجنة العربية الامريكية لمكافحة التميز والمؤسسات العربية الامريكية ذات الطابع العلمي والثقافي والاجتماعي والتنظيمات اليهودية الامريكية ومواجهتها للتنظيمات العربية الامريكية وعوامل ضعف المجموعة الامريكية واسباب فشلها في التحول الى قوة ضغط سياسية.

والسؤال الذي يطرح نفسه لدى قارىء هذا الكتاب هو: هل هناك اثر للقوة العربية في السياسة الامريكية؟

يقول المؤلف: ان العرب الامريكيين يعملون في ثلاث جهات تهدف الى ماياتي:

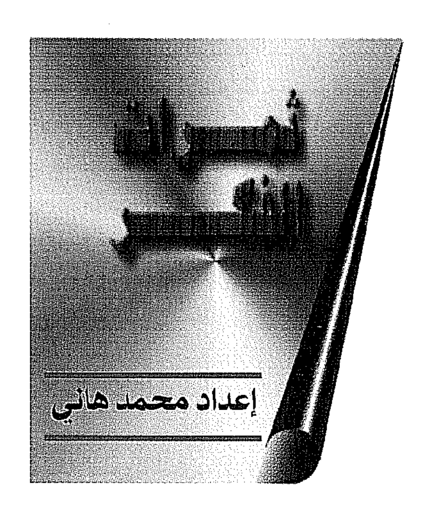
أولاً: تحويل الوجود العربي في الولايات المتحدة الى نفوذ سياسي.

ثانيا: التصدي لتشويه صورة العرب في وسائل الاعلام الامريكية

ثالثا: تحقيق توازن في السياسة الامريكية في الشرق الاوسط.

وقد تستطيع تلك الاهداف ان تحرز شيئاً من النجاح خاصة في تلك المرحلة التاريخية التي تتميز بكثرة الانظمة العربية التي تتسم بطابع الاعتدال من حيث علاقتها بالولايات المتحدة الامريكية هذا بالاضافة الى التماسك الذي يمكن ملاحظته في كيان المجموعة العربية التي بدأت تتجه الى الترابط فيما بينها بحيث اصبح في الامكان الحديث عن مجموعة عربية امريكية لها اهدافها وشخصياتها بدلاً من الحديث عن جاليات اقليمية متعددة كما كان عليه الحال في الماضي.

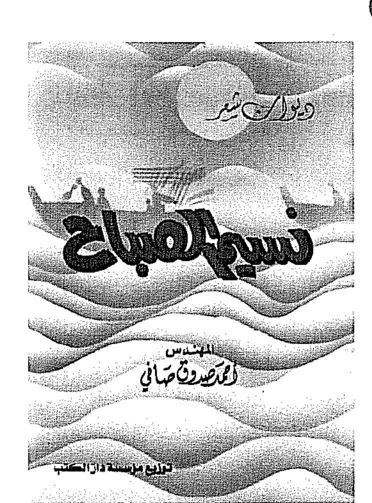
وعلى الرغم من الجهود الكثيرة التي تبذلها كثير من الانظمة العربية لربط ابنائها المهاجرين بأصولهم الوطنية الاولى وماتهدف اليه من توثيق العلاقات بينهم إلا ان الخطأ الذي تقع فيه بعض تلك الانظمة يرجع الى تحميل ابنائها المهاجرين اكثر مما يحتمل وبمعنى اكثر صراحة ووضوحاً يمكن التأكيد هنا الى ان أي محاولة للتعامل معهم باعتبارهم اداة تلقائية للنظام السياسي ستصاب بالفشل الذريع وذلك للسبب البسيط وهو انهم اصبحوا امريكيين بحكم ارتباط مصالحهم با لمجتمع الامريكي وبحكم حصولهم على الجنسية الامريكية ومن ثم ينبغي ان يتم التنسيق معهم من هذا المنطلق الذي لايتعارض مع اصولهم العربية وانتماءاتهم الجديدة وبصدد ذلك يصرح احد العرب الامريكيين وهو جورج نايفه رئيس مجلس الشؤون العربية الامريكية بأنني امريكي اخدم مصالح بلادي- الولايات المتحدة- عن طريق تحسين علاقاتها بالدول العربية والسعي مع آخرين لدفع واشنطن الى اتخاذ موقف متوازن بين العرب واسرائيل وتبقى كلمة: ان هذا الكتاب يسد فراغاً هائلاً في المكتبة العربية ويخدم العديد من التخصصات الفكرية فما اجدر المثقفين العرب للالتفات اليه ودراسته. ■



(والذين اهتدوا) برنامج يخاطب النجوم

هل من الممكن ان يشكل لقاء بالفيديو مع بعض النجوم عملا فنياً جذاباً ومؤثراً؟
الجواب: نعم.. وشريط «والذين اهتدوا» هو مثال على ذلك إذ طرح لقاءين متميزين مع نجمتين من نجوم اهل الفن وهما :عفاف شعيب وزيزي مصطفى تتحدثان فيهما عن رحلتهما الى عالم الهداية بعد اعوام من الهرولة وراء المجد والشهرة والمال.. وإذ بكل ذلك هباء ولا ملجأ إلا في ظلال الإيمان.
انها رحلة طويلة مثيرة مقلقة ولكن النهاية جاءت انتصاراً لصوت الفطرة على نداء الزيف، ولصوت اليقين على نداء الأوهام!
ويبدو ان السلسلة التي انتجتها في جدة مؤسسة سنا للانتاج والنشر والتوزيع طويلة وستتناول مستقبلاً بعضا من رجال الفكر والرياضة من المسلمين وغيرهم الذين عادوا الى الله ووجدوا في حماه الملجأ والملاذ.
فمرحباً بهذا الإصدار شعلة مضيئة للشباب والشابات تساهم في إثراء مشاعرهم وتنوير قلوبهم.

نسيم الصباح



صدر مؤخراً عن مؤسسة دار الكتب -الكويت- ديوان شعري بعنوان «نسيم الصباح» للشاعر: المهندس أحمد صدوق صافي- يقع الديوان في حوالي ١٨٨ صفحة من القطع المتوسط «يضم بين ثناياه ٤٨ قصيدة شعرية نظمها الشاعر بين عامي ١٩٦٧م-١٩٩٤م كان ملتزماً في معظمها بالشعر التقليدي شعر القافية وقد قسمها من خلال الكتاب الى ثلاثة اقسام اخذ كل قسم سمة معينة فجاءت الاقسام على شكل همسات دافئة، ظلال وارفة ألحان موحية وقد جاءت القصائد في مجملها معبرة عن صدق العاطفة والأحاسيس وتوقد الخيال وعمق الشعور الدفاق والوقوف على الحق والالتصاق بهموم الناس ومشاعرهم.

تنمية الذكاء الانساني

كتاب جديد للدكتور: عبد الرحمن العيسوي يقع في حوالي ٣٢٥ صفحة من القطع الصغير



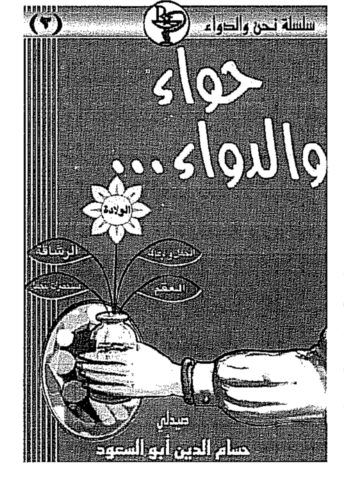
وهذا الكتاب هو الرابع في سلسلة الفلسفة والعلم الصادرة عن الهيئة العامة لقصور الثقافة القصر العيني /القاهرة وهذا الكتاب يقدم لنا رواية علمية عميقة لتنمية الذكاء البشري وتفاعلها الخلاق مع التقدم العلمي والتقني من خلال مباحث متنوعة تشير الى اعتمادها على النظريات الحديثة للذكاء وعلى التجارب العلمية الراصدة لحقيقة وتطوير هذا الذكاء سواء في عقل الانسان او تفكيره او سلوكه او ابداعه، كما يبحث الكتاب في امكانية المواءمة العلمية لتطور الذكاء الانساني مع طبيعة العقل البشري المعاصر لما يخدم التقدم الانساني والفكري في المستقبل.

تنمية الذكاء الإنساني

د. عبد الرحمن محمد العيسوي

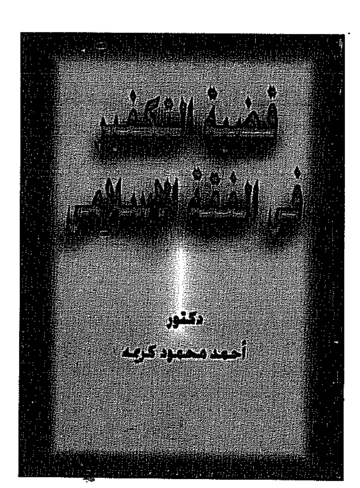


حواء والدواء



هو الكتاب الثاني من سلسلة «نحن والدواء» والتي تتناول الثقافة الدوائية باللغة العربية بهدف توعية جمهور المتعاملين مع الدواء لتجنب الاضرار الناتجة عن سوء الاستخدام والمساهمة في ترشيد استهلاك الدواء بعد ان زادت معدلات استهلاكه بصورة كبيرة.
وهذا الكتاب من تأليف حسام الدين ابو السعود الصيدلي الاول بمستشفى الملك فيصل التخصصي بالرياض ومستشار تحرير مجلة الصيدلة في الشرق الاوسط التي تصدر في لندن باللغة الانكليزية، والكتاب يتناول كل مايهم« حواء» وماتريد معرفته عن الأدوية وتأثيراتها في مراحل عمرها المختلفة مثل المراهقة والحمل والرضاعة وسن اليأس الخ. بالاضافة الى دور الأدوية في علاج العقم.. كما تطرق الكتاب الى مايهم «حواء» مثل البدانة واسبابها وطرق الوصول الى الرشاقة. الخ.
ويأتي هذا الكتاب بعد الكتاب الأول «الدواء شفاء وداء» والذي لاقى استحساناً من عامة القراء ومن بعض المسؤولين في الحقل الصحي بعد نشره وتوزيعه في كل من المملكة السعودية ومصر.

قضية التكفير في الفقه الإسلامي



كثيرا ماتضيع حقائق، وتغيب جواهر بين الركام، وتتشابه اشباح في الظلام، ويصبح الدين الحق عرضة للاجتراء من كارهيه، وللافتراء من بعض منسوبيه!!وإسلامنا الحق جوهرة ثمينة نفيسة، دواء لكل داء، قد اشتبه بين أفراد فغالى به فريق فشوهوه!! وفرط فيه افراد فعابوه!! ولصد عوادي« الاجتراء والافتراء» على الدين الحق، جاء كتاب «قضية التكفير في الفقه الإسلامي» - لمؤلفه - الدكتور: احمد محمود كريمة استاذ الفقه الاسلامي المقارن في جامعة الازهر بالقاهرة -مساهمة طيبة في المنافحة والمدافعة عن حقائق وأصول الاسلام وشرف وعرض والتزام المسلمين.

واهمية الكتاب الذي يقع في حوالي ٣٢٥ صفحة من القطع الصغير تظهر في التناول الفقهي الأمين وفق القواعد العلمية المعتبرة والمعتمدة، المعنية بالأدلة الواضحة والبراهين الناصعة والحجج الساطعة بما لايدع مجالا لمعاند او مكابر نفث سمومه وروّج مزاعمه ونشر مفترياته، ذلك ان الكتاب يوضح بحيدة علمية وامانة مرعية القضية التي استشرى خطرها، وتطاير شررها في المجتمعات الإسلامية، واتخذت ذريعة للخروج على نظم الحكم ومؤسساته، وللمروق من جماعة المسلمين، فكان الاستحلال والسلب والنهب والقتل والعنف، وتشكيل فرق تكيد لأمتها ظلما وزورا، واتخذت سلاحا للتشهير بالأبرياء ووصمهم بالكفران ودمغهم بالخسران!!

وانتهز من انتهز هذا الخروج والمروق مع ماصاحبه من عواقب العنف المسلح باليد واللسان فرصة للتواثب على صحيح الثوابت الشرعية، فولج بوسائل عديدة يحاول هز الثقة في اصوليات الدين وقواعده!! فهذه القضية «التكفير» تعالج اتجاهين:

اتجاه «تكفير» الحاكم والمحكومين دون مسوغ علمي معتبر معتمداً،اتجاه الافتراء على اصول وثوابت الدين والتزام المسلمين، وغير خاف على ذي بصر وبصيرة: أن الاتجاه الاول ابرز من فيه اعضاء فرق الجماعات واصحاب التطرف المنسوب إلى الدين. والاتجاه الثانيّ ابرز من فيه أذناب الإلحادية والعلمانية!! وهذا التفرد العلمي للكتاب انه لفريقي «الاجتراء والافتراء». ومحتويات الكتاب- اجمالا- توضح «التكفير» حقيقته، موجباته، اركانه، شروطه، موانعه، مظاهره، آثاره، من وجهة نظر الفقه الإسلامي المقارن في سفر متناسق!! يفند دعاوى الذين غالوا في الإسلام الحق فشوهوه! والذين فرطوا فيه فعابوه!، وذلك في افتتاحية ،وتمهيد، وبابين، وخاتمة.

وقد عنى الكتاب بمناقشة فكر الجماعات الخارجة المارقة من واقع كتبهم مثل كتيب «الفريضة الغائبة» وفكر المغترين بدعوى «حرية الفكر»!

واشتمل الكتاب على مايقرب من ثمان وسبعين مسألة فقهية مقارنة مع ايراد الرأي الراجح لقوة دليله او تحقيقه مصلحة أو دفعه مفسدة وذلك في ثلاث مئة وعشرين صفحة من القطع المتوسط.

● والكتاب على ضوء ماسلف جديد في مادته وجمعه وعرضه ومنهاجه، بذل فيه مؤلفه الدكتور أحمد محمود كريمة «الداعية الإسلامي» جهداً مضنياً في توثيقه وترتيبه وصياغته، دفاعا عن الاسلام والمسلمين، وهو بهذا أضاف اضافة جادة الى المكتبة الاسلامية.

● لعل مؤسساتنا العلمية والمعنية بتربية وتوجيه الشباب تعتني بتوفير الكتاب بطبعات قريبة التناول والتداول.

والله ولي الموفق

أخبار ثقافية

● قال شوقي ضيف رئيس مجمع اللغة العربية في القاهرة:إن لجنة المعجم الكبير بدأت عملها في حرف الخاء، وان المجلد الخاص بحرف الحاء والذي انتهى العمل منه في نهاية العام الماضي لايزال تحت الطبع، والمعجم الكبير هو الاكبر في سلسلة معاجم عامة يصدرها المجمع، اذ سبق ان اصدر المعجم الوجيز في مجلد واحد من القطع المتوسط ثم اصدر المعجم الوسيط في مجلدين من القطع الكبير.

يقول بدوي طبانة عضو المجمع وعضو لجنة المعجم الكبير: إنه سيكون اضخم معجم للغة العربية حيث نتوسع في مواده ليكون معجما للمتخصصين في اللغة العربية بينما الوجيز للمبتدئين والوسيط لطلاب الجامعات.

بدأ العمل في المعجم الكبير منذ تأسيس المجمع سنة ١٩٣٤.

ويقول طبانة: كان العمل يتعثر وينقطع احيانا لكن في السنوات الاخيرة قررنا ان ننجز كل عام حرفا من حروف المعجم.

وطبقا لهذا المعدل يمكن ان يكتمل هذا المعجم.(٢٠١٩م)

● اعلنت المنظمة الاسلامية للتربية والعلوم والثقافة «ايسيسكو» التي تتخذ من الرباط مقراً لها ان ندوة دولية حول حقوق الانسان في الاسلام ستعقد في المغرب في شهر اكتوبر القادم.

● نيابة عن خادم الحرمين الشريفين سلم الأمير سلطان بن عبد العزيز النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء السعودي ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام جائزة الملك فيصل العالمية للفائزين بها العام الحالي بحضور جمع من الامراء والمسؤولين والدبلوماسيين والادباء والمفكرين.. والقى الامير خالد الفيصل المدير العام لمؤسسة الملك فيصل الخيرية ورئيس هيئة الجائزة كلمة في بداية الاحتفال هنأ فيها الفائزين بالجائزة مؤكدا ان فوزهم بهذه الجائزة لقاء ماقدموه للإنسانية والبشرية من خدمات جليلة.

● يشارك اكثر من ثلاثين مفكراً اسلامياً وغربياً في المؤتمر الدولي عن الاسلام والعرب الذي تنظمه جامعة الازهر بالتعاون مع جامعة فلورنسا الايطالية خلال النصف الاول من شهر مايو القادم.

حديقة

إعـــداد / احمد عبدالجبار



من هدي كتاب الله

(قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين. قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم تشركون. قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض انظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون. وكذّب به قومك وهو الحقّ قل لست عليكم بوكيل. لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون) الأنعام/ ٦٣ ـ ٦٧.

من هدي رسول الله ﷺ

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا» رواه مسلم.

قبض العلم

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يتقارب الزمان ويقبض العلم وتظهر الفتن ويلقى الشح ويكثر الهرج. قالوا وما الهرج؟ قال: القتل».

ثلاث عشرات

إن الله سبحانه وتعالى تفضل على عباده بأن جعل لهم من أيام دهرهم أياماً تضاعف فيها الحسنات ويزاد فيها على العمل الصالح الأجر وفتح فيها باب توبته لمن أقبل عليه، كما يغلظ فيها العقاب على السيئات فكانت هناك ثلاث عشرات في السنة لكل منها هذه الأفضلية:

العشرة الأولى من محرّم لأن فيها يومي التاسع والعاشر، والعشر الأواخر من رمضان لغالب وجود ليلة القدر فيها، العشر الأول من ذي الحجة لأنها ضمن أيام الحج، وتفضل الله فيها بمضاعفة الأجر على العمل سواء أكان في الحج أم في غيره.

من صفات الفاروق عمر رضي الله عنه

قال معاوية رضي الله عنه لصعصعة بن حوحان صف لي عمر بن الخطاب فقال له: كان عالماً برعيته، عادلاً بقضيته، عارياً من الكبر، قبولاً للعذر، سهل الحجاب، مصون الباب، متحرياً للصواب، رفيقاً بالضعيف، غير محاب للقريب ولا مجاف للغريب.

عاقبة التقوى والصبر

في الحوار الذي جرى بين يوسف عليه السلام وإخوته يتبين لنا عاقبة التقوى والصبر وهذا ما حكته سورة يوسف في الآيات ٩٠ ـ ٩٢ فكان مما جاء قوله تعالى: (قالوا أئنك لأنت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخي قد منَّ الله علينا انه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين. قالوا تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين. قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين).

درجات العلم

قال الحجاج لخزيم الناعم ما النعمة؟ قال: الأمن. فإني رأيت الخائف لا يتمتع بعيش، قال له زدني: قال: فالصحة فإني رأيت المريض لا ينتفع بعيش، قال له زدني: قال الغنى، فإني رأيت الفقير لا ينتفع بعيش، قال له زدني: قال فالشباب، فإني رأيت الشيخ لا ينتفع بعيش، قال له زدني: قال لا أجد مزيدا بعد هذا.

الوسطية

بين الإفراط والتفريط منزلة محبوبة معتدلة، فبين الجبن والتهور الشجاعة، وبين البخل والتبذير الإنفاق بحكمة، وبين الغلو في الدين والجفاء فيه الاستقامة، وبين الإعراض عن مباهج الحياة والإغراق فيها التمتع بالطيبات، وبين الحزن الدائم والاستهتار المستمر الجد مع الترويح عن النفس أحيانا، وبين الشدة الصارمة وعدم المبالاة الحزم في رفق، وهذه الأمة خيار وسط بين طوائف الضلال ودينها خير الأديان وصدق الله إذ يقول: (وكذلك جعلناكم أمة وسطا).

عبقرة وبلاغة

مر أحد الملوك بغلام يسوق حمارا وقد عنف عليه في السوق، فقال: يا غلام ارفق به فقال الغلام: أيها الملك في الرفق به مضرة عليه، قال: وما مضرته؟ قال: يطول طريقه ويشتد جوعه، وفي العنف بـه إحسان إليه، قال: وما الإحسان إليه؟ قال: يخف حمله ويقصر طريقه ويطول أكله، فأعجب الملك بكلامه، وقال له: قد أمرت لك بألف درهم، فقال: رزق مقدور وواهب مأجور، قال: قد أمرت بإثبات اسمك في جيشي فقال: كفيت مؤونته، ورزقت بها معونة. قال: لولا أنك حديث السن لاستوزرتك، فقال: لن يعدم الفضل من رزق العقل، قال: فهل يصلح لك؟ قال: إنما يكون المدح، والذم بعد التجربة، ولا يعرف الإنسان نفسه حتى يبلوها، فاستوزره الملك فوجده ذا رأي صائب وفهم رحب ومشورة تقع مواقع التوفيق.

الأصدقاء ثلاثة

«صديق كالغذاء تحتاج إليه كل وقت، وصديق كالدواء تحتاج إليه أحياناً، وصديق كالداء لا تحتاج إليه أبداً».

قالوا

قال ابن مسعود رضي الله عنه: إن أحداً لا يولد عالما وإن العلم بالتعلم.

قال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: المؤمن يطبع على الخلال كلها، إلا الخيانة والكذب.

قال الحسن البصري رحمه الله: يا بن آدم إن أنت إلا أيام كلما ذهب يوم ذهب بعضك.

أخاف ألا تخاف

قال عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه لزياد مولى عبدالله ابن عباس: إني أخاف الله مما دخلت فيه، قال زياد: لست أخاف عليك أن تخاف وإنما أخاف عليك ألا تخاف!

حكمة

قال أحد الصالحين: ما أحسب أحدا تفرغ لعيب الناس إلا من غفلة غفلها عن نفسه.

أمثال يابانية

- يستحيل الوقوف في هذا العالم دون الانحناء أحياناً.
- عندما يتوقف المطر ننسى المظلة!!
- من سرق ذهبا أودع سجناً، ومن سرق بلداً بويع ملكاً
- في المديح بداية الشتيمة.
- عندما تدق ساعة الجوع لا طعام سيء.

أدب السؤال والجواب

أوصى يحيى بن خالد بن برمك ابنه جعفر فقال: لا تردّ على أحد جواباً حتى تفهم كلامه فإن ذلك يصرفك عن جواب كلامه إلى غيره، ويؤكد الجهل عليك ولكن افهم عنه فإذا فهمته فأجبه، ولا تعجل بالجواب قبل الاستفهام، ولا تستح أن تستفهم إذا لم تفهم، فإن الجواب قبل الفهم حمق وإذا جهلت ما قيل فسؤالك واستفهامك أجمل بك وخير من السكوت على العمى.

رأس الديك

يروي دعبل النادرة التالية:
كنا عند سهل بن هارون فلم نغادره حتى كاد يموت من الجوع، فنادى غلامه وأمر بإحضار الغداء فحمل الغلام قصعة فيها ديك مطبوخ تحته ثريد قليل، فتأمل الديك فإذا به بلا رأس. فسأل غلامه: أين الرأس؟ فقال: إنه رماه فقال: والله إني لأكره من يرمي برجل الديك فكيف برأسه، ويحك أما علمت أن الرأس رئيس الأعضاء ومنه يصيح الديك ولولا صوته ما أريد، وفيه فرقه الذي يتبرك به، وعينه التي يضرب بها المثل فيقال: شراب كعين الديك، ودماغه عجيب لوجع الكلية، ولم نر عظماً أهش تحت الأسنان كعظم رأسه، وهل ظننت أني لا آكله فعندي من يأكله!!

لولا أن تفندون

قال ابن عباس في معنى قوله تعالى «تفندون» تجهلون، والفند يطلق على الفساد كما في قول النابغة:

إلا سليمان إذ قال الإله له
قم في البرية فاحددها عن الفند

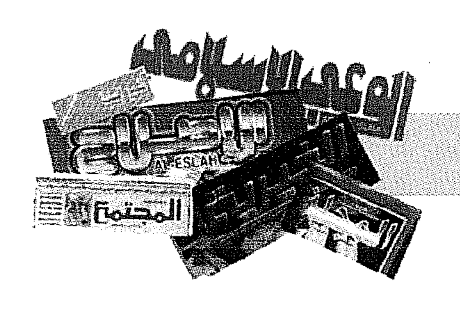
ويطلق الفند على ضعف الرأي والجهل والخرف من الكبر، وقال الفراء في معنى قوله تعالى: (لولا أن تفندون) لولا تكذبون وتعجزون وتضعفون.

خيانة

كتب عمر بن عبدالعزيز إلى عدي بن أرطأة: غرني منك مجالستك القراء، وعمامتك السوداء، فلما بلوناك وجدناك على خلاف، أمّلناك، قاتلكم الله أما تمشون بين القبور، ومر عمرو بن عبيد بجماعة عكوف، فقال: ما هذا؟ قالوا: سارق يقطع فقال: لا إله إلا الله سارق السر يقطع سارق العلانية.

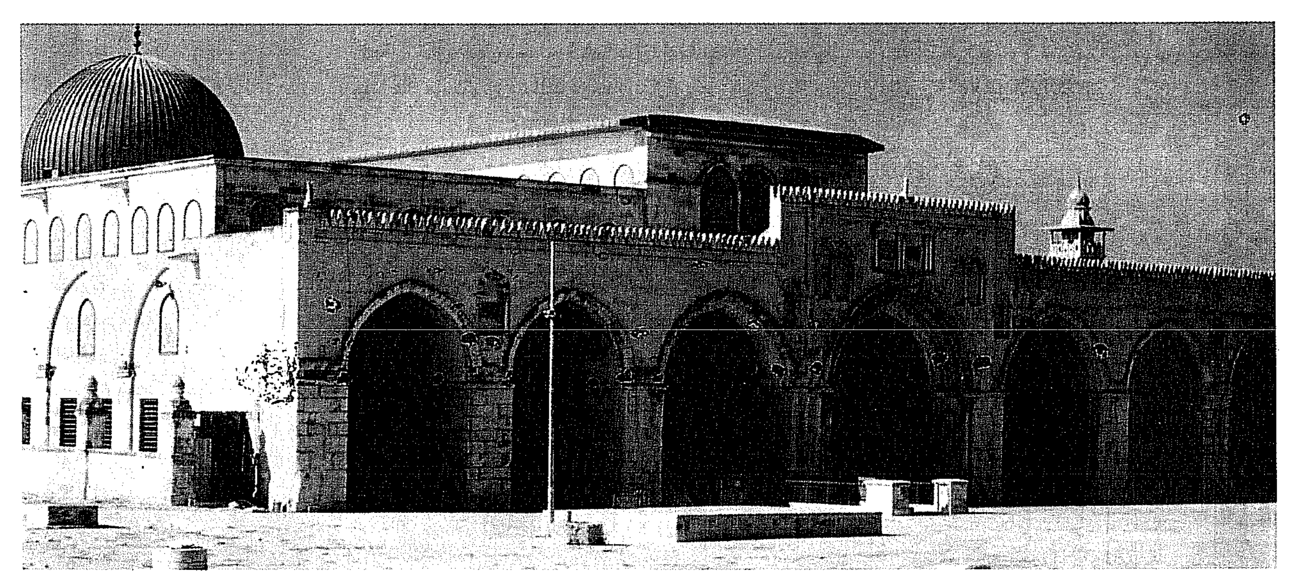
جوع ببطن الغير!!

قال سهل بن علي: كنت ألازم ابن نعيم القاضي وأجالسه وأنا يومئذ حديث السن وكنت أراه يتجر في الزيت فقلت له: وأنت أيضاً تتجر؟! فضرب بيده على كتفي ثم قال: انتظر حتى تجوع ببطن غيرك، فقلت في نفسي: كيف يجوع إنسان ببطن غيره؟ فلما ابتليت بالعيال إذا أنا أجوع ببطونهم!!



قالت الصحف العالمية

حتى لا تضيع القدس!



لم تفلح القمة الإسلامية غير العادية التي عقدت في إسلام آباد، ولا لجنة القدس التي اجتمعت في الرباط في إعطاء أمل للشعوب العربية والإسلامية في إنقاذ القدس المحتلة من مصير يزداد الاعتقاد يوما بعد آخر في صعوبة تجنبه، وفي الوقت الذي تواصل إسرائيل سياستها لفرض أمر واقع، تقتصر ردود الفعل على إدانة هذه السياسة والتحذير من انهيار عملية السلام ولو أنعم الداعون — إلى عقد قمة عربية ـ النظر في معطيات الوضع الراهن لربما تخلوا عن دعوتهم، لئلا تكون هذه القمة دليلا آخر على العجز وقلة الحيلة، ومع ذلك قد يكون مفيدا عقد قمة مصغرة تخصص لموضوع وحيد هو التفاهم على قواعد محددة تلتزمها السلطة الفلسطينية خلال مفاوضات الوضع النهائي في شقها المتعلق بقضية القدس، ففي ظل الاختلال الشديد في ميزان القوة التفاوضية، ومع إحلال المفهوم الاسرائيلي للأمن محل الشرعية الدولية كمرجعية لعملية السلام منذ اتفاق أوسلو، لا يجوز ترك القدس لمساومات تقود إلى تضييعها.

ومن هنا أهمية هذا التفاهم الملزم، خصوصا في ضوء مسعى رئيس وزراء إسرائيل إلى تسريع المفاوضات النهائية ملوحا بإمكان اعترافه بدولة فلسطينية مقلصة السيادة في إطار اتفاق يتضمن بقاء «القدس الموحدة» عاصمة لإسرائيل، وتنسجم خطة نتنياهو على هذا النحو مع توجهات » وثيقة بيلين ـ إيتان» التي توصل إليها أعضاء في الكنيست ينتمون إلى حزبي العمل والليكود في كانون الثاني «يناير» الماضي، إذ يمثل مشروع آلون (١٩٦٨م) مرجعية لكل منهما، فقد تضمنت هذه الوثيقة أن يعترف الفلسطينيون ببقاء القدس في حدودها البلدية الحالية، موحدة تحت سيادة إسرائيل، في مقابل حصولهم على عاصمة لكيانهم، الذي سينبثق من المفاوضات خارج هذه الحدود.

وإذا كان طرفا الوثيقة اختلفا في شأن الاسم الذي سيطلق على هذا الكيان، بسبب اعتراض ممثلي ليكود على تسميته دولة، يبدو من خطة نتنياهو أنه صار مستعدا للتراجع عن هذا الاعتراض، وربما تغدو الخطة على هذا النحو مغرية لفريق في السلطة الفلسطينية، الأمر الذي يدفعه إلى التنازل عن القدس أو الاكتفاء بإشراف فلسطيني على الأماكن المقدسة في الجانب الشرقي من المدينة مع إقامة دائرة بلدية لإدارة شؤون الأحياء العربية فيها.

وعلى رغم أهمية الأماكن المقدسة، فهي تمثل صلب قضية القدس من المنظور العربي الإسلامي، الذي عبر عنه الرئيس عرفات في كلمته أمام قمة إسلام أباد بقوله إن «السلام لا يتحقق إلا إذا تم تحرير القدس المحتلة وعودتها كعاصمة عربية وعاصمة لدولة فلسطين»، وهذا هو الموقف الذي يفترض أن يبدأ منه المفاوض الفلسطيني، ولكن ليس هناك ضمان لأن يتمسك به إلى النهاية، باعتبار أن المفاوضات تنطوي على تنازلات متبادلة، ولكن شتان ما بين تقديم تنازل في جزء من هذا الموقف في اتجاه حل وسط وما بين التنازل عنه في إطار صفقة تقضي بوضع اسم «القدس» على بلدة مثل «أبوديس»، وبقاء القدس الحقيقية عاصمة لإسرائيل تحت اسم «أورشليم».

هذا الفارق بين تنازل وآخر هو ما ينبغي أن يكون موضوع تفاهم عربي ملزم للمفاوض الفلسطيني، تفاهم يحدد بوضوح المدى الذي يمكنه الذهاب إليه في المساومة، ويضع خطوطا حمراء لا يجوز تجاوزها تحت أي ظرف.

الحضارة فريضة إسلامية

نشرت مجلة الرابطة التي تصدرها رابطة العالم الإسلامي في عددها رقم ٣٨٤ الصادر في مارس ١٩٩٧م مقالاً تحت عنوان الحضارة فريضة إسلامية فكتبت تقول:

إن الحضارة بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى تعد فريضة إسلامية وواجبا دينيا وعنصراً أساسيا من عناصر دين الإسلام وأن كل الأبعاد التي ينبغي أن تتوافر في أي مشروع حضاري حقيقي متوافرة جميعها في تعاليم الإسلام.

وقال إن الإسلام قد كرّم الإنسان وفتح أمامه المجال للانطلاق بلا حدود في آفاق العلم والمعرفة من أجل إعمار الأرض ودفع عجلة التقدم في المجتمع البشري، وأشار إلى أن العالم الإسلامي في العصر الحاضر يعاني من أزمة طاحنة متعددة الجوانب، ففي الوقت الذي تتلاحق فيه التطورات العلمية والفكرية والحضارية في مناطق العالم المتقدم، نرى التخلف بكل أبعاده المادية والمعنوية والعلمية والدينية والفكرية والحضارية يخيم على العالم الإسلامي.

وقد حدا ذلك ببعض خصوم الإسلام في الغرب إلى إلصاق هذا التخلف بالإسلام نفسه إذ هو ـ في زعمهم ـ دين يشد أتباعه إلى التخلف ويشكل عائقاً أمام التقدم العلمي والتطور الحضاري.

ويستدل خصوم الإسلام على مقولتهم هذه بالواقع المشاهد في العالم الإسلامي والذي يقع اليوم في صف دول العالم الثالث.

ولقد سار خلف هذا الزعم الباطل نفر من أبناء الأمة الإسلامية التابعين للغرب في فكرهم تبعية ذليلة من منطلق مركّب النقص والشعور بالدونية إزاء الغرب المتفوق، وكأن الإسلام لم يقدم للإنسانية أي إسهام في مجالات الفكر والعلم والحضارة!!

عابدو الشيطان ضحية عباد الرحمن

أما مجلة الهدي النبوي التي تصدرها جماعة دعوة الحق المصرية فكتبت معلقة على جماعة عبّاد الشيطان في عددها رقم ١١ سنة ١١ فكتبت تقول:

أسفي على شباب أمتنا المسلمة، الذين هم نصف حاضرها وكل مستقبلها، إنهم مستهدفون، تتخطفهم شباك متعددة نصبت لهم، فتفتقد أمتهم إمكاناتهم وجهودهم كما تشغل بالأدواء التي ألمت بهم، تبحث لهم عن الشفاء وقد يكون لمجتمعهم الدور المؤثر في استفحال الداء.

وقفت وقفة متأنية أمام ما كتبته الصحافة، وسطرته وسائل الإعلام عمن سمتهم العابدين للشيطان، وصور الانحراف الذي تورطوا فيه، والمسالك المريبة والعجيبة التي هم عليها، أنها أمور غريبة تماما، لم يعرفها المجتمع المصري، وترفضها الأسرة المصرية سواء كانت مسلمة أو مسيحية، ويحار الحكماء في تفسير ما يعملون، ومن الذي دفعهم إلى هذا؟ وتخير هذه الشريحة من الشباب ليغرس فيهم بذق الضلال والفساد ليصدر عنهم هذا السلوك المجنون.

نظرة سريعة إلى هذه الشريحة الضالة من شبابنا نجدهم في أواخر سن المراهقة مترفون، مهملون، مطالبهم التي تتسم بعدم المقولية مجابة، أوقاتهم فارغة، ليست لهم أي اهتمامات، ولا يوجد في أعماقهم أهدف يتحركون إليها، ومنهم في دنيا بلا غاية، وقديماً قال الشاعر العربي:

إن الشباب والفراغ والجده
مفسدة للمرء أية مفسدة

فإذا ألقي في محيط هؤلاء فكر ضال، وسلوك منحرف تهافتوا عليه والتفوا حوله، واتخذوه هدفاً وغاية، لأنهم بلا هدف ولا غاية.

وقد أكدت أن شبابنا مستهدف، وأن أجهزة من خارج المحيط الإسلامي والعربي تحاول أن تنال منه، وبخاصة شباب مصر مفتاح العمل العربي والإسلامي، وأهميته كأهمية وطنه الكنانة، ونحن هنا لا ينبغي أن نعلق مشكلاتنا وأخطاءنا على مشجب الأعداء، لأن من حق العدو أن يعادي، وأن يخطط لمن يعاديه، ويدبر له السوء، ويضع في طريقة الحبائل والشباك التي تعوق مسيرته، والشيطان الذي يعبده هؤلاء الأغرار من شبابنا ما هو إلا واحدة من هذه الحبائل.

ولا ينبغي أن نعفي أنفسنا من المسؤولية نحو هذه المأساة الأليمة.فدور الأسرة

هو أساس في بناء الكيان الأخلاقي للشباب فإذا تقلص، وكان الأب مشغولا والأم مشغولة، والبيت مجرد مكان للراحة من عناء العمل يلجأ إليه الزوجان، يجتمعان فيه كغرباء، ويتفرقان يحيّي بعضهم بعضا كغرباء، وقصور دور الحضانة تسد مسيرة عطاء الأمومة، وقوامة الأبوة مفتقدة، فماذا نرجوه من قرة الأعين، ليتنا نعي قول الله تعالى في وصف عباد الرحمن: (والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما).

في مثل هذه الحال يكون الأولاد في الأسرة يتامى بين أبويهم، وحسبنا إذا التوت ألسنة أبنائنا بكلمات من لغات الفرنجة دالة على التحضر والتقدم، وبهذا يتحقق قول أمير الشعراء:

ليس اليتيم من انتهى أبواه من
هم الحياة، وخلفاه ذليلا
إن اليتيم هو الذي تلقى له
أمّا تخلّت أو أبا مشغولاً

نافذة على العالم



انجزت اللجنـة الاستشارية العليـا للعمل على استكمال تطبيق احكام الشريعة الاسـلامية مشروع قانون ينظم اعمال المصارف الاسلامية وشركات الاستثمار والمال التي تعمل وفق احكام الشريعة وقد رفعت اللجنة مشروع القانون هذا إلى أمير الكويت الشيخ جابر الاحمد الصباح الذي تأسست اللجنـة اصلاً بمبادرة منه. وتكمن اهمية هذا القـانون في انه ينظم العمل المصرفي الاستثماري الاسلامي. ويضعـه ضمن اطار قـانوني واضح ومحدد وذلك بهدف دعم كيان هـذه المؤسسات وتنظيم العـلاقة في مـا بينها وبين المؤسسـات الاخرى كذلك حماية اموال وحقوق المودعين والمتعاملين مع هذه المصارف والشركات.
ويعمل القانون ايضـا على تنظيم العلاقة بين المصارف وشركـات الاستثمار الاسلامية مع المؤسسات الرقـابية في الدولة بحيث تمارس هـذه المؤسسات دورها الرقـابي ضمن اطار قانوني محدد كما يضع اطاراً واضحاً لممارسة تقديم الخدمات الاستثمارية الاسلامية من قبل البنـوك والشركـات الاستثمارية بما يضمن وجـود فصل واضح لهذه العمليـات عن العمليات والخدمات الاخرى ويفسح المجال اما قيام مشاريع استثمارية تعمل تحت مظلة هذا القانـون. ومن اهم نصوصه اشتراطه على ان تكون المصارف الخاضعـة لأحكامه على هيئة شركـات مساهمة تطرح اسهمها لـلاكتتاب العام وذلك دعماً لكيان هـذه المؤسسات وحفـاظـاً على استقـرارهـا، واتـاحتـه للمصـارف وشركـات الاستثمار مجالات متعـددة للاستثمار مع النص على ان تتبع هـذه المؤسسات سيـاسة استثمارية تتـلاءم مع طبيعة مصادر اموالها. وقد منح الشركـات الاسلامية القائمة فترة زمنية مـدتها سنتان للالتزام باحكام القانـون الجديد. وفي مواده الاخرى نظم القانون عمليـة تحول الشركات التقليدية القائمـة الى العمل وفق الشريعة الاسـلامية، ووضع اطـاراً واضحاً لأعمال هيئـة الرقـابة الشرعية التي تعينها او تعزلها الجمعية العمـومية للمساهين، كما نص على ان يكون الدور الرقابي على الشركـات والمصارف الخاضعة لأحكامه لبنك الكـويت المركزي. ولذلك نص هذا القـانون على ان ينشيء البنك المركزي وحدة متخصصـة بأجهزتها الفنية للرقـابة على تلك المصارف والشركات، على ان تضم هذه الوحـدة متخصصين بالفقه الاسلامي. والقى القانون على عاتق البنك المركزي مهمة التفتيش والغـاء قيد الشركات وفق ضوابط حددها منها: اذا قامت بأعمال تخالف احكام هذا القانون او لم تباشر عملها خلال سنة من تاريخ قيدها بالسجل. وقد اعد القانون المذكور اللجنة الاقتصادية برئاسة الدكتور: خالد محمد بـودي وهي احدى اللجـان التابعـة للجنـة الاستشاريـة العليا لاستكمال تطبيق احكـام الشريعة الاسلامية.



١,٢ مليون يهودي بدول الكومنولث يستعدون للهجرة

قـال ابراهـام بيرج رئيس الـوكالـة اليهـوديـة ان هناك حـوالي مليـونـا و٢٠٠ الف يهودي لايـزالـون في كومنولث الدول المستقلة عن الاتحاد السوفيـاتي السابق وان العمـل جار بشأن تهجيرهـم الى اسرائيل.
ونقل راديـو عمان عن صحيفـة «الجيروز اليم بوست» الاسرائيلية ان رئيس الوكالة اشار الى ان هذا العدد يشمل سبعمائة الف عائلة تعتبر فيها الـزوج والزوجـة على حد سـواء من اليهود.
ويـذكـر ان ٦ في المئة من ميـز انيـة دائرة الهجـرة في الـوكـالـة تـذهب لكومنـولث الدول المستقلـة حيث ان هنـاك فـرصة كبيرة لاقنـاع اليهـود بالهجرة إلى اسرائيل.

نائب رئيس الكنائس الأمريكي يشهر إسلامه

اعلن القس بنجامين شافيس المدير السابق للرابطة الوطنية للنهوض بالامريكيين السود اعتناقه الاسلام وانضمامه الى جماعة أمة الاسلام التي يتزعمها لويس فرخان وغير اسمه الى محمد شافيس . وصرح شافيس الذي كان يشغل ايضا منصب نائب رئيس مجلس الكنائس القومي في الولايات المتحدة ان اعتناق الاسلام كان يساوره خلال السنوات الاربع الاخيرة منذ بدأ تكوين علاقة روحية بالزعيم المسلم الزنجي لويس فرخان اثناء رئاسته الرابطة الوطنية للنهوض بالسود. واشار الى ان هذه الصداقة نمت خلال الاعداد معا لمسيرة تعدادها مليون شخص منذ عامين.. وقال لقد عدتُ الى الله. ونفى ان يكون اعتناقه للاسلام غطاء لخلافة فرخان في زعامة حركة أمة الاسلام. يذكر ان فرخان الشخصية المثيرة للجدل في امريكا يعاني من مشاكل صحية هذه الايام.

الجريمة تكلف بريطانيا ٣٠ بليون جنيه استرليني

كشفت مصادر في وزارة الداخلية البريطانية ان الجريمة تكلف الخزانة البريطانية حوالي ثلاثين بليون جنيه استرليني سنويا اي مايعادل خمسة في المئة من اجمالي الدخل القومي.

وقالت المصادر ان هذا المبلغ يزيد كثيرا على الارقام السابقة التي كانت تتراوح بين ١٥ ـ ٢٠ بليون جنيه استرليني.

واضافت المصادر ان هذه الكلفة ناجمة إما عن خسائر المالكين الذين تتعرض ممتلكاتهم للسرقة والنهب وإما عن خسائر ناجمة عن وضع المزيد من الوسائل الدفاعية لزيادة الاجراءات الامنية حول الممتلكات وإما عن الخسائر الناجمة عن التعويض لضحايا الجريمة وإما عن خسائر شركات التأمين.

وزير الاوقاف المصري:

الاستنساخ مرفوض ومحرم شرعاً

اكد الدكتور حمدي زقزوق وزير الأوقاف ان عمليات الاستنساخ التي من المقرر ان تجرى على الانسان بعد سبع سنوات مرفوضة ومحرمة دينيا وشرعيا ومن الناحية الاجتماعية والاخلاقية حيث لايعتقد ان اي دين من الاديان يوافق عليه. موضحاً انه غير مطروح للمناقشة الآن لانه لم يتم تجربته على الانسان. ومن جهة اخرى اكد الوزير خلال اجتماع النادي السياسي ان مجمع البحوث الاسلامية سيتخذ قراره حول قضية نقل الاعضاء خلال اجتماعه المقبل. وجدير بالذكر ان مجمع البحوث الاسلامية يضم مفتي الجمهورية وكبار علماء الدين في مصر.

لتشجيع المهاجرين المسلمين على الاتصال بأوطانهم الأم

تخفيض اسعار المكالمات الهاتفية في السويد بمناسبة عيد الأضحى

في خطوة هي الأولى من نوعها في السويد وربما في الغرب قررت الشركة السويدية للاتصالات السلكية واللاسلكية«تليا» تخفيض اسعار المكالمات الى عدد من البلدان الاسلامية خلال ايام عيد الاضحى المبارك المقبل.

وفي حديث مع «الشرق الاوسط» اكدت السيدة بيرجيتا فالستروم المسؤولة عن التسويق في «تليا» صحة هذا النبأ الذي كشفه لنا مصدر يعمل في حقل الاعلانات وكانت «تليا» تنوي ان يكون قرارها مفاجأة للناس على حد قول فالستروم.

وتستعد الشركة المذكورة حاليا لانشاء قسم خدمات للمهاجرين يضم الطاقم العامل فيه ناطقين بثلاث عشرة لغة تعتبر اللغة العربية واحدة منها. وقالت السيدة بيرجيتا فالستروم :ان الهدف من هذا القسم هو تقديم الخدمات لمن يواجهون صعوبة في اللغة السويدية. وحتى للمهاجرين الذين يتقنون السويدية ولكنهم يفضلون التحدث باللغة الأم .وسوف نعمل على زيادة عدد اللغات مستقبلا لتلبية حاجة اكبر عدد ممكن من المهاجرين.

وكانت«تليا» قد بدأت منذ نحو اسبوعين حملة اعلانية بثماني لغات منها: العربية لحمل الناطقين بهذه اللغات على زيادة الاتصال بأوطانهم الأم لقاء اسعار تشجيعية وعلقت بيرجيتا فالستروم على هذه الحملة بقولها: ان التركيز على المهاجرين في المرحلة الحالية يعكس مدى اهميتهم بالنسبة لنا فهم يتصلون عبر الهاتف كثيرا ولمدد طويلة كما ان العديد منهم له اقرباء واصدقاء في الوطن الأم وحول العالم.

وتجدر الاشارة الى ان شركة «تليا» بعد ان كانت شركة الاتصال الوحيدة في السويد إلا أنها فقدت سيطرتها التامة على هذه السوق منذ بضع سنوات إثر ظهور شركات محلية ودخول شركات عالمية حقل المنافسة ويبرز التنافس واضحا مع شركات الاتصال الاخرى وفي مقدمتها تلي٢ خصوصا في مجال المكالمات الدولية وسوق الانترنت، وتعتبر شركة «تلي نورديا» منافسا آخر لتليا اذ توفر الاولى امكانيات الاتصال الدولي بسعر المكالمة المحلية عبر الانترنت اذا كان الطرفان المرسل والمتلقي يمتلكان البرنامج والمعدات المطلوبة.

وقد يؤدي الصراع على المكالمات الدولية –حيث يعتبر المهاجرون المستهلك الاكبر ـ الى اتخاذ شركات اتصال اخرى خطوة مماثلة في عيد الاضحى بعد المقبل تزداد معها فرحة المهاجر المسلم بالعيد.

نافذة على العالم

لجنة لمتابعة تدريس القرآن بـ (الابتدائي) في الكويت

اصدر وزير التربية ووزير التعليم العالي د. عبد الله الغنيم قرارا بتشكيل لجنة اشرافية لمتابعة تدريس القرآن الكريم في مدارس المرحلة الابتدائية برئاسة الوكيل المساعد للشؤون التعليمية خالد الصليهم وعضوية كل من د. عادل الفلاح الوكيل المساعد لشؤون الدراسات الاسلامية والحج في وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ود. عبد المحسن الخرافي عضو اللجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال تطبيق احكام الشريعة الاسلامية. ود.سلوى الجسار مديرة وحدة المناهج والكتب في وزارة التربية، وخالد القطان موجه اول التربية الاسلامية في منطقة الفروانية- مقررا.وعبد الله الشايجي موجه اول التربية الاسلامية في منطقة حولي التعليمية. واحسان المرزوق موجهة أولى للتربية الاسلامية في منطقة الجهراء التعليمية ومريم عبد العزيز مراقبة التعليم الابتدائي في منطقة الفروانية التعليمية. ونزيهة المهيني مراقبة التعليم الابتدائي في منطقة الاحمدي التعليمية. وناصر العصيمي ناظر مدرسة عبد المحسن البحر الابتدائية بنين- مدرسة الفروانية. ومريم محمد ناظرة مدرسة ام الخير الابتدائية بنات- منطقة الفروانية.

ومن مهام اللجنة دراسة اهداف مادة القرآن الكريم بالمرحلة الابتدائية، ومتابعة مدى تحقيقها لأهدافها في تأصيل المبادىء السامية التي تحتويها الآيات القرآنية في نفوس النشء، ومتابعة تنفيذ وتقويم تدريس مادة القرآن.

٩٥ في المئة من الأميركين يؤمنون بالله

اظهرت نتائج استطلاع للرأي اعدته محطة التلفزيون الاميركية «اي بي سي» ان ٩٥ في المئة من الاميركين يؤكدون انهم يؤمنون بالله وان ٨٣ في المئة منهم يمارسون شعائر الدين.

وجاء الاستطلاع الذي اعدّ لمناسبة الجمعة العظيمة ان ٩١ في المئة من الاشخاص الذين شملهم الاستطلاع مقتنعون بأن يسوع المسيح مات على الصليب في حين يؤمن ٨٤ في المئة منهم بقيامة المسيح.

ويرى ٤٣ في المئة منهم ان الكتاب المقدس «هو كلام الله».

١٨ مليون شخص مصاب بعمى النهر

اوضح تقرير صدر عن منظمة الصحة العالمية في جنيف ان عدد المصابين بمرض عمى النهر في العالم قد وصل الى ١٨ مليون شخص معظمهم في افريقيا واميركا اللاتينية والخليج العربي.

وقد نتج عن هذا المرض اصابة ٣٢٦ الف حالة بفقدان البصر بينما تعمل المنظمة حاليا على تطوير العقاقير المختلفة والاساليب العلمية في محاولة لاكتشاف العلاج الناجع للحد من هذا المرض. وايضا في محاولة للقضاء عليه في احدى عشرة دولة من دول غربي افريقيا التي ينتشر فيها المرض وتعمل المنظمة على تمويل خطة بهذا الشأن خلال الستة اعوام القادمة.

انتحار ٥٠٠ ضابط روسي في ١٩٩٦

صرح رئيس اركان القوات العسكرية الروسية فيكتور سامسونوف لوكالة «ايتارتاس» ان حوالي ٥٠٠ ضابط روسي انتحروا في العام ١٩٩٦ خصوصا بسبب تدهور اوضاعهم الاجتماعية.

وقال سامسونوف في تصريح ادلى به اثناء اجتماع خصص للوضع المعنوي والنفسي للقوات الروسية ان الوضع في الجيش «سيىء» الى درجة دفعت «٢٠ في المئة من الضباط حتى الآن الى الاستقالة».

وقال سامسونوف ان نتائج استطلاع للرأي اجري في القوات الروسية افادت ان مابين ٣٠ و٧٠ في المئة من الضباط الذين تنتهي عقودهم في ١٩٩٨ يعتزمون مغادرة الجيش.

ترجمات

العالم لايزال ينحدر نحو الكارثة رغم انتهاء الحرب الباردة

نشرت جريدة «الهيرالد انترناشيونال تريبيون» مقالا بقلم جورج باتلار قائد القيادة الاستراتيجية الامريكية سابقاً تحدث فيه عن الاخطاء النووية التي مازالت تهدد العالم وتقتل عشرات الملايين على الرغم من انتهاء الحرب الباردة يقول المقال:

قدمت في مطلع ديسمبر في نادي الصحافة الوطني رأيي الشخصي بالنسبة لقضية تصنيع الاسلحة النووية. وكنت آمل ان انقل الاحساس المتعاظم بالقلق الذي شعرت به تجاه تجربتي الطويلة في الحقل النووي بما فيها فترة خدمتي كقائد اعلى للقيادة الاستراتيجية الاميركية التي تسيطر على جميع الاسلحة النووية لدى البحرية وسلاح الجو وكيف ان موقفي تطور ليتركز حول هدف واحد هو بذل كل ممكن ضمن امكاناتي وسلطاتي لتعزيز الشروط والاتجاهات التي قد تؤدي يوما ما الى تحرير البشرية من بلاء الاسلحة النووية.

وفي الوقت الذي استعرضت فيه ردود الفعل من عالم بدا لي مندهشا،اجد نفسي تنتابها مشاعر مختلفة من تشجيع واحباط وخوف.

لقد لمست الكثير من التشجيع في سيل الاتصالات والرسائل المؤيدة التي تلقيتها من جميع اركان المعمورة لأن اطرافا عديدة جدا انضمت الى هذا النشاط بإصرار واهتمام عظيمين، ولأنني استطيع تمييز اجماع دولي حديث التشكل على ان الاخطار التي تنطوي عليها الاسلحة النووية اعظم بكثير من فوائدها المفترضة.

ولقد خيب املي حتى الان ماسمعته من جدل من جانب اولئك النقاد الذين ينظرون نظرة متعالية الى هدف إلغاء الاسلحة النووية، الذين اعادوا تكرار مخزونهم الكلامي عن الحرب الباردة، وقالوا كلمة او كلمتين في وصف الحالة الراهنة، ثم جلسوا

إعداد: عبد المنعم أحمد

يستمتعون بعالمهم الخاص، عالم التهديدات المبالغ فيها والاعداء السابقين وكذلك شعرت بخيبة امل من جانب النقاد الذين هاجموا افكاري عن طريق اساءة التعبير عنها، كالقول:انني اقترحت نزع السلاح النووي من جانب واحد او انني اقترحت سرعة في التخفيض ستلحق الضرر بأمن الدول التي تمتلك الاسلحة النووية.

وشعرت بالخوف اخيرا لأنني اكتشفت انه حتى المعلقين الاكثر رصانة قد يخطئون في فهم الدروس المستعملة من الخمسين عاما الماضية التي اقترب فيها العالم مرارا من شفير الهاوية، وان الافتراضات والتأكيدات التي نجمت عن حقبة سادتها التهديدات والمخاطر مازالت قائمة على حالها، وان مجموعة من الامم تتمسك بفكرة مستحيلة هي: ان قوة الاسلحة النووية هائلة جدا لدرجة ان استخدامها قد يفلت دون عقاب ومع ذلك فإن تسربها يمكن احتواؤه.

وقد ادرك البرت اينشتاين هذا الميل الخطير والانساني منذ سنوات عديدة عندما حذر البشرية قائلا: ان القوة الهائلة للنواة غيرت كل شيء باستثناء نماذج التفكير لدينا وبذا فإننا نسير في اتجاه كارثة لا توازيها اي كارثة اخرى.

وقد نصحني عدد كبير من الاصدقاء من ذوي النوايا الحسنة انني بالوقوف الى جانب فكرة الغاء الاسلحة النووية انما اصرف الانتباه عما يمكن انجازه بشكل فوري. وردي ان الالغاء هو الهدف الوحيد القابل للدفاع، وهو هدف مهم جدا، ان جميع الدول التي تمتلك اسلحة نووية ملتزمة رسميا بنزع تلك الأسلحة وفقا لنص وروح معاهدة عدم الانتشار النووي.

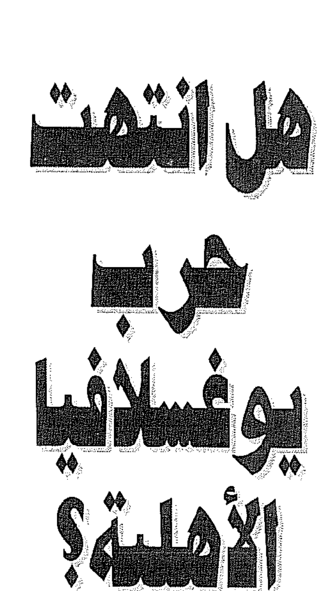
والحقيقة ان احدا لايدرك اكثر مني ان الاحتمالات الفعلية لتصفية الاسلحة ستتطور على مر سنوات عديدة فلقد شغلت منصبا عاما لفترة طويلة جدا يجعلني ادرك هذا. لكنني اضيف الى ذلك اعتقادي القوي اننا مازلنا منساقين بعقلية الحد من الاسلحة التي تضرب بجذورها عميقا في الحرب الباردة. والسؤال الآن هو: كيف يجب ان ترى الولايات المتحدة مسؤولياتها في التعامل مع التركة الاخلاقية للحرب الباردة؟

ان روسيا التي تمتلك تاريخا طويلا في مجال الحكم الديكتاتوري وإرثا ثقيلا في مجال التحول الاجتماعي، مازالت اكثر تأهيلا لاخذ زمام القيادة، وتقع المسؤولية علينا حتما، نحن الاميركيين لكي نخلص انفسنا من تلك التركة الاخلاقية المتشابكة منذ خمسين عاما.

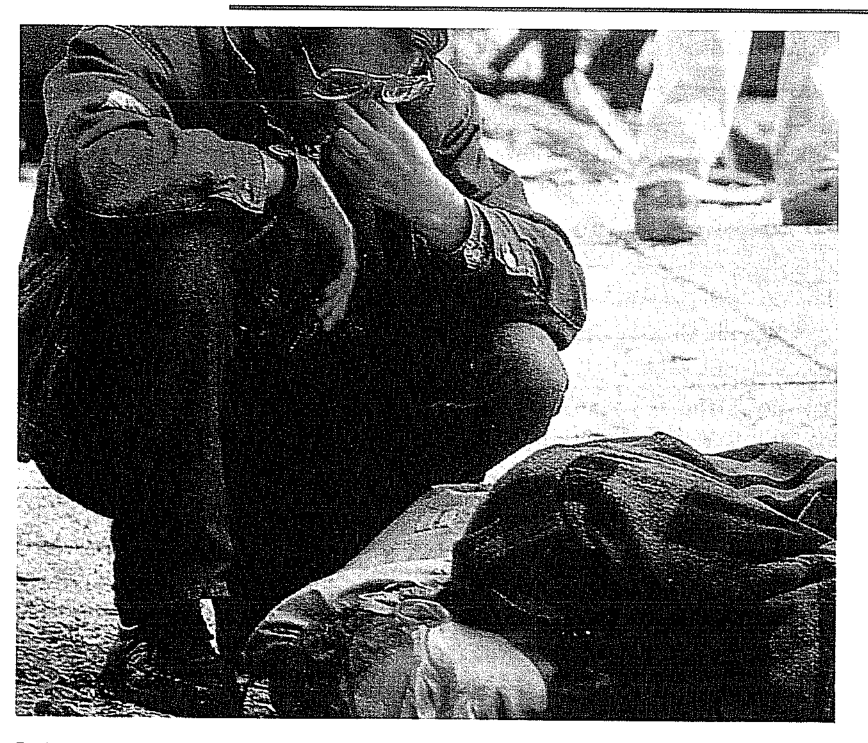
وبوصفنا دولة ديمقراطية نجد انفسنا في مواجهة ورطة هائلة يبدو من الصعب الخلاص منها، اذ كيف نضع في خدمة بقائنا القومي سلاحا تعد قوته التدميرية مناقضة اخلاقيا للقيم التي قام عليها مجتمعنا؟ ومع مرور الزمن وتطور الترسانات لدى الجانبين وتصاعد الحملات الكلامية حول التدمير المشترك، اضطررنا للتفكير فيما لايمكن التفكير فيه، وفي تبرير غير المبرر، واضفاء صفة العقلانية على غير المنطقي، وفي النهاية توصلنا الى عقيدة جديدة يائسة للتخفيف من عذابنا الاخلاقي واطلقنا على ذلك وصف الردع.

ولما كنت قد قضيت الكثير من عملي العسكري اخدم اهداف الردع كما فعل ملايين آخرون غيري اريد من كل قلبي ان اصدق ان القوة النووية التي قدمتها انا وآخرون غيري هي التي حالت دون قيام الحرب الثالثة، وخلقت الاوضاع التي أدت الى انهيار الاتحاد السوفييتي، لكنني في الحقيقة لا اصدق ذلك ولا اعرف مابه اذا كانت كذلك، وستمر عقود طويلة قبل ان نفهم حقبة الحرب الباردة البغيضة بشكل صحيح، بما حوته من مزيج من الخوف الانساني

وتكنولوجيا لا إنسانية.
ولايهم كثيرا ان التقويمات الصحيحة مازالت بعيدا عن ان يبلغها استيعابنا الفكري اللهم الا فيما يتعلق بالحقيقة المهمة والمقلقة وهي ان علينا ان نستمر في الاخذ بمبدأ الردع وكأنه مفهوم خارق غير قابل للخطأ.
والأسوأ من ذلك ان دولا اخرى تصغي لنا قد تحولت الى موقفنا واخذت في تطوير ترساناتها وباتت على استعداد لإذكاء سباق التسلح وبعث شبح الحرب النووية.
وياله من أمر مخيف ومحرك للاحداث اننا كما يقول صديقي جوناثان شيل سنواجه الاحتمال المقيت بأن الحرب الباردة لاتشكل ذروة عصر الاسلحة النووية الذي سيتبعه عصر نزع تلك الاسلحة، انه كما سيتبين على الارجح، فترة استهلال لاتقتصر على الروس والاميركيين فقط، بل على قيام امم اخرى كالهند وباكستان واسرائيل والعراق بالتكيف مع الرعب النووي والتهديد بقتل الملايين من الاشخاص والتعلم كيف نفكر فيما لايمكن التفكير فيه، واذا كان الامر كذلك فهل سيحكم التاريخ على الحرب الباردة على انها مجرد «حصان طروادة» حدث تم بوساطته تهريب الاسلحة النووية الى حياة العالم الذي نعيش فيه، بحيث غدت جزءا مقبولا من الاسلوب الذي يعمل فيه العالم؟ كلا بالتأكيد اننا مازلنا نفهم ان التهديد بقتل عشرات الملايين من البشر ينذر بوحشية تتجاوز كل وحشية اخرى في سجلات البشرية، أم اننا اصبحنا ومن خلال ثورة اخلاقية صامتة وغير مفهومة نعتبر مثل هذه التهديدات عادية، اي سياسة عادية ومناسبة لأي أمة متقدمة؟
ان هذه لايمكن ان تكون التركة الاخلاقية للحرب الباردة ومن واجبنا ان نضمن انها لن تصبح كذلك.

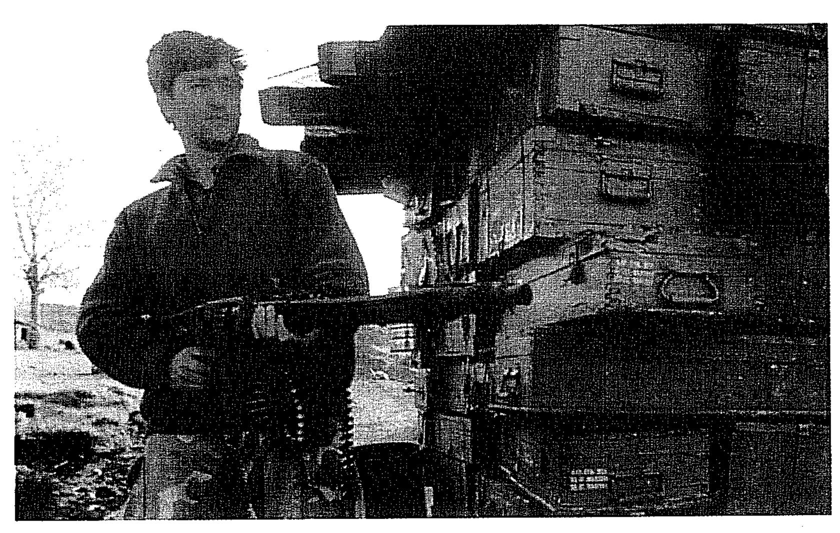


هل انتهت حرب يوغسلافيا الأهلية؟



في اشارة واضحة!! ان اقليم كوسوفو هو نقطة الانفجار المقبلة في البلقان تساءلت مجلة التايم في مقال لها نشر مؤخراً تحت عنوان: هل انتهت حرب يوغسلافيا الاهلية؟ فكتبت تقول:
لقد بدا مؤخرا وكأن هذا الامر قد حدث: فبعد مضي قرابة ست سنوات على اندلاع اول حرب اوروبية شاملة منذ عام ١٩٤٥ بدأ هدوء نسبي يخيم على الوضع، فقد فرض التدخل الخارجي نوعا من السلام في البوسنة، كما بدأت الآن الاضطرابات الاهلية في صربيا في التراجع، حيث حصل معارضو نظام الرئيس سلوبودان ميلوسيفيت على الحق الشرعي لتولي زمام ادارة اكثر من ١٤ مجلسا من المجالس البلدية.
ويعد هذا اول تنازل للرئيس القوي عن بعض سلطاته.
اما زغرب فان الرئيس الكرواتي فرانيو تودجمان الذي لايقل تسلطا عن الرئيس الصربي يمكن ان ينتكس بسبب معاناته من مرض السرطان الذي اصابه في المعدة، وذلك ربما خلال عام.
واذا مابدأ الضعف يصيب مخططي الحرب الدموية اليوغسلافية، عندها ربما يمكن القول ان منطقة البلقان في طريقها الى اصلاح اوضاعها.
غير اننا يجب الا نعول كثيرا على هذا الامر، لأنه مهما كانت وجهة نظر العالم فان تلك المنطقة ستظل تمثل تركيبة مجنونة من العداوات القومية التي لم يتم بعد معالجتها باساليب جادة.. حتى انه لم تتخذ خطوات للعمل على تسويتها.
فمن المنطقة ذات الكثافة السكانية الصربية في كرواتيا والتي تعرف باسم سلافونيا الشرقية الى تلك القنبلة الموقوتة التي تمثلها مدينة بركو في شمال البوسنة، نجد ان بعض الاجزاء التي تبقت من تفكك يوغسلافيا مازالت - تعتبر - مناطق توتر ذات قابلية عالية للتفجر.
ولايوجد مكان تبدو فيه المظالم في طريقها للانفجار قريبا كما هو الحال بالنسبة لكوسوفو، المقاطعة الصربية الجنوبية التي يشكل

فيها ذوو الاصول الالبانية نسبة تسعين بالمائة من مجموع السكان، وقد تبدو كوسوفو الآن ظاهريا على انها لاتمثل اية مشكلة، الا انه وكما يشير احد الدبلوماسيين الغربيين في بلغراد «فان الوضع يبدو مثل اناء مملوء بالماء وصل النقطة التي تسبق مرحلة الغليان، حيث يكون الماء في حالة سكون تام».



التحرك جنوبا لتعزيز وضعه

ولقد كانت قضية الحقوق الصربية في كوسوفو هي التي مكنت ميلوسيفيتش من الوصول الى السلطة قبل عقد مضى، وقد يبدو الآن انه ينظر الى الجنوب مرة اخرى في محاولة منه لتعزيز وضعه وتعتبر كوسوفو مهد اسلاف الصرب ومبلغ الكثير من التراث الفولكلوري القومي لهم.

فقد قاتل الابطال الصرب في العصور الوسطى الاتراك العثمانيين في العام١٣٨٩، وخسروا المعركة الا انها ظلت مصدر فخر لهم، ومع ان عددا قليلا نسبيا من الصرب يعيش في هذه المناطق المرتفعة فان فكرة إغراق الالبان المسلمين للمقاطعة بدأت تثير انزعاج العديد من الصرب خاصة بعد منح الدستور اليوغسلافي المعدل لعام ١٩٧٤ وضع الحكم الذاتي لمقاطعة كوسوفو وهذا يعني في الواقع انه يمكن لكوسوفو فتح مدارس باللغة الالبانية والاحتفال بالاعياد الدينية الاسلامية وارسال ممثلين لها لعضوية المجلس الرئاسي الفدرالي الجماعي.

وقد انهى ميلوسيفيتش هذا الوضع حيث هاجم اعمال «الابادة الالبانية للصرب» وقام بحرمان المقاطعة من الحكم الذاتي الذي كانت تتمتع به في العام١٩٨٩ كما نشر الجيش وقوات الشرطة في معركة لإظهار القوة ضد الالبان الذين انتفضوا احتجاجا على تلك الخطوات. وعليه فقد فقَد الالبان المتعلمون وظائفهم وغيرت المدارس مناهجها الدراسية واعتبرت اللغة الالبانية لغة غير رسمية.

(حكومة ظل)

وقد ردت الاغلبية في كوسوفو باقامة نظام مدني موازٍ، لديه مدارسه الخاصة به واطباؤه بل وحتى حكومة ظل واعلنت المقاطعة جمهورية مستقلة من قبل رئيسها الكاتب ابراهيم روغوفا.

ووردت روايات مؤخرا عن نشوب اعمال عنف حيث قام الالبان الاكثر راديكالية بتنظيم حركة اطلق عليها جيش تحرير كوسوفو وهذه الحركة السرية قامت بعمليات اطلاق نار عشوائية على رجال الشرطة و«المتعاونين» معهم كما ادعت في الشهر الماضي قيامها بمحاولة اغتيال عن طريق تفجير سيارة مفخخة لمدير احدى الجامعات في بريستينا عاصمة كوسوفو.

ويشير احد الدبلوماسيين الغربيين في بلغراد الى ان مثل هذه الاستفزازات يمكن ان تقود الى: اعلان حالة الطوارئ، وتحريك الجيش اليوغسلافي، واقامة الشرطة لحواجز على الطرقات وذلك «كرد على هذه الاعمال التي قد يكون وراءها جيش تحرير كوسوفو» كما ان هذه الاعمال تمتد الى مقدونيا التي لديها ايضا اقلية ألبانية.

وفي الواقع فان امكانية انفجار الوضع– في كوسوفو الذي قد يجر اليه مقدونيا وبعدها اليونان وبعد ذلك ربما تركيا– ظلت تؤرق صانعي السياسة الغربيين منذ اندلاع الحروب اليوغسلافية.

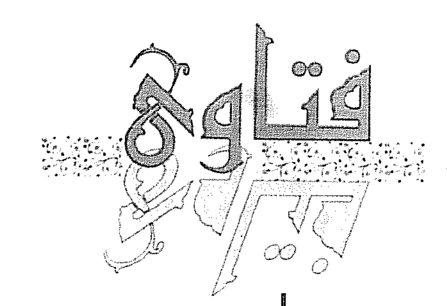
وكان الرئيس الاميركي جورج بوش وفي احدى اخر مبادراته في مجال السياسة الخارجية قد ارسل ماأطلق عليه «انذار اعياد الميلاد النهائي» الى ميلوسيفيتش في ديسمبر العام١٩٩٢، حذره فيه بان واشنطن ستكون على استعداد لاستخدام القوة العسكرية ضد الصرب اذا ماهاجموا كوسوفو.

اتفاق دايتون يتجاهلهم

اما الآن فان الولايات المتحدة تبدي شعورا اقل بالقلق تجاه عمليات زعزعة الاوضاع بعيدة المدى هذه. غير ان سياسة العصيان المدني السلبي التي تبناها البان كوسوفو والتي اثبتت انها مناسبة حسب رأي الغرب، يبدو انها في طريقها الى التغير، فلقد شهد هؤلاء السكان الذين يواجهون المظالم كيف ان مفاوضات دايتون التي عقدت في العام ١٩٩٥ حاولت تسوية نقاط الخلاف اليوغسلافي نقطة بعد الاخرى الا انها لم تتطرق الى قضيتهم. ويقول دوكاجين غوراني الصحافي في مجلة «كوها» الاسبوعية التي تصدر باللغة الالبانية «في الواقع فإن معظم الناس هنا يقدرون وجود جيش تحرير كوسوفو وذلك بسبب استمرار الوضع السلبي السائد».

ويتفق احد العاملين الغربيين في مجال الاغاثة مع هذا الرأي حيث يقول «ان التغييرات تجري في كل مكان حولهم في البوسنة وبلغراد ولكن لاشيء يتغير في كوسوفو».

ويقر بوسكو دروبنياك المتحدث باسم النظام الصربي في الاقليم في بريستينا العاصمة ان هناك عملية استقطاب عرقي حاد تسود اوساط السكان. ويضيف قائلا: «ان من يجد حلا لكوسوفو سيصيب شهرة كشهرة ذلك الذي اخترع النار» وفي هذه الاثناء تستمر الغارات التي تشنها قوات الشرطة وعمليات الملاحقة والتفتيش والتعذيب التي تهدف للقضاء على «الساعين لتحرير بلادهم» وتثبت كوسوفو ان هناك نيرانا كافية مازالت متبقية في منطقة البلقان.



حساب زكاة مال الراتب

○ ما كيفية حساب زكاة مال الراتب الشهري الذي يتم تحويله لحساب التوفير في البنك؟

ـ وقد أجابت اللجنة بالتالي:

الراتب النقدي هو جزء من أموال الإنسان التجارية أو النقدية الأخرى إن وجدت، فيضم إليها في حولها ويزكي في آخر الحول معها، أما الذي لا يملك غير راتبه، فلا تجب عليه الزكاة فيه إن أنفقه قبل حولان الحول، فإن ادخره أو أدخر جزءاً منه فإن بلغ ذلك النصاب، وحال عليه الحول من تاريخ ملك النصاب وجب عليه زكاته في نهاية الحول. والحول هو عام هجري كامل، والنصاب هو قيمة مئتي درهم من الفضة وتعادل (٦٠٠) غرام منها. هذا مذهب أكثر الفقهاء، وذهب البعض إلى أن يقوّم بالأكثر رواجاً من الذهب أو الفضة، ونصاب الذهب هو عشرون مثقالاً وتعادل الآن (٨٥) غراماً، أما المقدار الواجب من الزكاة فهو ربع العشر أي (٢,٥٪) من مجموع ما يملكه من النقود أو الأموال التجارية، والله تعالى أعلم.

منتقاة مما تصدره إدارة الافتاء والبحوث الشرعية في وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في دولة الكويت. ونرى فيها فائدة عامة للإخوة القراء.. والمجلة على استعداد لتلقي الأسئلة مباشرة وتحويلها إلى أهل الاختصاص للإجابة عليها..

حكم استئجار المحلات داخل الأسواق المركزية

○ نود الإفادة بخصوص استثمار أو إيجار مواقع أو محلات في الجمعية داخل الأسواق المركزية وذلك بعقود إيجار على النحو التالي:

يتعهد الطرف الثاني «المستاجر» بأن يؤدي للطرف الأول «الجمعية» في نهاية كل شهر نسبة تعادل (١٢٪) من جملة مبيعات الشهر وذلك بحد أدنى قدره (٥٠٠) د.ك مثلاً... فعلى هذا تكون قيمة الاستئجار لا تقل عن المبلغ المتفق عليه.

لذا، يرجى بيان الحكم الشرعي بخصوص هذه العقود. (أفتونا ماجورين).

ـ وقد أجابت اللجنة بالتالي:

هذه الإجارة فاسدة لجهالة الأجرة، فقد تكون النسبة المشروطة أكثر من خمسمئة، وقد تكون أقل، وهو أمر مجهول عند التعاقد، ولا يزيل الجهالة اشتراط أن لا تقل عن خمسمئة، لأن هذا إن كان يزيل الجهالة في النسبة إن قلت عنها لا يزيلها في النسبة إن زادت عنها، وعليه فلا بد من تحديد مقدار معين من الأجرة شهرياً أو سنوياً أو غير ذلك على ألا يزيد من قبل المؤجر ولا ينقص من قبل المستأجر بأي اعتبار آخر أثناء سريان العقد إلا باتفاق لاحق من الطرفين منعاً للجهالة، والله أعلم.

حكم صلاة الأطفال خلف الإمام

ما حكم صلاة الأطفال خلف الإمام في الصف الأول في الحالين «اكتمال الصف أو عدمه».

ـ وقد أجابت اللجنة بالتالي:

الأصل أن يقف الرجال في صلاة الجماعة في الصفوف الأولى، ويقف الصبيان وهم الذكور دون البلوغ خلفهم، والنساء خلف الصبيان، ولا بأس أن يكمل الصبيان الصف الآخر للرجال إذا نقص، ولا بأس أن يكون الصبيان بين الرجال إذا كان عدد الصبيان قليلاً، ولا يليق بالصبيان أن يقفوا في الصف الأول خلف الإمام لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «ليلني منكم أولو الأحلام والنهى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم» رواه مسلم، وقال بعض الفقهاء إذا وقف الصبي في الصف الأول خلف الإمام أُخرج منه ولكن برفق، وعلى ألا يترتب على ذلك فتنة، والله أعلم.

حكم الصلاة خلف الإمام منفرداً

ما حكم الصلاة خلف الإمام مفرداً بعد اكتمال الصفوف؟

ـ وقد أجابت اللجنة بالتالي:
الأصل في صلاة الجماعة أن يكون المأمومون فيها صفوفاً متراصة خلف الإمام، ويكره للمصلي الوقوف وحده خلف الصفوف لغير عذر عند جمهور الفقهاء وقال الحنابلة: الصلاة خلف الصف منفرداً لغير عذر باطلة.
فإذا دخل المصلي والجماعة قائمة، فإن وجد فرجة في الصف الآخر أو في الصف الذي قبله انتظم فيها ما أمكن، وإن لم يجد فقد اختلف الفقهاء في حاله، فذهب البعض إلى أنه يندب له أن يجذب أحدا من الصف الآخر بالإشارة إليه ليتأخر عن الصف ويقف معه إن علم فيه علماً وخلقاً، فإن لم يجد وقف في الصف منفرداً ولا كراهة عليها للعذر، وقال بعض الفقهاء إن لم يجد فرجة وقف بالصف منفرداً ولم يجذب أحداً، وقال الحنابلة إن لم يجد فرجة يقف على يمين الإمام إن أمكنه فإن لم يستطع نبه أحداً من الصف الأخر ليرجع ويقف إلى جانبه على سبيل الوجوب، فإن لم يطاوعه وقف وحده في الصف وتصح صلاته من غير كراهة للعذر، والله أعلم

حكم رفع اليدين في الدعاء

ما حكم رفع اليدين وقول آمين أثناء دعاء الإمام في ختام خطبة الجمعة؟

ـ وقد أجابت اللجنة بالتالي:
من آداب الدعاء أن يستقبل الداعي القبلة عند دعائه وأن يرفع يديه بحيث يرى بياض إبطيه، وأن يمسح بهما وجهه في آخر الدعاء، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مدّ يديه في الدعاء لم يردهما حتى يمسح بهما وجهه» أخرجه الترمذي وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: «كان صلى الله عليه وسلم إذا دعا ضم كفيه وجعل بطونهما مما يلي وجهه» أخرجه الطبراني.
ويرى بعض الفقهاء عدم رفع اليدين ولا الجهر بالتأمين من قبل المصلين عند دعاء الخطيب، أما التأمين على دعاء الخطيب فهو سنة عند جمهور الفقهاء، ويكون سراً وبلا رفع صوت، والله أعلم.

الربح في المضاربة:

شخص دفع لآخر مبلغاً من المال ليتاجر فيه على أن يكون الربح والخسارة مناصفة، علماً بأن المضارب لم يشترك بماله وإنما بجهده فقط.
والسؤال هو: هل يتحمل الشريك بجهده خسارة علماً بأنه غير مشارك برأس المال.

ـ وقد أجابت اللجنة بالتالي:
الربح في المضاربة يكون شركة بين رب المال والمضارب على حسب شرطهما، أما الخسارة فكلها على رب المال ولا شيء منها على المضارب، ويكفيه أن يخسر جهده وعمله إلا أن تكون الخسارة بسبب تقصير المضارب أو إساءته التصرف بالمال أو مخالفته لشروط رب المال، فإن كان كذلك وأدى إلى خسارة ضمنها المضارب المقصر وحده، والله أعلم.

بيع المبادلة

ما حكم بيع المبادلة الذي تمارسه بعض شركات السيارات؟

ـ وقد أجابت اللجنة:
إذا كان ثمن السيارة الجديدة مكوناً من النقد والسيارة القديمة فهذه المعاملة لا غبار عليها ولا يضر تحديد ثمن تقريبي للسيارة القديمة، على أنه إذا تعذر تسليمها فالمرجع إلى قيمتها، أما إذا كانت المعاملة قائمة على أن شراء السيارة القديمة مشروط بشراء السيارة الجديدة ويعين لكل منهما سعر ففي ذلك شبهة أن تكون المعاملة من قبيل بيعتين في بيعة وذلك منهي عنه، والله أعلم.

يسر خدمة الفتوى بالهاتف تلقي الأسئلة الفقهية مباشرة من ٨ ـ ١٢ ظهرا ومن ٤ ـ ٨ مساء على الأرقام الهاتفية التالية: ٢٤٤٤٤٠٥ ٢٤٦٦٩١٤ ٢٤٢٨٩٣٤ وبدالة الوزارة ٢٤٦٦٣٠٠ / ١٠٢٩ ونرجو من الأخوة المستفسرين من خارج الكويت مراعاة اختلاف التوقيت ☐



علي مدني رضوان

هنا يرسو القلم، ينفض عن كاهله وطأة الأيام وازدحام الأعمال وهموم الواقع، فيبث القارىء ما يتفاعل في نفسه.. وهي زاوية رأي مفتوحة الذراعين للجميع..

قبل فوات الأوان

كم يتألم الإنسان لظلم يراه ولا يستطيع دفعه ولا يقدر على مقاومته، ولكم يعاني وهو يرى تجرد الإنسانية من أبسط خصائصها..... ومجافاتها طبائع الأشياء...... فالنفس قد خلقها الله تعالى سوية نقية، والبدن قد خلقه الله طاهراً زكياً.... وسحنة وجه سواها في أحسن تقويم، فإذا رضيت نفس العبد بغير ما يراد لها ولغير ما خلقت له كان ذلك ضرباً من العسف وباباً من القهر...

والنفس في سيرها في الحياة تحتاج إلى مؤونة ومعونة من فاطرها ومنشئها وهو وحده ـ دون غيره ـ العليم بحالها، البصير بأمرها... يقومها حين تميل، ويرشدها عندما تضل، ويرسم لها الطريق الواضح المعبد لكي تمضي فيه إلى غايتها، وتلتقي فيه بأحبتها، وتسكن في مستقرها فتعود إلى منزلها الأول الذي خرج منه أبوها...... وآه لو أدركت هذه النفس من كان سبباً في إحراج أبيها وإخراجه من الجنة!!، عندها ستبصر دربها، وتقضي بغيتها، وتشبع نهمها ولكن وا أسفاه!

فالدرب طويل، والعدو شاخص بسلاحه إليها لا يفتأ أن يتركها تمضي إلا وقد زين لها الطريق الذي يهوى بها، ليلبسها ثوب الذل ويسكنها بيت الخوف، ويطعمها مر الحنظل، ويسقيها صبابة الهوى عندها: قد لا تفيق إلا حين تدرك صورة الملكين يبتدرانها بالسؤال!

هذا فليتأمل العاقل...

كل عام وانتم بخير

تتقدم وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

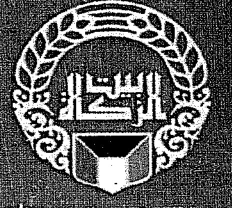
وأسرة مجلة الوعي الإسلامي من

صاحب السمو أمير البلاد
وسمو ولي العهد رئيس مجلس الوزراء
والشعب الكويتي الكريم
والامة العربية والاسلامية

بأجمل التهاني القلبية واطيب الامنيات لمناسبة

العام الهجري الجديد ١٤١٨هـ

سائلين المولى سبحانه وتعالى
أن يرحم الشهداء الابرار
ويفك قيد الأسرى ويعيدهم سالمين


بيت الزكاة